

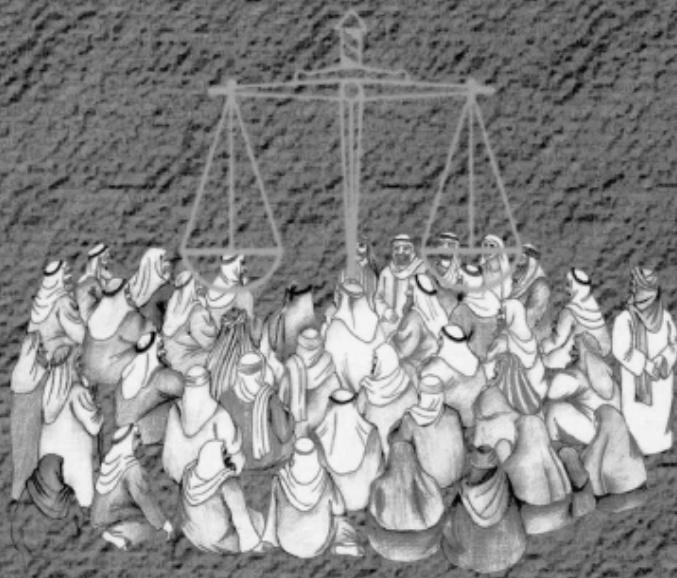
# نَظِيرٌ تَرْكَدَ لِلصَّاحِبَيْنَ

بقلم:

الشَّاجِي الْأَرْدَنِيُّ أَحْمَدُ حُسْنَى بْنُ عَقْوَبٍ

راجعه:

عَلَى الْكِتَابِ الْعَامِلِ





# نَظِيرٌ تَعْلَمُ الْبَرَادِيَّ صَاحِبُهُ

بِقلمِ

الْمُحَايِي الْأَرْدُنِي الْجَمَلُ حُسَيْنُ يَعْقُوبُ

راجعه:

عَلَى الْكُوْزَاتِ الْعَالَمِيِّ

الطبعة التاسعة - ١٤٢٩

## المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ حَمْدًا كَثِيرًا ، بِمَدِّ عِلْمِكَ ، وَبِسُعَةِ رَحْمَتِكَ ، حَمْدًا طَيْبًا يُلْقِي  
بِرَبِّي وَبِعِبُودِيَّتِي لَكَ ، وَبِنَفْسِ الْكَمْ وَالْكَيْفِ أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبِي  
وَآثَامِي كَمَا أُمْرَتَ ، وَأَتُوَسِّلُ إِلَيْكَ أَنْ تَجُودَ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ كَمَا وَعَدْتَ ، إِنَّكَ يَا  
مَوْلَايِ لا تَخْلُفُ الْمَيعَادَ . وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الْأَعْظَمِ ، وَكَلْمَاتِكَ التَّامَّةِ ، أَنْ  
تَصْلِي وَتَسْلِمَ عَلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ بِالْإِسْلَامِ ، فَمِيزْهُ وَبَيْنَهُ ، وَسَلَكَ  
بِمَعْنَقِيهِ الصِّرَاطَ السَّوِيَّ إِلَيْكَ فَعَبَدْهُ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِلِّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ ، أَهْلِ الثَّقْلِ وَالنَّقْيِ ، وَنَجْوَمِ  
الْأَمَانِ وَالْهَدِيِّ ، وَسَفَنِ النَّجَا ، الَّذِينَ خَصَّتْهُمُ اللَّهُ بِالْفَضْلِ ، وَقَدَّمْتُهُمْ عَلَى أَهْلِ  
الْمَلَةِ ، وَجَعَلْتُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِمْ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ الْمُفْرُوضَةِ ، لِتَكُونَ تَذْكِرَةً  
دَائِمَةً بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ ( إِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ) .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَنظُومَةَ الْحَقْوَقِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْإِسْلَامُ ، مَا هِيَ فِي  
مَجْمِلِهَا وَحْقِيقَتِهَا وَبِكُلِّ جُوانِبِهَا إِلَّا خَطَّةُ إِلَهِيَّةٌ مُتَكَاملَةٌ ، أُعْدَّتْ بِإِحْكَامٍ ،  
وَوُضِعَتْ خَصِيصًا لِتَرْشِيدِ الْجَنْسِ الْبَشَرِيِّ لِلْأَقْوَمِ ، وَلِإِسْعَادِهِ فِي الدَّارِينِ ، وَهِيَ  
بِطْبِيعَتِهَا وَبِحُكْمِ تَكْوِينِهَا الْإِلَهِيِّ قَائِمَةٌ عَلَى الْجَزْمِ وَالْيَقِينِ ، بَعْكَسِ الْمَنظُومَاتِ

الحقوقية الوضعية المبنية أصلًا على الإفتراض والتخمين .  
ومما يؤكد الثقة المطلقة بهذه المنظومة أنها لم تبق مجرد قواعد نظرية ، إنما شقت طريقها إلى عالم التطبيق ، ونقلت من النظر إلى العمل ، ومن الكلمة إلى الحركة ، وبالتصوير الفني البطئ ، عبر دعوة قادها النبي ﷺ نفسه ، تم خضت عن دولة ترأسها النبي ﷺ نفسه . ونتيجة تطبيقها تكونت خير أمة أخرجت للناس ، وقامت أعظم دولة عرفتها البشرية وهي دولة النبي ﷺ .

○ ○

والنبي الكريم على فراش الموت ، وبعيد انتقاله إلى جوار ربه بدأت سلسلة من التداعيات والإنهيارات السياسية واقعياً ، وببدأت معها عمليات التعقيم والتظاهر بالسلامة ، والتستر على هذه الإنهيارات ، ظناً من أرباب تلك العمليات أنها قد تعطي الفرصة لإيقاف الإنهاي فلا يسمع به أحد ، ولا يشمت بالدين وأهله شامت ، ولكن الإنهيارات لم توقف بل توالت عبر التاريخ ، ومهد الإنهاي إلى اهيا آخر ، حتى تحول النظام السياسي في الإسلام إلى هيكل عظمي ولم يبق فيه من الإسلام إلا الإسم ، حتى اختفى وانهار نهائياً بسقوط آخر سلاطين بنى عثمان !

واستفاق المسلمون من ذهولهم : فإذا بالأمة الواحدة أمم ممزقة ، تحيا الحيرة والضياع ، فلو أرادت أن تتحد لما عرفت كيف تتحد ، كما يقول العقاد في ميزانه ، وإذا بدولة الإسلام الواحدة دول ، وإذا بحمى الإسلام يتحول إلى مائدة تنداعى عليها الأمم ، والعالم من حولنا تتحكم به شريعة الغاب ، وقد أنشبت

المادية أظافرها في ذاته فأدمنتها وهو يجري وراء السراب ، يتوهم أنه اكتشف العلاج الذي يوقف التزيف ويحاول أن يجر إليه البشرية جرأة ، تحت شعار الرحمة وإكراه المريض على تناول العلاج .

وبينما الطبول تصدر أنغام الفرح والمسرة ، يكتشف العالم أن الذي تصوره علاجاً كان وهمًا... وليس انهيار العقيدة الشيوعية بعيد . لماذا حدثت الانهيارات؟ لماذا توالت؟ حتى حولت النظام السياسي الإسلامي إلى هيكل عظمي وأخرجته عن معناه وصورته ، تم أنت عليه ورفعه من واقع الحياة بعد أن أبطلت مفعول المنظومة الحقوقية الإلهية وحرمت الجنس البشري من التداوي بعلاج الإسلام ومن الانتفاع بمنظومته؟ أين يكمن سبب ذلك كله؟ من المحال عقلاً أن يكون سبب هذه البلايا والمحن من المنظومة الحقوقية ذاتها ، لأنها صنع الله الذي أتقن كل شيء ! إذن ، فمن المؤكد أن السبب يكمن في الذين قادوا التاريخ السياسي الإسلامي وصنعوه ، أو في الأمة التي اشتراك معهم في صناعته وإخراجه ، أو بالإثنين معاً !

○ ○

الأحزاب الدينية العربية التي تولت قيادة موكب التقليد الأعمى ، وتأجرت بالآلام وخلطت كل الأوراق لغاية في نفس يعقوب ، تحاول بكل قواها أن تلقي بروع الناس أن فهمها للإسلام هو الإسلام بعينه ، مع أن الإسلام من صنع الله ، وفهم الأحزاب للإسلام من إنتاجها . كما تحاول بكل قواها أن تثبت للناس بأن التاريخ السياسي الإسلامي الذي صنعه البشر من بعد وفاة النبي ﷺ وحتى سقوط

آخر سلاطين بنى عثمان ، هو عينه النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده لترشيد الحركة السياسية للمجتمع البشري ، وهي جادة في ما تقول مع أنها بعملها هذا قد خلقت الفهم بالمفهوم وقدمت التابع على المتبوع ، والفرع على الأصل ، واستبدلت المنظومة الحقوقية الإلهية بالإجهادات التي نشأت في ظلالها ولم تتكلف الأحزاب الدينية العربية بذلك ، إنما صرّح صدرها بالرأي الإسلامي المخالف ، وحاولت بكل الوسائل أن تخنقه ، وهي مع ذلك تدعى الإنفتاح على الفكر العالمي ، وتَعْدُ بإعطاء الحرية له ولأربابه ليعرضوا فكرهم ، في الوقت الذي تختنق فيه الرأي الإسلامي المعارض لها ، وتمتنع أصحابه من التصريح به ، فكيف تصدق بربك ادعاءات هذه الأحزاب بالإنفتاح؟ وهكذا قدمت الأحزاب الدينية العربية الإسلام للعالم ، فالإسلام الذي جاء لينقذ الجنس البشري ويensus له كلّه ، ويُشبع حاجاته وآماله كلّها ، يضيق على أبنائه ويُضيق بهم !! ذلك مبلغهم من العلم ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

○ ○

بهذا البحث المتواضع حاولت جهدي إثبات أن ما أنزله الله شيء ، وأن فهمنا له شيء آخر ، وأن الإنهيارات التي بدأت بعد وفاة النبي ﷺ توالت حتى اقتلعت النظام السياسي الإسلامي من واقع الحياة ، لم تكن بسبب علة في الدين ، ولا لنقص أو خطأ في منظومته الحقوقية الخالدة ، إنما بسبب المسلمين الذين بدلوا نعم الله بما تهوى الأنفس ، وهنا يكمن جذر البلاء ، ومنه المنطلق نحو الله .

وتأصيلاً وتجذيراً وتسهيلاً لاستيعاب هذا البحث ، فقد قسمته إلى أربعة

أبواب ، عالجت في الباب الأول مفهوم الصحبة ، وفي الباب الثاني كشفت الجذور التاريخية لهذا المفهوم ، أما الباب الثالث فقد وضحت فيه المرجعية في الإسلام ، ونظرًا لارتباط مبدأ المرجعيه بالقيادة السياسية ، فقد تناولت في الباب الرابع القيادة السياسية في الإسلام ، وسيكتشف القارئ المتمعن أن هذه المواضيع الأربع تتشابك مع بعضها تشابكًا عضويًا يتعدى فصله ، وفي كل موضوع من هذه المواضيع سقت رأي أهل السنة باعتباره رأياً إسلامياً ، قاد أصحابه الأمة الإسلامية طوال التاريخ ، بعد أن استخرجته من مصادر أهل السنة المعتبرة ، ثم سقت رأي أهل الشيعة ، باعتباره رأياً إسلامياً تولى مهمة المعارضة طوال التاريخ الإسلامي ، بعد أن استمزجت هذا الرأي من مصادر أهل الشيعة ، وبعد ذلك وضعت تحت تصرف عشاق الحقيقة الشرعية المجردة حكم الشرع في كل موضوع من تلك المواضيع . فجاء البحث وحيد زمانه شكلاً موضوعاً ومنهجية . وحسب علمي القاصر ، فإنه لأول مرة في العصر الحديث يتم تناول هذا الموضوع من قبل عربي من أهل السنة بهذا الشمول والتكامل وال موضوعية ، وبهذا الحجم من المعلومات والمراجع .

○ ○

ولم أخف ولاني آل محمد خاصة ، ولبني هاشم عامه ، ومن يلمني بولاني لهم وهم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر ، والهدایة لا تدرك إلا بهما معاً والضلالة لا يمكن تجنبها إلا بهما معاً ، كما هو ثابت في النصوص الشرعية القاطعة . وكيف يلمني لاتم وهم سفن النجا ، ونجوم الأمان والهدى في كل ليل

كما هو ثابت في النص ، وهم الحل ، فالنبي هو القاسم المشترك بين المسلمين ، وحصر القيادة والولاية في أولاده تطيب لغفوس الجميع ، وانتزاع لجذور الطمع بها من نفوس الجميع ، ونبذ التنافس عليها يؤدي إلى الاستقرار ، ناهيك عن فضل القرابة الطاهرة على الإسلام ، فهم الذين حموا النبي ومنعوه ، وهم الذين حاصرتهم كل قبائل العرب مجتمعة وبلا استثناء ثلاثة سنين في شباب أبي طالب ، وللعرب مطلب واحد وهو أن يسلم الهاشميون محمداً ، أو أن يخلوا بيته وبين العرب ليقتلوه ، ولو استجاب الهاشميون لأحد هذين المطلبيين لما قامت للإسلام قائمة ، ولقتل النبي ﷺ كما قتل غيره من الأنبياء ! فضلاً عن جهاد الهاشميين الذي لا ينكره أحد ، وتضحياتهم التي لا تخفي على أحد ...  
 هذا غيض من فيض من مبررات ولائي وشغفي ، فمن يلمني بعد ذلك ؟

○ ○

إلهي ومولاي ، أنت تعلم سري وعلانيتي ، وتعلم أنني ما قصدت إلا رضاك فإن أصبحت فمنك ، إنك نعم المولى ونعم النصير ، وإن أخطأت فمن نفسي ، وثانية أقول: اللهم اجعل عملي هذا خالصاً لوجهك وهدية لمحمد ولآل محمد ولكل هاشمي أو مطلبي دب على وجه الأرض أو سيدب إلى يوم الدين ، صدقة تطفي بها خطاياي ، وتقربني منك ، وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

**المؤلف**

## **الباب الأول**

### **مفهوم الصحابة والصحابة**



## الفصل الأول

### ١- معنى الصحابة لغة

أ - في قواميس اللغة: الأصحاب ، الصحابة ، صحب ، يصبح صُحبة  
(بالضم) وصَحَابَةً (بالفتح) صاحب أي: عاشر ، رافق ، جالس ، انقاد ، شائع .  
والصاحب هو المعاشر ، أو المنقاد ، أو المجالس ، أو المشايع ، أو المرافق ، أو  
القائم على الشئ ، أو الحافظ له . ويطلق أيضاً على كل من تقلد مذهباً، فيقال:  
 أصحاب الإمام جعفر ، وأصحاب أبي حنيفة ، وأصحاب الشافعي... إلخ. يقال:  
اصطعب القوم أي صحب بعضهم بعضاً ، واصطحب البعير أي انقاد له .<sup>(١)</sup>

ب - في القرآن الكريم: الله تبارك وتعالى أنزل الكتاب قرآنأً عربياً ، وهو  
بوجه من وجوهه المرجع القيمي الأوحد للغة العربية ، لأنه كلام الله العالم علمًا  
يقينًا بأدق خفايا هذه اللغة وأعمق أسرارها. وبتلاؤتنا للقرآن الكريم نجد أنه قد

(١) ويمكن لمن أراد أن يراجع على سبيل المثال: لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: ٩١٥/١ .  
وتاج اللغة لإسماعيل بن حماد الجوهري ١٦١-١٦٢ . وتاج العروس لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي: ١٨٦/٣ .  
المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ورفقاه: ٥٠٩/١-٥١٠ . والقاموس المحيط للفيروزآبادي مجدي بن محمد  
يعقوب . ومخارات الصحاح لأبي بكر الرازي . ٣٥٧ .

اشتمل على كلمات ( تصاحبني ، وصاحبها ، وصاحب ، وصاحبته ، وأصحاب ، وأصحابهم ) وأن هذه الكلمات تكررت بمجموعها في القرآن الكريم ( ٩٧ ) مرات . ومن المثير للإنتباه ، أننا لم نعثر في القرآن الكريم كله على لفظ لكلمتى ( صحابة ، بالفتح ، أو صحبة ، بالضم ) .

**ج - استقراء الآيات لصالح المعنى اللغوي:** وباستقرارنا لتلك الكلمات نجد أنها تشكل تغطية كاملة للمعاني اللغوية التي أشرت إليها في الفقرة السابقة ، فالصحبة يمكن أن تأخذ وجهاً أو صورة واحدة ، ويمكن أن تأخذ وجوهاً أو صوراً متعددة ، ويمكن أن يكون لها وجه أمثل يشمل كل نواحي الخير ، وقد يكون لها وجه أبغض يشمل كل نواحي الشر .

**د - وجوه أو صور الصحبة:** فقد تكون بين مؤمن ومؤمن<sup>(١)</sup> وقد تكون بين ولد والدين مختلفين بالإعتقاد<sup>(٢)</sup> أو بين رفيقي سفر<sup>(٣)</sup> أو بين تابع ومتبوع<sup>(٤)</sup> أو بين مؤمن وكافر<sup>(٥)</sup> أو تكون شمولية على الشر بين كافر وكافرين<sup>(٦)</sup> أو بين النبي وقومه الكافرين والنبي يحاول أن يشدهم نحو الخير وهم يحاولون إعادته إلى حظيرة الشر<sup>(٧)</sup> وقد تكون الصحبة اضطرارية<sup>(٨)</sup> وقد تكون صحبة أثر فيقتدي فاسد بفعل

(١) راجع الآية ٢٦ من سورة الكهف ، و: ٩٣-٩٢/٣ من تفسير ابن كثير على سهل المثال .

(٢) راجع الآية ١٥ من سورة لقمان ، و: ٤٤/٣ من تفسير ابن كثير .

(٣) راجع الآية ٣٦ من سورة النساء ، و: ٤٩٤/١ من تفسير ابن كثير .

(٤) راجع الآية ٤٠ من سورة التوبه ، و: ٣٥٨/٢ من تفسير ابن كثير .

(٥) راجع الآيتين ٣٧ و ٣٤ من سورة الكهف و: ٨٣/٣ من تفسير ابن كثير .

(٦) راجع الآية ٢٩ من سورة القمر ، و: ٢٦٥/٤ من تفسير ابن كثير .

(٧) راجع الآية ٢ من سورة النجم والآية ٤١ من سورة سبأ و: ٥٤٢/٣ و ٢٤٦/٤ لابن كثير .

(٨) راجع الآية ٢ من سورة النجم والآية ٤١ من سورة سبأ و: ٥٤٣/٣ و ٢٤٦/٤ لابن كثير .

فاسد وينسح على منواله<sup>(١)</sup> وقد تكون الصحابة انقياداً لعقيدة إلهية وولاء مطلقاً لقيادتها السياسية كانقياد الآل الكرام للعقيدة الإلهية وولائهم المطلق لقيادة النبي السياسية وتضحياتهم الجسم ، و كانقياد وولاء الصفة الصادقة من أصحاب محمد ﷺ . محور الصحبة (بالضم) محور شمولي يرتكز على عقيدة وقيادة وأهداف ومثل علياً يسعى القائد وأصحابه لتحقيقها وسيادتها على مجتمع معين<sup>(٢)</sup> .

## ٢- معنى الصحابة اصطلاحاً

يقول ابن حجر العسقلاني الشافعي بالحرف: «الصحابي من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام»<sup>(٣)</sup>

أ- توضيح ابن حجر لهذا التعريف: «فيدخل فيمن لقيه:

١- من طالت مجالسته له أو قصرت .

٢- من روى عنه أو لم يرو .

٣- من غزا معه أو لم يغز .

٤- من رآه ولو لم يجالسه .

٥- من لم يره لعارض كالعمى .

ويخرج بقيد الإيمان: ١- من لقيه مؤمناً بغيره كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبلبعثة .

(١) راجع الآية ٥٩ من سورة الذاريات و ٢٢٨٢ لابن كثير .

(٢) راجع سلسلة مقالاتنا المنشورة تباعاً في جريدة اللواء الأردنية عام ٩١-٩٢ .

(٣) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي الكتاني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر .

- ٢- وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنه سيعث أو لا يدخل ؟ محل احتمال ، ومن هؤلاء بحيرة الراهن ونظراؤه .
- ٣ - ويدخل في قولنا مؤمناً به: كل مكلف من الجن والإنس .
- ٤ - وإنكار ابن الأثير على أبي موسى تخرجه لبعض الجن الذين عرفوا في كتاب الصحابة فليس بمنكر .
- ٥- وقال ابن حزم (من ادعى الإجماع فقد كذب على الأمة ، فإن الله قد أعلمنا أن نفراً من الجن آمنوا وسمعوا القرآن من النبي ﷺ فهم صحابة).<sup>(١)</sup>
- ٦ - الملائكة محل نظر ، وقد نقل الإمام فخر الدين الرازى في (أسرار التنزيل) الإجماع على أنه ﷺ لم يكن مرسلًا إلى الملائكة ، ونُوزِعَ في هذا النقل ، بل رجح الشيخ تقى الدين السبكى أنه كان مرسلًا إليهم واحتج بأشياء .
- ٧- وخرج بقولنا (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على دينه والعياذ بالله ، من ذلك عدد يسير كعبد الله بن جحش الذي كان زوجاً لأم حبيبة فإنه أسلم معها وهاجر إلى الحبشة فتنصر ومات على نصرانيته ، وكعبد الله بن خطل الذي قتل وهو متعلق بأستار الكعبة .
- ٨- ويدخل فيه من ارتد وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا ، وهذا هو الصحيح المعتمد . والشق الأول لا خلاف في دخوله ، وأبدى بعضهم في الشق الثاني احتمالاً ، وهو مردود لإبطاق أهل الحديث على أن ابن قيس من الصحابة ، وعلى تخرير أحداً يه في الصحاح وهو من ارتد ثم عاد للإسلام في خلافة أبي بكر .

---

(١) راجع ١١/ وما فوق من المراجع السابق .

**ب - تقسيم ابن حجر لهذا التعريف:** هذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين ، كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما . ووراء ذلك أقوال أخرى شاذة ، كقول من قال: لا يعد صحابياً إلا من وصف بأحد أوصاف أربعة: ١ - من طالت صحبته . ٢ - أو حفظت روایته . ٣ - أو ضبط أنه قد غزا معه . ٤ - أو استشهد بين يديه . وكذلك من اشترط في صحة الصحابة بلوغ الحلم أو المجالسة ولو قصرت . وأطلق جماعة أن من رأى النبي ﷺ فهو صحابي ، وهو محمول على من بلغ سن التمييز ، إذ من لم يميز لا تصح نسبة الرؤية إليه ، وعندما يراه النبي ﷺ فيكون صحابياً من هذه الحيثية ، ومن حيث الرؤية يكون تابعياً . وهل يدخل من رآه ميتاً قبل أن يدفن كما وقع لأبي ذؤيب الهمذاني الشاعر ، إن صح ؟ محل نظر ، والراجح عدم الدخول .

**ج - وسائل معرفة الصحابة:** أن يثبت بطريق التواتر أنه صحابي ثم بالإستفاضة والشهرة ، ثم أن يُروى عن أحد من الصحابة أن فلاناً له صحبة مثلًا وكذلك عن آحاد التابعين ، بناءً على قبول التزكية من واحد وهو الراجح ، ثم بأن يقول هو إذا كان ثابت العدالة أنا صحابي .

أما الشرط الأول وهو العدالة فجزم به الأمدي وغيره ، لأن قوله قبل أن تثبت عدالته أنا صحابي أو ما يقوم مقام ذلك ، يلزم من قبول قوله إثبات عدالته ، لأن الصحابة كلهم عدول فيكون بمنزلة القائل أنا عدل وذلك لا يقبل . وفوق ذلك المعاصرة ، فيعتبر بمضي مائة سنة وعشرين من هجرة النبي ﷺ ، ومن هنا لم تصدق الأئمة من ادعى الصحابة بعد الغاية المذكورة ، وقد ادعواها جماعة فكذبوا

لأنّ الظاهر كذبهم في دعواهم . ومن لا تعرف حاله إلا من نفسه فمقتضى كلام الأمدي أن لا ثبت صحبته .

**د - كل الشعب صحابة:** من المجمع عليه أن الدعوة المحمدية تم خضت عن الدولة المحمدية التي قادها النبي ﷺ بنفسه قرابة عشر سنين ، أرسى خلالها قواعد النظام السياسي الإسلامي ، وبين عقيدة الإسلام بياناً كاملاً من خلال نقل النص من النظرية إلى التطبيق على كل صعيد ، ومن خلال إبراز روحها العامة . ومن المتفق عليه دستورياً أن مقومات الدولة أية دولة على الإطلاق تتكون من: شعب وإقليم يستقر فيه ذلك الشعب . وسلطة تسوس هذا الشعب . وإذا أخذنا بالتعريف الذي أورده ابن حجر العسقلاني للصحابة ، فإن المعول لينال شرف الصحبة ويكون صحابياً هو:

١ - الإلتقاء بالنبي محمد ﷺ ، سواء أكان هذا الإلتقاء عن طريق المجالسة أو المحادثة أو المشاهدة . فمن شاهد النبي أو شاهده النبي فهو صحابي ، حتى ولو كان طفلاً رضيعاً ، لأن المشاهدة لا تنسب له إنما تنسب للنبي نفسه .

٢ - الإيمان بالنبي أنه نبي ، فلو أخذنا برأي ابن حجر العسقلاني لوجب علينا أن نتأكد من حقيقة هذا الإيمان ، وهذا أمر خارج عن قدرة البشر ، وكان على ابن حجر العسقلاني أن يقول: مؤمناً به أو متظاهراً بالإيمان به . فعبد الله بن أبي سلول ، زعيم المنافقين قولهً واحداً هو من الصحابة بالإجماع . فقد قال النبي ﷺ لمن أشار بقتله ( فلعمري لنحسن صحبته ما دام بين أظهرنا ) .<sup>(١)</sup>

وعبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله ثم افترى على الله الكذب ،

(١) راجع الطبقات لأبي سعد ٥٦٢ على سبيل المثال وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام / ١٠٣ .

وأباح الرسول ﷺ دمه ولو تعلق بأستار الكعبة ، وعند فتح مكة تشفع له عثمان ودخل في الإسلام لينجو بروحه ... وهو صحابي شاء الناس أم أبوا<sup>(١)</sup> ومثله الحكم بن العاص طريد رسول الله ﷺ إذ طرده الرسول وحرم عليه دخول المدينة ، وبوفاة الرسول راجع عثمان أبو بكر ليدخله لكن أبو بكر رفض ، ولما مات أبو بكر راجع عثمان عمر ليدخل ولكن عمر رفض أيضاً أن يدخله المدينة في عهده ، ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معززاً مكرماً وأعطاه مائة ألف درهم لأنّه صحابي .<sup>(٢)</sup>

وباختصار: لا يشترط بالشخص حتى يكون صحابياً أن يكون مؤمناً حقيقة بالنبي بل يكفي أن يتظاهر بالإيمان وأن يموت على هذا الإيمان أو على هذا التظاهر به ، لأن النبي لا يعني بالبواطن إنما يكلها إلى الله .

ومن هنا ، ومن خلال دعوة النبي ومن خلال دولته وغزواته<sup>(٣)</sup> ومن خلال بيعة الناس له ، والحج والعمرة وفتح مكة وحجة الوداع خاصة ، وسيطرة دولته الكاملة على الجزيرة العربية أتيحت الفرصة للجميع للإلقاء به ، لم يبق في مكة ولا الطائف أحد في السنة العاشرة إلا أسلم وشهد مع النبي حجة الوداع ، ومثل ذلك قول بعضهم في الأوس والخرج أنه لم يبق منهم أحد في آخر عهد النبي إلا ودخل في الإسلام ، وما مات النبي وواحد منهم يظهر الكفر<sup>(٤)</sup> حتى الأطفال صاروا صحابة على سبيل الإلحاد لغلبة الظن على أنه ﷺ رآهم لتتوفر دواعي أصحابه على إحضارهم أولادهم عنده عند ولادتهم ليحنّكهم ويسمّيهم ويبارك

(١) راجع المعارف لابن قتيبة/ ١٣١ و ١٤١.

(٢) راجع المعارف لابن قتيبة/ ٥٤ و ١٣١ و راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام . ١٠٣ .

(٣) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ٢٣٢ وما فوق .

(٤) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني . ١٦ .

عليهم . والأخبار بذلك كثيرة « كان النبي يؤتى بالصبيان فيبارك عليهم » « ما كان يولد مولود إلا أتي به النبي » <sup>(١)</sup> فإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الفوارق قد أزيلت تماماً بين الحاكم والمحكوم في دولة النبي ، وأنه كان بإمكان أي مواطن في الدولة الإسلامية أن يراه و أن يتكلم معه أو يحضر مجلسه ، مما جعل شعب دولة النبي كله صحابة بهذا المفهوم ، بمعنى أن كل مواطني الدولة التقوا بإمامهم ورئيس دولتهم ، أو شاهدوه أو سمعوه أو جالسوه .

○ ○

---

(١) الإصابة في تميز الصحابة/ لابن حجر العسقلاني .

## نظريّة عدالّة الصحابة عند أهـل السنـة

اتفق أهل السنـة على أن جمـيع الصحـابة عـدول ، ولـم يـخالفـ في ذـلك إـلا شـذوذـ من المـبتدـعة على حد تـعبـيرـ ابن حـجـر العـسـقلـانـي ، ويـجب الإـعـتقـاد بـنـزاـهـتـهـمـ إذ ثـبـتـ أنـ الجـمـيعـ منـ أـهـلـ الـجـنـةـ وـأـنـهـ لاـ يـدـخـلـ أـحـدـ مـنـهـمـ النـارـ<sup>(١)</sup> والمـقصـودـ بالـصـحـابـةـ كـلـ الصـحـابـةـ بـالـمعـنىـ الـذـيـ عـرـضـنـاـهـ عـنـ تـحـلـيلـ تـعـرـيفـ ابنـ حـجـرـ .

### ما هو دليل أهل السنـة على ذلك ؟

ذـكـرـ الخطـيـبـ أـنـ عـدـالـةـ الصـحـابـةـ ثـابـتـةـ مـعـلـومـةـ بـتـعـدـيلـ اللهـ لـهـمـ وـإـخـبـارـهـ عـنـ طـهـارـتـهـمـ وـاخـتـيـارـهـ لـهـمـ . فـمـنـ ذـلـكـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: كـنـتـمـ خـيـرـ أـمـةـ أـخـرـجـتـ لـلـنـاسـ . وـقـوـلـهـ: وـكـذـلـكـ جـعـلـنـاـكـمـ أـمـةـ وـسـطـاـ . وـقـوـلـهـ: لـقـدـ رـضـيـ اللـهـ عـنـ الـمـؤـمـنـينـ إـذـ يـأـبـعـونـكـ تـحـتـ الشـجـرـةـ فـعـلـمـ مـاـ فـيـ قـلـوبـهـمـ فـأـنـزـلـ السـكـينـةـ عـلـيـهـمـ . وـقـوـلـهـ: وـالـسـابـقـونـ الـأـوـلـوـنـ مـنـ الـمـهـاجـرـينـ وـالـأـنـصـارـ وـالـذـيـنـ اـتـبـعـوـهـمـ يـاـخـسـانـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـمـ وـرـضـوـاـعـنـهـ . وـقـوـلـهـ: يـاـ أـيـهـاـ النـبـيـ حـسـبـكـ اللـهـ وـمـنـ اـتـبـعـكـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ . وـقـوـلـهـ: لـلـفـقـرـاءـ الـمـهـاجـرـينـ الـذـيـنـ أـخـرـجـوـاـ مـنـ دـيـارـهـمـ وـأـمـوـالـهـمـ يـتـفـغـرـونـ فـضـلـاـ مـنـ اللـهـ وـرـضـوـاـنـاـ وـيـنـصـرـوـنـ اللـهـ وـرـسـوـلـهـ أـوـلـيـكـ هـمـ الصـادـقـونـ . إـلـىـ قـوـلـهـ: إـنـكـ رـؤـوفـ رـحـيمـ . وـآـيـاتـ كـثـيرـةـ يـطـولـ ذـكـرـهـاـ ، وـأـحـادـيـثـ شـهـيـرـةـ يـكـثـرـ تـعـدـادـهـ<sup>(٢)</sup> .

(١) رـاجـعـ الإـصـابـةـ فـيـ تـمـيـزـ الصـحـابـةـ ٩ـ وـ ١٠ـ .

(٢) رـاجـعـ الإـصـابـةـ فـيـ تـمـيـزـ الصـحـابـةـ ٩ـ وـ ١٠ـ .

## مضمون عدالة الصحابة عند أهل السنة

تعني عدالة الصحابة فيما تعنيه ، أن كل من عاصر الرسول أو ولد في عصره ، لا يجوز عليه الكذب والتزوير ، ولا يجوز تجريحه ، ولو قتلآلافاً و فعل المنكرات ، وعلى أساس ذلك فجميع الطبقة الأولى من الأمويين ، كأبي سفيان وأولاده ، وجميع المروانيين بما فيهم طريد رسول الله وأولاده ، وعمرو بن العاص وولده عبدالله الذي كان في حدود العاشرة من عمره حين وفاة النبي ﷺ ، ومع ذلك نسبوا إليه مجموعة من الأحاديث كتبها على النبي في صحيفه يسمونها الصادقة .

فجميع هؤلاء من العدول ومورياتهم من نوع الصاحح ولو كانت في تجريح علي وأهل البيت ، وفي تقريره عبد الرحمن بن ملجم وتقديسه . هذه المرويات يجب قبولها ولا يجوز ردتها لأن رواتها من العدول ، والعادل لا يعتمد الكذب . والذين اتبعوا معاوية وسايروه طيلة ثلاثين عاماً من حكمه ، هؤلاء كلهم على الحق والهدى ، وحتى الذين سموا الحسن بن علي وقتلو الحسين وأصحابه ، وفعلوا ما فعلوا من الجرائم في الكوفة وغيرها ، كانوا محقين ومن المهتدين بحجة أن النبي ﷺ قد قال بزعمهم: « أصحابي كالنجوم بأيهم افتديتم »<sup>(١)</sup> مع أن هذا الحديث ضعفه أئمة أهل الحديث فلا حاجة فيه وطعن فيه ابن تيمية.<sup>(٢)</sup>

(١) راجع ٨١ و ٨٢ من كتاب آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانت القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي .

(٢) المرجع السابق ٩١ وقد نقل عن محب الدين الخطيب وعن المتنقى للذهبي .

### ما هو جزاء من لا يعتقد بهذه الرأي ؟

بأقل أقوال أهل السنة: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق . والذين ينقصون أحداً على الإطلاق من الصحابة هم زنادقة والجرح أولى بهم»<sup>(١)</sup> ومن عابهم فلا تؤاكلوه ولا تشاربوه ولا تصلوا عليه .<sup>(٢)</sup>

### ما هو سر هذا التشدد والصرامة عند أهل السنة ؟

ذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة ، وهم لاء الدين ينقصون أحداً من الصحابة يريدون أن يخرجو شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة .<sup>(٣)</sup> ويقصد أهل السنة بالصحابة ما قصده ابن حجر عند تعريفه للصحابي بدءاً من خديجة وعلي وزيد بن حارثة وأبي بكر وانتهاءً بآخر طفل رأى الرسول أو رآه الرسول .

### محاولة للتخفيف من هذا الغلو

قال المازري في شرح البرهان: (لساننا يعني بقولنا الصحابة عدول كل من رأى النبي ﷺ يوماً أو زاره لاماً ، أو اجتمع به لغرض وانصرف عن كتب ، وإنما يعني به الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه ، أولئك هم المفلحون).<sup>(٤)</sup>

### استنكار المحاولة ودفعها

(١) راجع الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١٧٧ و ١٨٠ .

(٢) راجع ٢٣٨ من كتاب الكبار للحافظ الذهبي وراجع آراء علماء المسلمين ٨٥ للسيد مرتضى الرضوي .

(٣) راجع الإصابة في تميز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١٧٧ و ١٨٠ .

(٤) الأعراف-١٥٧ ، راجع الإصابة في تميز الصحابة ١٩ .

وأما كلام المازري فلم يوافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء ، وقال الشيخ صلاح العلاني: (هذا قول غريب يخرج كثيراً من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل بن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن العاص وغيرهم من وفد عليه صلوات الله عليه ولم يقم عنده إلا قليلاً وانصرف . كذلك من لم يعرف إلا برواية الحديث الواحد ولم يعرف مقدار إقامته من أعراب القبائل . والقول بالتعيم هو الذي صرّح به الجمهر و هو المعتبر ).<sup>(١)</sup>

### الأثار المترتبة على هذا التعيم

المساواة العشوائية ، فالصحابة حسب رأي أهل السنة متساوون بالعدالة ، فجميعهم عدول ، فالقاعد كالمجاهد ، والعالم كالجاهل ، ومن أسلم عن اقتناع تماماً كمن أسلم لينجو بروحه ، والسابق كاللاحق ، والمنافق كالمحتر ، والعاصي كالطبع ، والطفل المميز تماماً كالراشد ، ومن قاتل الإسلام في كل المعارك تماماً كمن قاتل مع الإسلام كل معاركه . فعلي عليه الله تبارك وتعالى الذي قاتل مع الإسلام كل معارضه هو تماماً كأبي سفيان الذي قاد كل الحروب ضد الإسلام ، وهو تماماً كمعاوية بن أبي سفيان ! وحمزة عليه الله تبارك وتعالى وهو المقتول وسيد الشهداء تماماً مثل قاتله (وحشي) وعثمان بن عفان المبشر بالجنة هو تماماً مثل عمّه الحكم بن العاص والد خلفاءبني أمية ، وهو طريد رسول الله وطريد صاحبيه ، وقد لعنه الرسول ولعن ولده<sup>(٢)</sup> وعبد الله بن أبي سرح الذي افترى على الله الكذب وارتدى عن الإسلام وأباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة<sup>(٣)</sup> هو تماماً كأبي بكر !

(١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ١٩٧.

(٢) راجع كنز العمال: ٣٥٨/١١ - ٣٦١ وراجع المعرف لابن قتيبة/١٣١ و٤١ و٥٤.

(٣) راجع كنز العمال: ٣٥٨/١١ - ٣٦١ وراجع المعرف لابن قتيبة/١٣١ و٤١ و٥٤.

وعبد الله بن أبي زعيم المنافقين تماماً كعمار بن ياسر ... إلخ. كيف لا؟ فكلهم صحابة ، وكلهم عدول ، وفي الجنة ، ولا يدخل أحد منهم النار أبداً كما نقلنا !!

### تساؤل واستنتاج

هل يعقل أن يكون العالم كالجاهل والقاعد كالمجاهد ، ومن أسلم عن اقتناع كمن أسلم خوفاً؟ هل من المعقول أن يتساوى القاتل والمقتول؟ وهل يتساوى السابق باللاحق ، والمنافق بالمحترر ، والعاصي بالمطيع وصادق الإيمان بالمتظاهر؟ وأن يتساوى المؤمن والمنافق ... إلخ؟ هل يعقل أن يكون معاوته مثل علي؟! لا الشرع يقبل هذه المساواة ولا العقل ولا المنطق ، وهو ظلم صارخ وخلط فظيع ينفر منه العقل وتأبه الفطره الإنسانية السليمة .<sup>(١)</sup>

### نقد رأي أهل السنة- الافتلاف والإختلاف

على ضوء المعنيين اللغوي والإصطلاحـي فإنه لا بديل أمام أتباع الإسلام (الفرق الإسلامية) من الاتفاق على أن اصطلاح الصحابة يشمل كل الذين أسلمو أو تظاهروا بالإسلام وسمعوا رسول الله ﷺ أو جالسوه أو شاهدوه ، ولكن الخلاف يكمن في التعميم ، فبينما يرى أهل السنة أن الصحابة بهذا المعنى الواسع كلهم عدول ، إلا أن الفرق الإسلامية الأخرى لا تقر أهل السنة على ذلك ولا توافق على هذا التعميم .

### محاولة للتوفيق

الصحابـة بالمعنى الواسع الذي يرـكـنـ إـلـيـهـ أـهـلـ السـنـةـ هـمـ كـلـ شـعـبـ دـوـلـةـ النـبـيـ ،ـ أوـ هـمـ كـلـ الأـمـةـ إـلـاسـلـامـيـةـ التـيـ دـانـتـ لـدـوـلـةـ النـبـيـ ﷺ ،ـ وـهـمـ أـوـلـ المـخـاطـبـيـنـ

(١) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ١٠٦/ ومن فوق .

المعنيين بآيات القرآن الكريم ، فمن أعلن إسلامه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ اعتبر مسلماً ومواطناً في دولة النبي ، لأن الله هو المطلع على الضمائر ، العالم بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وهو وحده الذي يثبت على هذا الإسلام .

وانطلاقاً من هذا الإعتقاد ، فقد كان النبي يكتفي بالظاهر ويترك البواطن لله ، وسلوك الإنسان متزوك للمستقبل ولرحمة الله وتأثير المجتمع المسلم عليه ، ولموقف الفرد من معارك الإيمان مع الكفر تحت قيادة النبي ﷺ أو من ينتدبه . ومن الطبيعي أن النبي لم يقل لمنافق أنت منافق ، بل كان يدعوه الله أن يستر على عيوب خلقه وأن يصلحهم ويهديهم ، مع أن القرآن الكريم حافل بالأيات التي تقرع بشدة المنافقين المنتشرين في عاصمه المدينة ومن حولها من الأعراب وقد كشفت هذه الآيات أسرارهم ، وفضحت أضغانهم ، وعالجت أموراً واقعية ، ووصفت وشخصت حالات فردية لأشخاص كانوا يعتبرون صحابة ، بل وأقيمت الحدود على كثير منهم . والشريعة وضعت صفات موضوعية لأعمال البر والتقوى وأعمال الفجور ، فمن توافرت فيه صفات معينة حشرته تلك الصفات بإحدى هاتين المجموعتين ، وترجمة الصفات وبيانها متزوك لسلوك الإنسان ميدانياً . فالصدام مع الكفر لم يتوقف طيلة حياة النبي ، والإنسان بطبعه يعكس دائماً حقيقة اعتقاده بسلوكه آجاً أم عاجلاً .

وبانتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى كان كل مسلم من مواطني الدولة الإسلامية يعرف حقيقة موقعه في حوض التقوى أو في بؤرة الفجور ، وعرف الناس كلهم منازل بعضهم ، مع أن المجتمع المسلم خاصّة مجتمع المدينة المنورة كان مجتمع صحابة ولكل واحد من أفراده صفة صاحبي لغة واصطلاحاً .

ثم من يأمن مكر الله؟ وما معنى الأمور بخواتتها؟ إنه لا بديل من تقسيم الصحابة الكرام إلى مجموعتين كبيرتين: ١ - أفضلي الصحابة: وهم الأخيار الذين قامت الدولة على أكتافهم ، وتحملوا سخرية وأذى الأكثريّة الكافرة حتى ظهر أمر الله ، وتمسّكوا بأمر الله ، ووالوانيه ووالوا من والاه ، وانتقلوا إلى جوار ربهم وهم معتصمون بحبل الله ، فهؤلاء عدول بالإجماع ، ولا تشد عن ذلك أية فرقة من الفرق الإسلامية . ٢ - بقية الصحابة: وهم متفاوتون ، الله أعلم بهم ، فمنهم الصبي ومنهم المنافق . فالمنافقون الأشرار جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار مع أنهم كانوا يظاهرون بالإسلام، ويسمون أيضاً صحابة بكل المعاير الموضوعية المعروفة عند أهل السنة .

### ما هي الفائدة من هذا التقسيم؟

إن معرفة أفضلي الصحابة أمر في غاية الأهمية ، فهم الذين يباعون الإمام البيعة الخاصة ، وهم ركن من أركان أهل الشورى ، وهم الذين ينفذون أوامر الإسلام ، وهم حكومة الإمام الفعلية ، وهم الذين يقومون بتهيئة المجتمع لتلقي الذكر ولتطبيق الشريعة ، وإعطاء البيعة العامة ، وبرضاهم يجب أن ترضي العامة ، وبسخطهم أن يسخطوا . فإذا تحقق ذلك نجت الأمة ونجوا ، وإن لم يتحقق هلكت الأمة وتآخروا ، وسد الأمر لمن يغلب . وفائدة هذا التقسيم الآن هو دراسة الماضي دراسة موضوعية لمعرفة سر اختلاف المسلمين وبعثرة كلمتهم وانهيار دولتهم ، تمهدأ لاستشراف مستقبلهم وتوثيق خطواتهم ، بحيث تبقى ضمن المقصود الشرعي كطريق أوحد لتوحيدهم ثانية وإقامة دولتهم التي ينبغي أن تقوم على الأسس الشرعية ، حتى تدوم وتحتفظ غايتها ولا تنها ثانية . ثم إن التفضيل ضروري لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق لملء الوظائف العامة . يقول

تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا . (النَّاسَ:٨٥) . وقد فسرها الطبرى بإسناد الولاية لمن هو جدير بها . وكيف يمكن تأدیة هذه الأمانات هنا دون اللجوء للتفاصل؟ إن أول من سمع بذلك هم الصحابة، ومن المعنى به غيرهم؟!

### التفاصل سنة إلهية

التفاصل سنة إلهية ، ومنهج من مناهج الحياة ، وحافز من حواجز السمو بها ، تقتضيه طبيعة الحياة ، ويقتضيه التباين بين الخلق في القدرة والقوة والفهم ، ويقتضيه تحقيق العدل السياسي والوظيفي بوضع الشخص المناسب في المكان المناسب ، المؤدي لتحقيق الغاية الشرعية . ووسيلة ذلك كله هو نظام التفاصل الشرعي في الإسلام ، على اعتبار أن التفضيل مكافأة وحافز إلهي ، مالم ينه عنه الشرع كالمساواة في العطاء .

### الدليل الشرعي للتفاصل

وسيلة التفاصل مكرسة بالشريعة الإسلامية وبروحها العامة ، قال تعالى: «فَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ» . «تُلَكَ الرَّسُولُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» والتفضيل وارد حتى على مستوى الأسر والأقوام ، فها هو سبحانه وتعالى يخاطببني اسرائيل: «أَذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَلَّتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» «وَفَضَلَّ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا» «وَلَقَدْ فَضَلَّنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ» «إِنْظُرْ كَيْفَ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخرة أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا» «لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أَوْلَئِكَ أَغْنَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا» . الخ . والتفضيل ضرورة لمعرفة الأفضل ومن هو المستحق لملء الوظائف العامة عملاً بقوله ﷺ: «مَنْ وَلَى عَصَابَةً رِجْلًا وَهُوَ يَجِدُ مَنْ هُوَ أَرْضَى اللَّهَ مِنْهُ ، فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» .

## طبقات الصحابة

إن الصحابة شرعاً وعملاً وواقعاً ليسوا بدرجة واحدة ، فمنهم الصادقون وهم طبقات في صدقهم ، ومنهم الأقوياء وهم طبقات في قوتهم ، ومنهم الضعفاء وهم أيضاً طبقات في درجات ضعفهم ، ومنهم المنافقون وهم أيضاً طبقات في نفاقهم . أنظر إلى قوله عليه السلام لمن أشار عليه بقتل عبد الله بن أبي رأس النفاق في المدينة (لعمري لحسن صحبه مadam بين أظهرنا) <sup>(١)</sup> فزعم المنافقين حسب هذا النص صحابي ، وهو صحابي بالموازين المتفق عليها عند أهل السنة ، ولو جارينا أهل السنة بحرفية فهمهم لتجمدت الحياة وتجمد الفكر تماماً . وبالرغم من أهل السنة قد أجمعوا أو أشاعوا الإجماع على أن الصحابة كلهم عدول، إلا أن هذا لم يمنعهم من أن يعترفوا ضمناً بأن هذا التعميم غير واقعي وغير منطقي ويتعارض مع المقصود الشرعي . ولعل تقسيمهم الصحابة الكرام إلى طبقات أكبر شاهد على هذا الإعتراف ، حيث إن انتماء الصحابة لطبة من الطبقات يحدد شرعاً دورة في الأمور السياسية والحقوق <sup>(٢)</sup> وهذه ليست مسألة اجتهادية لأن الشرع الحنيف بقرآن وسنة قد وضع معالماً تلک الطبقات ، ومن هنا فإن ابن سعد تصدى لهذه الناحية ، فجمع الصحابة في خمس طبقات <sup>(٣)</sup> وكذلك فإن الحكم في مستدركه قسم الصحابة إلى إثنى عشرة طبقة .

(١) راجع الطبقات لابن سعد: ٦٥/٦ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام: ١٠٣.

(٢) راجع فتوح البلدان للبلاذري وانظر طريقة عمر بن الخطاب بتسلسل العطايا ومقدارها .

(٣) ويمكن لمن أراد التوسع أن يراجع طبقات ابن سعد .

### طبقات الصحابة كما ذكرهم الحاكم في مستدركه<sup>(١)</sup>

الطبقة الأولى: الذين أسلموا بمكة قبل الهجرة كالخلفاء الراشدين . الطبقة الثانية: أصحاب دار الندوة . الثالثة: مهاجروا الحبشة . الرابعة: أصحاب العقبة الأولى . الخامسة: أصحاب العقبة الثانية . السادسة: أول المهاجرين الذين وصلوا بعد هجرة الرسول للمدينة . السابعة: أهل بدر . الثامنة: الذين هاجروا بين بدر والحديبية . التاسعة: أهل بيعة الرضوان . العاشرة: من هاجر بين الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص . الحادية عشرة: الطلقاء الذين أسلموا يوم فتح مكة كأبي سفيان ومعاوية . الثانية عشرة: صبيان وأطفال رأوه يوم الفتح . فأول الناس إسلاماً خديجة ثم علي عليهما السلام يوم الإثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ثم زيد بن حارثة ثم أبو بكر<sup>(٢)</sup> وتقسيم الصحابة إلى طبقات ، دخول واقعي في باب التفاضل ، فمن غير المنطقي أن يكون أول من أسلم بنفس الدرجة من العدالة التي يتمتع بها طليق أسلم يوم الفتح . وقد تنبه إلى هذه الناحية الفاروق عند توزيع العطايا ، فأخذ بعين الإعتبار توزيع العطايا حسب الطبقة ، ولم يساو بين أول من أسلم وآخر من أسلم ، ولا ساوي بين من قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى حوصل بجزيرة الشرك مع الرجل الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه .

وفي اجتماع السقيفة كانت حجة المهاجرين على الأنصار أنهم أول من عبد الله في الأرض (السابقة في الإيمان) وأنهم أولياء الرسول وعشيرته وأحق الناس بالأمر من بعده ، ولا يناظرهم إلا ظالم ، ولأن العرب تأبى أن تؤمر الأنصار ونبيها

(١) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطى ٢٢٧-٢٢٨ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ١٠٨ .

(٢) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطى ٢٢٧ .

من غيرهم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم . وانظر إلى قول عمر ( من ينazuنا سلطاناً مُحَمَّداً وميراثه ونحن أهله وعشيرته ) هذا بالحرف ملخص ما قاله أبو بكر وعمر في السقيفة<sup>(١)</sup> ألا ترى أن هذا تطبيق نظري دقيق لعملية التفاضل الشرعية وبالتالي نصف لـكامل المقوله إن الصحابة كلهم بلا استثناء عدول ؟ فأذعن الأنصار لتلك الحجج القوية وقالوا: طالما أن الأمر هكذا فإننا لا نباع إلا علينا<sup>(٢)</sup> وعند ما واجه الإمام علي القوم بحجته بعد البيعة قال بشير بن سعد الذي شق إجماع الأنصار وبائع أبي بكر مخاطباً علياً: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليَّ قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان ، وما كان بالإمكان الوصول إلى هذه القناعات لو لا إعمال نظام التفاضل كوسيلة لتقديم الأعلم والأفضل والأنسب لكل أمر تحتاجه الأمة . ونظام التفاضل يتعارض بطبعه مع مقوله ( كل الصحابة عدول ) لأنه لو صحت هذه المقوله لما كانت هنالك دواعي لوجود هذا النظام ولا لسلوك منهج التفاضل باعتبار أن الجميع متساوون بالعدالة .

### نظام التفاضل في الإسلام

تجنباً للخلاف والإختلاف ، واستبعاداً للدور المزاج والهوى ، وتقريراً لأي واقع متجرد سيفرض على الأمة ، فقد حدد الإسلام بنصوص قاطعة لاتحتمل الإنكار والتأويل الأركان الأساسية لنظام التفاضل في الإسلام وحصرها في خمسة أركان ، لتكون مسارب للفضل والعدالة وطرقًا لمنازل الخير ، وهي التي تحدد موقع الإنسان المسلم وتبيّن دوره وتحدد حجم اعتباره . وهي مجتمعة

(١) راجع الطبرى: ١٩٨٧ والإمامية والسياسة وراجع: ٣٢٦/٢ من شرح النهج ، وكتابنا النظام السياسي ١٢٦ و ١٣٣ .

(٢) راجع الطبرى: ١٩٨٧ والإمامية والسياسة وراجع: ٣٢٦/٢ من شرح النهج ، وكتابنا النظام السياسي ١٢٦ و ١٣٣ .

تقدّم الجواب الشرعي الأمثل لكل سؤال يتعلّق بالمنازل والكرامات ، وهي بالتالي الطريق الأوّل لمعرفة الأعلم والأفضل والأنسب في كل أمر من الأمور . فإذا كان الصحابة كلهم بلا استثناء عدو لا لفرق بين واحد وآخر، فما الداعي لا يجاد نظام التفاضل في الإسلام ؟ وما الداعي لتشريع الحدود ووضع الأحكام ؟

### أركان التفاضل أو مسارب العدالة

باستقراء أحكام العقيدة الإلهية الإسلامية ، يتبيّن لنا أن التفاضل يقوم على خمسة أركان ، هي بمثابة موازين أو معايير شرعية تحدد حجم الاعتبار لكل مسلم وتبيّن منزلته . الركن الأول والأهم: القرابة الظاهرة ، فهم قيادة الأمة السياسية والروحية بعد نبيها الكريم بالنص الشرعي القاطع . أما لماذا هم بالذات ، فهذا فضل الله يؤتى به من يشاء ، والسؤال عنه مثل السؤال: لماذا أنزل الله الوحي على محمد واختاره للرسالة ؟ لماذا محمد بالذات ؟ لماذا موسى بالذات ؟ هذا أمر بيد الله تعالى . هذه القرابة هي مركز الدائرة بالنص وهي سفينة النجاة بالنص ، وهم باب حطة بالنص ، وهم نجوم الهدى بالنص ، وهم الأسبق بالإيمان بالنص ، وهم الأتقى بالنص ، وهم الأعلم بالنص ، وهم الأكثر بلاء بالنص ، ومحبّتهم مفروضة على الجميع بالنص ، وفيهم الإمامنة الشرعية في كل زمان بالنص ... فالنبي أولاً والكتاب ثانياً ، والهادي أولاً والهداية ثانياً ... ومتى بعث الله رسالة بدون رسول ؟ ومتى أنزل كتاباً إلا على عبد ؟! الركن الثاني: السابقة في الإيمان . الركن الثالث: التقوى . الركن الرابع: العلم . الركن الخامس: تقييم الرسول القائد أو الإمام الشرعي (المعين شرعاً) ليقوم مقامه والذي بايعته الأمة المسلمة بمحض اختيارها بدون إكراه ولا إغراء ولا لف ولا دوران (بدون غلبة) .

## الحكم على هذه الموازين

تلك موازين شرعية موضوعية مستمدّة من الشريعة ومن الشريعة وحدها ، وهي تبيّن معالم العدالة لدى كل فرد . وما سواها مع عميق الاحترام ليس إلا مواءمة بين واقع مفروض ومثال إلهي آخذ بالأعناق ، وهذه الموازين معترف بها وكانت حجة لا تعلوها حجة في نظام الخلافة التاريخي . فعلى سبيل المثال إرجع إلى حجة أبي بكر على الأنصار في سقيفة بني ساعدة<sup>(١)</sup> وارجع إلى حجة عمر في السقيفة<sup>(٢)</sup> وحجة أبي عبيدة<sup>(٣)</sup> فقد قالوا إنهم الأولى بمحمد: ١ - لأن العرب تأبى أن تولي الخلافة إلا من كانت النبوة فيهم . ٢ - إن أهل محمد وعشيرته أولى بميراثه وسلطانه (وهذا معيار القرابة بعينه) وقالوا: إنهم أول من عبد الله في الأرض ، وهذا معيار السابقة في الإيمان... إلخ . ثم طريقة عمر بتوزيع الأعطيات حيث أخذ بأكثر هذه المعايير.<sup>(٤)</sup>

## تساؤلات

إذا كان الصحابة كلهم عدولًا وكلهم في الجنة ، وأن الله قد ساوي بينهم ، فما الذي منع الأنصار من أن يتولوا الخلافة ؟ ولماذا اقتنعت أكثرتهم وأعطوا القيادة للمهاجرين الثلاثة عن قناعة ؟ ولماذا لم يساو الخليفة العادل عمر بينهم بالعطايا ؟ ولماذا أقيمت الحدود على بعضهم ؟ وهل يسرق العادل التزيم

(١) راجع الإمامة والسياسة ٥-٧.

(٢) راجع الإمامة والسياسة ٧-٨.

(٣) راجع الإمامة والسياسة ٨-٩.

(٤) راجع سنن البيهقي: ٦/٣٤٦.

المضمون دخوله في الجنة ؟ أنتم لستم أفقه من الشيوخين في الدين ، وكفى بفهمها عندكم حجة ، فليجب كل واحد منكم على هذه التساؤلات أو ليحاول ! فمتى كان التقليد الأعمى طريقاً للهداي ؟ لقد أنبأنا الله أنه طريق إلى النار ، وقد أنعم علينا بالعقل لنستثمره في معرفة مقاصد الشريعة .<sup>(١)</sup>




---

(١) راجع كتابنا النّظام السياسي في الإسلام / ١٠١ وما فوق فقد فصلنا هذه الموازنين بالقدر الذي يهم.

## ١- نقض النظرية

من حيث الكل ، حجة أهل السنة منقوضة شكلاً من وجهين:

الوجه الأول: حول الشهادة والشهود: إن إقحامهم القرآن وحفظه لإثبات عدالة كل الصحابة لا يبرر له ، لأن كل الفضل في حفظه والمنة والشكر ، الله تعالى ، والفرح لمحمد ولآل محمد ﷺ ، وللصادقين من الصحابة الذين التفوا حولهم . فلو أن آل الكرام سلموا محمداً لزعامة قريش أو خلوا بينها وبينه ، لقتلوه كما قتل كثير من الأنبياء من قبل ، ولما تحمل آل الكرام كل سني الحصار والعذاب والألم .

إن القرآن الكريم هو الذكر ، وما جاء به النبي بيان لهذا الذكر وترجمة له ، وهو من مستلزماته ، وقد تكفل الله جلت قدرته بحفظه على مر الأزمان: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ، فحفظ الذكر مضمون بضمانة إلهية ، ولا علاقة للصحابي الكرام بهذا الحفظ . فالدين محفوظ وثبت لأن الله هو المتكلف بإثباته ، ولأن الرسول ﷺ لم ينتقل إلى ربه إلا بعد أن أكمل الله الدين وأتم النعمة .

فالشاهد على المسلمين هو محمد ﷺ ، والمسلمون في كل زمان هم شهداء على الناس . ثم إن كتاب الله متزل من عند الله ، وليس بإمكان أحد كائناً من كان أن يزيد فيه حرفاً أو ينقص منه حرفاً أو أن يبدل فيه حرفاً ، لأنه ترتيب إلهي ،

فقد كانت الكوكبة من آيات القرآن الكريم تتنزّل على رسول الله مع التوجيه الإلهي بأي سورة توضع . وعند ما انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه كان القرآن كله مرتبًا بالصورة التي بين أيدينا ومكتوبًا كاملاً وليس في صدور الرجال فحسب كما يزعم بعض إخواننا .

فالقول بأن الصحابة كلهم عدول لا يزيد ثباتاً ولا المحفوظ حفظاً ، والقول بأن المخلصين من الصحابة فقط هم العدول لا يهز هذا الثابت المحفوظ ! وبالمثلية فإنني أتساءل: أين كان كل الصحابة والهاشميون محصورون في شباب أبي طالب يأكلون ورق الشجر من الجوع ، ويمتص أطفالهم الرمال من العطش؟ هل من العدالة الوضعية أو السماوية أن يتساوى المحاصر مع المحاصرون؟ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟!

الوجه الثاني: أن القول بأن هؤلاء الذين يُنقصون أحداً من الصحابة (زنادقة) لا يستقيم ، لعدة وجوه ، لأن الإسلام بوصفه آخر الأديان السماوية ، وبوصفه الصيغة النهائية للدين الله ، معدّ ومصاغٌ لفهم منه كل إنسان على قدر فهمه ، والفهم الأمثل هو ما يتطابق مع المقصود الشرعي أو الغاية الشرعية من النص ، بحيث يكون الفهم هو عين ما أراد الله . وتلك مهمة عسيرة ، بل واحتياط فني تماماً ، وإنما الداعي لإرسال الرسل مع الكتب وابتعاث الهادي مع الهدایة؟ وما هي الغاية من وجود الأنئمة ورئاسات الأنبياء لدول الإيمان؟ ومن هنا فإن الإسلام شئ وفهمنا له شئ آخر يختلف حسب ثقافتنا ، فاختلاف الرأي وتبالغ الأفهام ليس زندقة ، وهناك من الصحابة من عاب النبي نفسه وطعن في عدالته . أنظر إلى قول حرقوص: «إعدل يا محمد والله ما أردت بهذه القسمة وجه الله» ! فلم يقل له

النبي: أنت زنديق أو منافق ، قال له: «ويحك من يعدل إن لم أعدل» ! فهل للصحابي مكانة أعظم من مكانة النبوة ؟

ومن العجيب أنهم يقولون إن سيد البشر محمد ﷺ قال: أنا بشر أصيب وأخطئ ، فكيف يعممون العدالة لجميع الصحابة ويعتبرون من ناقشهم زنديقاً !؟ ومع ذلك يجمع أهل السنة أو يتظاهرون بالإجماع على القول وبالحرف: إن الرسول حق والقرآن حق ، وما جاء به النبي حق ، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة فهم الشهداء وهؤلاء الذين ينقضون أحداً من الصحابة - أي واحد - يريدون أن يخرجوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة وهؤلاء زنادقة<sup>(١)</sup> فمن عابهم أو انتقص منهم فلا تؤاكلوه ولا تشاربوا ولا تصلوا عليه<sup>(٢)</sup>.

## ٢- قراءة أولية

أولاً: الخلط: القول بأن النبي حق والقرآن حق وما جاء به النبي حق ، هذا قول لا غبار عليه ولا اختلاف فيه ، وهو قدر مشترك بين كل المسلمين من سنة وشيعة بمختلف فرقهم ، وهم يتساون بالإلتقاء لهذا الدين ولحمل هويته الخالدة . والدين يتكون من مقطعين:

١ -نبي الله بذاته وقوله وفعله وتقريره.

٢ - كتاب الله المنزلي من عند الله تعالى .

هذا إجماع كل المسلمين ، والخلاف منحصر بفهم المقصود الشرعي لهذا الدين ، فلا ينبغي الخلط بين الدين وبين مفاهيمنا له ، فالدين هو المركز الثابت

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١٧-١٩.

(٢) كتاب الكبان للحافظ الذهبي ٢٣٨.

ومفاهيمنا هي المترعرعات والمتغيرات من حوله . فالدين شئ ومفاهيمنا له شئ آخر ، هذه المفاهيم عملياً تختلف من فرد إلى فرد ومن جماعة إلى جماعة حسب درجة العلم وقدرة الفهم والطاقة والتجرد من الهوى .

ولو كان مجدياً فرض فهم واحد للنص لفرضه الله تعالى ، ولما كان هنالك داع للإجماع ، ولما كان هنالك داع للفهم أصلاً . فعند ما نفهم نصاً معيناً بفهم ما ويفهم الآخر النص نفسه بفهم آخر ثم يدعى كل منهما أن فهمه هو المقصود الشرعي ، فمعنى ذلك أنه لا بد للإثنين من دراسة النص دراسة ثانية وثالثة... حتى يصلا إلى مفهوم واحد للنص ، لأن النص الشرعي الواحد له مقصد شرعي واحد وهو عين المقصود الإلهي ، فلو قلنا بغير ذلك لأضفيانا طابع الشرعية على الفرق والإختلاف ، ولذهبنا كل جماعة باتجاه مع أن مصلحة الأمة تتحقق بوحدتها لا بفرقتها ، ثم إنه لا مصلحة لك ولا مصلحة لي - إذا كانت النفوس خالصة لله - أن يصح هذا الفهم أو ذاك ، إنما مصلحتنا تتحقق بفهم المقصود الإلهي الأمثل والعمل به . فمن غير الجائز أن نخلط أفهاماً بالدين ، وبنواها مختلفاً حسنت أم ساءت ونقول: إن هذه الأفهams هي الدين ، ثم نضع عقوبة لمن يخالفنا بها فنتجاوز دائرة الإتباع إلى دائرة الإبداع والتشريع الخاصة بالله تعالى . فحكم الزندقة وقرار عدم المؤاكلة والمشاركة وعدم الصلاة على من يخالفك الرأي قرار يرفضه الدين وعقوبة بغير نص وتصرف ممن لا يملك في ملك الغير ، فهو باطل من أساسه ولا يعادل شروى نقير .

ثانياً: كلمات للتلقين: الإسلام كلمة محددة ولفظ يدل على معنى بعينه ، وهو يعني: نبي الله محمداً بذاته قوله وفعله وتقريره ، ويعني القرآن الكريم على

الصعدين النظري والعملي وهو مجموعة البنى الحقوقية المتكاملة التي أوحها الله لنبيه وبينها النبي للناس، إنه العقيدة الإلهية التي أرادها الله أن تكون دينه ودين المطيعين من خلقه. وهو معنى قائم بذاته ومستقل عن غيره.

٢ - الصحابة الكرام اتبوا هذا الدين ووالوا نبيه على صعيدي الدعوة والدولة فهم أتباع للدين ، وليسوا ديناً ، أو جزءاً من الدين .

٣ - المسلمين كلهم هم الذين اتبوا الإسلام وآمنوا به ، لكنهم ليسوا هم الإسلام إنهم أتباع ، وشنان ما بين العقيدة والمعتقد بها ، وما بين القانون والشعب وما بين القضاة والمتقاضين .

ثالثاً: الحماية والتستر: قلنا: إن مصلحة الإسلام والمسلمين تتحقق بفهم المقصود الشرعي بالذات وهو عين المقصود الذي قصده الله تبارك وتعالى . والوقوف على هذا المقصود يحتاج إلى اختصاص وملكات خاصة ، والوقوف عليه مطلب الجميع وغايتهم ولكن أناساً أنزلا أنفسهم منازل ليست لهم واجتهدوا ، وهذا حق لهم ، ثم حاولوا رغبة أو رهبة أن يفرضوا هذا الإجتهد على أبناء الملة ، وأغلقوا طريق البحث عن الحقيقة الشرعية ، وأوصدوا مسالك التحري عن المقصود الشرعي ، وأعلنوا بأن رأيهم هو الدين ومن يعارضهم زنديق...الخ. وهذا ليس من حقهم لأنهم شئ والدين شئ آخر ، ومخالفتهم بالرأي أو بالإجتهد أو بالفهم ليس مخالفة للدين لأن القول بغير ذلك ترجيح بغير مرجح ، ووصاية من غير إذن شرعى بالوصاية مما يحول العملية كلها إلى تستر بالدين ، واحتماء به لنصرة رأى على رأى أو مذهب على مذهب . فاختلافك معى بفهم نص من النصوص الشرعية لا يجعل منك زنديقاً ولا يجعل مني مرجعاً

وقد يسأً ، فذلك ترجيح بغير مرجع ، وتفسيح بغير سند ، وخدمة لأولئك الذين غلبوا هذه الأمة وفرقوها إلى شيع وأحزاب بأحابيلهم السياسية الملتوية وبمساعدة السذج من علماء السوء الذين يقفون في كل زمان ضد تفاهم الأمة ووحدتها ، فيقولون: هذا زنديق ، وهذا رافضي ، وهذا شيعي ، وهذا سني ، وهذا جعفري ، وهذا مالكي ، وذلك كفر ، وتلك زندقة... الخ.

وتلك ألفاظ يعافها الذوق السليم ، وتنفر منها الفطرة النقية ، وقد ترفع عن مثل هذه الأمور حتى الكفارة من أهل الكتاب ، وبالتالي تعبّر عن ضيق الصدر ، وتعارض مع مبادئ الأخوة الإسلامية وروح الإسلام العامة .

### الله وحده يعلمكم هو موجب للتعصب ومثير للقرف !

يقول الذهبي في رسالته التي ألفها في الرواية الثقات: « قال أبو عمر بن عبد البر: روينا عن محمد بن وضاح قال: سألت يحيى بن معين - يحيى بن معين هذا من كبار أئمة الجرح والتعديل الذي جعلوا قوله في الرجال حجة قاطعة - سأله عن الشافعي فقال: ليس ثقة . وجعفر بن محمد الصادق وثقة أبو حاتم والنamenti ، إلا أن البخاري لم يبحّج به»<sup>(١)</sup> . فأنت تلاحظ أن يحيى بن معين وهو العملاق الشهير يزعم أن الشافعي ليس ثقة وتلحظ أن البخاري لم يبحّج بالإمام جعفر الصادق واحتجّ بمن هو أقل منه ! وجعفر عليه السلام هو صاحب مذهب أهل البيت الكرام ، وهو أستاذ أصحاب المذاهب الأربع ، وهو العالم الألمعي الذي لا يشق له غبار ، والذي تخرج على يديه أربعة آلاف فقيه ومحدث ، وفوق ذلك كله هو الإمام السادس من أئمة أهل البيت الكرام ، فهو جعفر بن محمد بن زين العابدين بن

(١) راجع آراء علماء المسلمين في النقاية والصحابة وصيانة القرآن للسيد مرتضى الرضوي ٩٧-٩٨ .

الحسين بن علي بن أبي طالب ، ومع هذا لم يحتج به البخاري ولم يوثقه ! وأعرض عن روایات أهل البيت مع أنهم صحابة عند أهل السنة ، والصحابة كلهم عدول .

### نقض نظرية كل الصحابة عدول من حيث الموضوع

يؤمن أهل السنة بالنظرية القائلة بأن كل الصحابة بلا إستثناء عدول ، تلك النظرية التي ابتدعها رجال السياسة الغالبون لغاية في نفس يعقوب ، وألقوا في روع الغافلين الذين يحبون هذا الدين ، بأن هذه النظرية جزء لا يتجزأ من دين الإسلام وفصل ثابت من فصول العقيدة الإلهية ، من شك فيها أو خرج عليها أو ناقشها فهو زنديق لا ينبغي أن يؤكل أو يشارب أو يصلى عليه إذا مات !

في الحقيقة أن الصحبة شرف عظيم ومرتبة عالية ، لكنها بالمعنى اللغوي وبالمعنى الإصطلاحي المتفق عليه عند أهل الملة تشمل كل المسلمين الذين عاصروا رسول الله ، بمعنى أن كل شعب دولة النبي كانوا صحابة ، لأن العبرة والمعول عليه هو:

١ - الالقاء بالنبي .

٢ - الإيمان الصادق به كحال الصحابة الصادقين ، أو التظاهر بهذا الإيمان ، كحال المنافقين وحال الذين حاربوا الإسلام بكل وسائل الحرب ثم أحبطوا واضطروا للإسلام ، لأن كل الأبواب أوصدت في وجوههم إلا باب الإسلام فولجوه ، والله وحده أعلم بنو آياتهم .

٣ - الموت وهو على هذه الحال .

إن هؤلاء المؤمنين الصادقين ، والمنافقين المتظاهرين ، ومن لم يدخل الإيمان في قلوبهم ، لم يكونوا بدرجة واحدة حتى يقال بأنهم جميعاً عدول ، بل

منهم الفتنة المنافقه من المسلمين الذين عاصروا النبي ومات النبي وهم على قيد الحياة . وقد كشف القرآن الكريم بأن منهم مردوا على النفاق ، وخانوا وغدروا ووعدوا فأخلفوا ، وحدثوا فكذبوا ، وابتغوا الفتنة وآذوا النبي ، وقلبوا الأمور . وكانت راية الإسلام ترتفع كل يوم حتى بسطت دولة النبي سلطانها المبارك على الجزيرة ، وأضفت هيبتها على الجميع وأكمل الله الدين وأتم النعمة ، وانتقل النبي إلى جوار ربه ، وتلك الفتنة المنافقه على حالها ، وال المسلمين متفاوتون يا يمانهم وتضحياتهم ومنازلهم .

### العجب العجائب

وبدون مقدمات أو بمقدمات سياسية أصبح كل رعايا دولة النبي عدو لا بحجة أنهم كلهم صحابة شاهدتهم النبي أو شاهدوه ، وآمنوا به أو ظاهروا بالإيمان ، وأنهم ماتوا على هذا الإيمان ، مع أن النظريّة قد ابتدعت في العصر الأموي (عصر خلافة الطلقاء) وقبل أن يموت جيل الصحابة بالمفهوم الأنف الذكر ، أي أنهم قد حكموا بالعدالة قبل أن يتتأكدوا من حسن الخاتمة .

### وجوه النقض

- ١ - أنها تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة .
- ٢ - وتعارض مع السنة النبوية بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير .
- ٣ - أن نظرية عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال .

### تفصيل وإثبات وجوه النقض

- ١ - نظرية عدالة كل الصحابة ، تتعارض مع النصوص القرآنية القاطعة:

### أ- مع ظاهرة النفاق

فقد شاعت ظاهرة النفاق في زمن النبي ﷺ ، وبرز المنافقون كقوة حقيقة يحسب حسابها ، والمنافقون هم فئة آمنت بالظاهر ، فهم بأفواههم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ويرددون نفس الألفاظ والمصطلحات التي يرددوها المسلمون خداعاً واستهزاءً: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ». وهم يجاهرون بذلك ويحرصون على أن يسمعه النبي والذين آمنوا: «وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا أَمَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ».

ولا تقتصر ظاهرة النفاق على القول بل تتعداها إلى العمل ، فقد كانوا يُصلّون وينفقون ويقدمون الأعذار إذا تخلفوا عن الخروج مع النبي ، ويكررون مزاعمهم بالإيمان . وسلوك الإنسان يعكس عاجلاً أم آجلاً حقيقة اعتقاده ، لكن النوايا لله ، والنبي يعني بالظاهر والسلوك ويكل الباطن إلى الله ، وهو بطبيعته رؤوف رحيم خلوق ، ونموذج فرد للإنسان الكامل ، ولكنهم تجاوزوا الحدود فبدأت الآيات القرآنية تننزل وتكشف حقائقهم ، من ذلك:

«وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ. يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ... وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ»

«وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفْقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفَقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ».

«وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَا عَدُوا لَهُ عَدَّةٌ وَلَكِنْ كَرَهَ اللَّهُ ابْعَاثَهُمْ فَثَبَطَهُمْ... لَوْ خَرَجُوا فِيْكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضَعُوا خَلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيْكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ»

«يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكُنْهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ». «وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَنْذَنِ لِي وَلَا تَفْتَنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لِمُحِيطَةٍ بِالْكَافِرِينَ».

## بـ- مع الحكم الإلهي القاطع

بعد أن كشف حقيقتهم وعرى بواطنهم ، أصدر حكمه العادل الذي يتلاءم وجريمتهم بالكذب على الناس وعلى الله ، وكلف نبيه أن يبلغهم مضمون هذا القرار الإلهي وحيثياته وأسباب صدوره « قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم » لماذا ؟ لأنهم يخادعون الله والذين آمنوا ، ومزاعمهم بالإيمان غير صحيحة وبالتالي فقد كفروا بالله ورسوله بالرغم من كل مزاعمهم ، وأذاع النبي القرار الإلهي ووضع كل الحقائق أمام الجميع . ومع هذا لطبيعته الفذة كان يستغفر لهم ويسأل الله لهم الهدایة فجاءه الرد الإلهي واضحاً « إستغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين » .

## أمثله على تعارض نظرية عدالة كل الصحابة مع القرآن

المثال الأول: قال تعالى: « وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ أَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصْدِقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ . فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخْلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُغْرِضُونَ . فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَقُوا اللَّهُ مَا وَعَدَهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ! » إنها قصة ثعلبة ، ذلك الصحابي المعدم الذي سأله الرسول أن يدعوا الله له حتى يرزقه المال ، فقال له الرسول: « ويحك يا ثعلبة قليل تشكره خير من كثير لاتطيقه ! فقال ثعلبة: والذي يبعثك بالحق لئن دعوت الله فيرزقني مالاً لأعطيك كل ذي حق حقه . فقال الرسول: اللهم ارزق ثعلبة مالاً ، فرزقه الله ونمأه له ، وعندما طلب منه الرسول زكاة أمواله بخل ثعلبة معللاً بخله بأن هذه الزكاة جزية وامتنع

عن دفعها ! ومات النبي وثعلبة على قيد الحياة ، فأرسل زكاة أمواله إلى أبي بكر الصديق فرفضها وأرسلها إلى عمر فرفضها وهلك ثعلبة في زمن عثمان<sup>(١)</sup>

المثال الثاني: قال تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَاهِمُ النَّارُ كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَعْدَدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُتُبَتْ بِهِ تُكَذِّبُونَ» المؤمن هو علي بن أبي طالب ، والفاشق هو الوليد بن عقبة وقد تولى الكوفة لعثمان ، وتولى المدينة لمعاوية ولابنه يزيد.<sup>(٢)</sup>

المثال الثالث: قال تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يَدْعُ إِلَى الْأَسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي سرح وهو والي عثمان على مصر ، فهو الذي افترى على الله الكذب ، وأباح الرسول دمه ولو تعلق بأستار الكعبة كما يروي صاحب السيرة الحلبية الشافعي في فتح مكة ،

(١) راجع على سبيل المثال تفسير فتح القدير للشوكتاني: ١٨٥/٢ وتفسير ابن كثير: ٣٧٣/٢ . وتفسير الخازن البغدادي: ١٢٥/٢ . وتفسير البغوي: ١٢٥/٢ بهامش تفسير الخازن . وتفسير الطبرى: ١٣١/٦ .

(٢) راجع شواهد التنزيل للحاكم الحسكنى الحنفى ٤٤٥ ، ٤٥٣ ، ٤٥٣ و ٦١٠ و ٦٢٤ و مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلى الشافعى ٣٢٤ و ٣٧١ و تفسير الطبرى: ١٠٧ والكشف للزمخشري: ٥١٤/٣ وفتح القدير للشوكتاني: ٢٥٥/٤ و تفسير ابن كثير: ٤٦٢/٣ وأسباب التزول للواحدى ٢٠٠ وأسباب التزول للسيوطى مطبوع بهامش تفسير الجلالين ٥٥٠ وأحكام القرآن لابن عربى: ١٤٨٩/٣ وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٨٠/٤ و ٢٩٢/٦ وكفاية الطالب للكنجي الشافعى ١٤٠ والدر المثور للسيوطى: ١٧٨/٥ وذخائر العقى للطبرى الشافعى ٨٨ والمناقب للخوارزمى الحنفى ١٩٧ ونظم درر السلطين للزرندى الحنفى ٩٢ ، وتنذكرة الخواص للبسط الجوزي الحنفى ٢٠٧ ومطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى وينابيع المودة للقندوزى الحنفى ٢٥٠ وزاد المسير لابن الجوزي الحنفى ٣٤٠/٦ وأسباب الأشراف للبلاذرى ج ١٤٨/٢ ح ١٥٠ ، وتفسير الخازن: ٤٧٠/٣ و ١٨٧/٥: و معالم التنزيل للبغوي الشافعى بهامش الخازن: ١٨٧/٥ . وراجع السيرة الحلبية للحلي الشافعى: ٨٥/٢ والكشف لابن حجر العسقلانى مطبوع بذيل الكشاف: ٥١٤/٣ والإنتصاف فيما تضمنه الكشاف ، بذيل الكشاف: ٢٤٤/٣ وإحقاق الحق: ٢٧٣/٣ وفضائل الخمسة من الصاحب الستة: ٢٦٨/١ والمراجعات: ٦٤ .

و جاء به عثمان يوم الفتح يطلب الأمان له ، و سكت الرسول على أمل أن يُقتل خلال سكوته كما أوضح رسول الله ، ولما لم يقتل أعطاه الأمان !<sup>(١)</sup>

### ١ - حكم الله في الثلاث

في المثال الأول: حكم الله باتفاق قلب ثعلبة وأنه من الكاذبين . وفي المثال الثاني: بين الله أن الوليد بن عقبة فاسق وأنه من أهل النار وأنه لا مجيد له عنها ولا مخرج لها منها . وفي المثال الثالث: بين الله أن عبدالله بن أبي سرح افترى على الله الكذب وحاول أن يحرف كتاب الله ، وهو من أكثر الخلق ظلماً ، وبين أن من المحال أن يهتدي لأن الله لا يهدي القوم الظالمين !

### ٢ - حكم أهل السنة في الثلاث

هؤلاء الثلاثة من الصحابة توفرت فيهم شروط الصحبة بالمعنىين اللغوي والإصطلاحي ، وبما أنهم صحابة فهم عدول لا يجوز عليهم الكذب ومحكوم بنزاهتهم ، وهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ، كيف لا وعبد الله بن أبي سرح وهو والي مصر لعثمان وأحد وزرائه ، وكذلك الوليد بن عقبة فهو والي الكوفة وهو الذي صلّى الصبح أربعاء ولو طلبوا الزيادة لزادهم ! وهو وزير عثمان ووالي معاوية على المدينة ! ومن ينتقص من هؤلاء الثلاثة فهو زنديق ، ولا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلّى عليه إذا مات !

أيهما الأولى بالتصديق: كتاب الله وحكمه ، أم التقليد الأعمى؟!

---

(١) راجع السيرة الحلبية باب فتح مكة .

## ٢ - نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع السنة النبوية

المثال الأول: ذو الثدية فقد كان من الصحابة المتنسكون ، وكان يعجب الناس تعبده وإجتهاده ، وكان رسول الله يقول «إنه لرجل في وجهه لسعة من الشيطان» . وأرسل أبا بكر ، ليقتلته فلما رأه يصلِّي رجع ، وأرسل عمر فلم يقتله ، ثم أرسل عليهما فلم يدرِّكه <sup>(١)</sup> وهو الذي ترأس الخوارج وقتله على <sup>(٢)</sup> يوم النهروان .

المثال الثاني: كانت مجموعة من الصحابة يجتمعون في بيت أحدهم يشطرون الناس عن رسول الله فأمر من أحرق عليهم هذا البيت <sup>(٣)</sup>

المثال الثالث: قزمان بن الحرت قاتل مع رسول الله في أحد قتال الأبطال ، فقال أصحاب النبي: ما أجزأنا أحد كما أجزأنا فلان ، فقال النبي «أما إنه من أهل النار» ! ولما أصابته الجراح وسقط قيل له هنيئاً لك بالجنة يا أبا الفيداق . قال جنة من حرمل؟ والله ما قاتلنا إلا على الأحساب» <sup>(٤)</sup>

المثال الرابع: الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس عم عثمان بن عفان ووالد مروان بن الحكم ، لعنه رسول الله <sup>(٥)</sup> ولعن ما في صلبه وقال: «ويل لأمتى مما في صلب هذا» ومن حديث عائشة أنها قالت لمروان: «أشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه» فنفاه النبي إلى مرج قرب الطائف وحرم عليه أن يدخل المدينة ، ولما مات رسول الله راجع عثمان أبا بكر ليدخله فرفض ، ولما مات أبو

(١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة: ٤٣٩/١.

(٢) راجع آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي .

(٣) راجع سيرة ابن هشام: ٢٣٥/٣ .

(٤) راجع الإصابة: ٢٢٥/٣ وراجع آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى ١٢٧ وما فوق .

(٥) راجع النسائي: ٦٤٥٩.

بكر راجع عمر ليدخله المدينة فأبى ، ولما تولى عثمان الخلافة أدخله معززاً مكرماً وأعطاه مائة ألف درهم ، واتخذ مروان ابنه صهراً وبطانة له فتسرب فيما بعد بقتل الخليفة وخراب الخلافة الراشدة وكان مروان يلقب بـ «خيط باطل» ثم صار خليفة المسلمين . يقول الشاعر:

«لَهُ إِنَّمَا أَمْرَوْا خَيْطَ بَاطِلٍ عَلَى النَّاسِ يَعْطِي مِنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ»<sup>(١)</sup>  
 المثال الخامس: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضَرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلٍ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ . وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الصَّحَابَةِ الْمُنَافِقِينَ»<sup>(٢)</sup>

المثال السادس: لعن الرسول لبعض الصحابة . قال الحلببي في رواية: «صايقول» اللهم العن فلاناً وفلاناً»<sup>(٣)</sup> وأخرج البخاري قال: حدثني سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله إذا رفع رأسه من الركوع من الركعة الأخيرة من الفجر يقول: اللهم العن فلاناً وفلاناً ، بعد ما يقول: سمع الله لمن حمده . وقال السيوطي وأخرج أحمد والبخاري والترمذى والنمسائي وابن جرير والبيهقي في الدلائل عن ابن عمر قال: قال رسول الله يوم أحد: «اللهم العن أبا سفيان ، اللهم العن العرث بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن أمية» قال السيوطي وأخرج الترمذى وصححه وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عمر قال: «كان النبي يدعى على أربعة نفر وكان يقول في صلاة الفجر: اللهم العن فلاناً وفلاناً»<sup>(٤)</sup> وأخرج نصر بن مزاحم المنقري عن عبد الغفار بن القاسم عن عدي بن ثابت عن

(١) راجع تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٧٩/٥٧.

(٢) راجع سيرة ابن هشام: ٩٥٦/٤.

(٣) السيرة الحلبية: ٢٣٤/٢.

(٤) الدر المتنور: ٧١/٦.

البراء بن عازب قال: أقبل أبوسفيان ومعه معاوية ، فقال رسول الله « اللهم العن التابع والمتبع ، اللهم عليك بالأقيucus . فقال ابن براء لأبيه: مَن الأقيucus؟ قال: معاوية»<sup>(١)</sup> وأخرج نصر عن علي بن الأق默 في حديثه قال: فنظر رسول الله إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق ، فلما نظر إليهم قال: « اللهم العن القائد والسائق والراكب» قلنا أنت سمعت رسول الله؟ قال: نعم ، وإلا فصمت أذناي». <sup>(٢)</sup>

وانظر إلى رسالة محمد بن أبي بكر الصديق إلى معاوية فقد جاء فيها: « وقد رأيتك تسامي وانت أنت وهو هو ! أصدق الناس نية ، وأفضل الناس ذرية ، وخير الناس زوجة ، وأفضل الناس ابن عم . أخوه الشاري بنفسه يوم مؤته . وعمه سيد الشهداء يوم أحد ، وأبواه الذاب عن رسول الله ونحن حوزته . وأنت اللعين ابن اللعين ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لرسول الله الغوائل وتجهداً في إطفاء نور الله تجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتؤلبان عليه القبائل ، وعلى ذلك مات أبوك وعليه خلفته»<sup>(٣)</sup> ولم ينف معاوية لعنة ولا لعن أبيه ، مع أنه رد رداً بلغاً على الرسالة . <sup>(٤)</sup>

المثال السابع: الرسول ﷺ بفضل الله عليه على علم بما سيحدث بعده ، لذلك خاطب جميع المؤمنين في حجة الوداع قائلاً: « لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم أنفاس بعض» والخطاب موجه للصحابة بالمعنى اللغوي والإصطلاحى .

(١) وقعة صفين ٢١٧ تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٢٢٠ تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

(٣) راجع مروج الذهب للسعودي: ١٤/٣ وقد نقلت هذا المقتطف حرفاً .

(٤) راجع مروج الذهب للسعودي: ١٥/٣ و ١٦ .

وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي قال: «إنكم تحشرون حفاة عراة ، وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات اليمين وذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدین على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول كما قال العبد الصالح: و كنت عليهم شهيداً مادمت فيهم ». وروى مسلم هذا الحديث بلفظ: «ليردن عليَّ ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلعوا من دوني فأقول أصحابي فيقول لا تدرِّي ماذا أحدثوا بعده» وروى البخاري عن النبي: « بينما أنا قائم ، فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلْ ، قلت: أين ؟ قال: إلى النار والله ، قلت: وما شأنهم ؟ قال: إنهم ارتدوا بعدي على أدبارهم الفهقري ، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم. أي القلة القليلة ». وفي رواية أخرى قال النبي: « يرد عليَّ يوم القيمة رهط من أصحابي فيحلُّون عن الحوض فأقول: يا رب أصحابي ، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا ، إنهم ارتدوا على أدبارهم الفهقري ».

وأخرج عن سهل بن سعد : قال النبي ﷺ: «ليوردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم ». قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل فقلت: نعم ، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: « فأقول إنهم مني فيقال: إنك لا تدرِّي ما أحدثوا بعده ، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غيري بعدي ». .

وأخرج من حديث ابن عباس: « وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدین على أعقابهم منذ فارقتهم ». .

وأخرج أبو يعقوب في مسند عمر مثل ذلك . وأخرج البخاري في باب غزوة الحديبية عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب فقلت له: طوبى لك صحبت النبي وبأيته تحت الشجرة ، فقال: يا ابن أخي إنك لا تدرِّي ما أحدثناه بعده . وأخرج عن عبدالله عن النبي ﷺ: « أنا فرطكم على الحوض

وليرفض رجال منكم ثم ليختلجن دوني فأقول: يا رب أصحابي فيقال: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعده» قال البخاري: تابعه عاصم عن أبي وائل وقال حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي . وأخرج عن أسماء بنت أبي بكر: «إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي ، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعده؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم» قال البخاري فكان ابن مليكة يقول: «اللهُم إنا نعوذ بك أَن نرجعُ عَلَى أَعْقَابِنَا وَنَفْتَنَ عَنْ دِينِنَا» .

هذا بعض ما نقلناه خاصة من البخاري ومسلم ، ومثلها كثير أعرضنا عنه خشية التطويل .<sup>(١)</sup>

### تحليل هذه النماذج من النصوص

الأمثلة التي سقناها عن رسول الله ، تنقض نقضاً كاملاً القول بأن كل الصحابة عدول ! فمن يأمر الرسول بقتله ليس من العدول . ومن يحرق عليهم رسول الله البيت ليسوا من العدول . ومن يقول عن الجنة: جنة من حرمل ويقاتل على الأحساب ليس من العدول . ومن يلعنه الرسول ويلعن ما في صلبه ليس من العدول . والذين اتخذوا مسجداً ضراراً ليسوا من العدول . والقول بعد التهم يتعارض مع السنة المطهرة فهي تنفي هذه العدالة ، والمقلدون تقليداً أعمى بدون تفكير يثبتونها ! فـأيـهـماـ أولـىـ بالـتـصـديـقـ ،ـ سـنـةـ المصـطـفـىـ أمـ التـقـلـيدـ؟ـ!

وقد ثبت من الأحاديث التي سقناها أن قسماً من الصحابة سيبدلون من بعده

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقبة والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي ١٠٠ وما فوق ، ومسند الإمام أحمد: ٥٠٥ و ٢٣٥/١.

وسيرتدون على أعقابهم وسيؤمر بهم إلى النار . وممن أخرج هذه الأحاديث البخاري ومسلم ، وهما في نظر المقلدين يأتيان بعد القرآن في الصحة والإعتبار ، فكيف نوحّد بين قولهم بأن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ، وبين هذه النصوص النبوية القاطعة المتواترة والتي يؤيدها واقع الحال ؟ وطالما أنه لا يمكن التوحيد بين المزاعم والنصوص فإن نظريّة عدالة كل الصحابة منقوضة من أساسها ، لأنها تتعارض مع صريح السنة .

نعم لا خلاف بعدالة أفضل الصحابة ، ولكن الخلاف يكمن في التعميم والقول إن كل الصحابة عدول ، لأن السنة المطهرة تنقضه !

### ٣ - نظريّة عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال

المثال الأول: حصل معاوية على البيعة بالتفتييل والتدمير والتحريق وشتمه أنصار رسول الله ، وقد استغل أموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاماً بولايته على الشام لتوطيد سلطانه ، بعد أن أخرج أموال المسلمين عن مصارفها الشرعية ، ورتب عطاء اسمه: رزق البيعة يعطي للجند عند تعيين خليفة جديد<sup>(١)</sup> وتأكد بأن لا يطلب غير الملك عند ما كتب وصيته من بعده ليزيد ابنه وأخذ له البيعة بالقوة<sup>(٢)</sup> وأمره على صحابة رسول الله بالرغم من مجونه وقلة دينه وسوء خلقه !

المثال الثاني: أوصى معاوية ابنه يزيد (إذا ثار أهل المدينة فأرسل إليهم مسلمة بن عقبة) وكان مع مسلمة قائمة بأسماء الطاهرين من الصحابة ليقتلهم

(١) راجع نظام الحكم للقاسمي / ٢٨٣ .

(٢) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام / ١٨٢ .

واحداً واحداً واحداً . ويدخل عقبة عاصمة النبي وي فعل الأفاعيل التي تضج منها السماء ، ومروان دليل الجيش يؤشر وعقبة وجيشه المظفر ينفذ ويعدم بغير رحمة وتم تنفيذ أبشع مجزرة وكان من نتيجة هذه الوصية أن:

١ - أيد من حضر من البدريين بالكامل .

٢ - أيد من قريش ومن الأنصار سبعمائة رجل .

٣ - أيد من الموالي والعرب عشرة آلاف . كان ذلك سنة ٦٣ هـ في وقعة الحرة . هنالك قال عبد الله بن عمر (نحن مع من غالب ) وتحول قوله إلى قاعدة دستورية ، وكان معتزلاً عندما اشتد الصراع بين علي ومعاوية .<sup>(١)</sup>

المثال الثالث: أرسل معاوية بسر بن أرطاة في ثلاثة آلاف سنة ٤٠ هـ وقدم المدينة فصعد المنبر وتهدد أهل المدينة بالقتل فأجابوه إلى بيعة معاوية ، ومضى بسر إلى مكة ثم سار إلى اليمن ولم يجد واليها عبيد الله بن العباس ووجد طفليه الصغيرين عبد الرحمن وقاسم فقتلهما بسر ، ذبحهما بختجره على درج صنعاء ، وقتل معهما خالاً لهما من ثقيف ، وقتل بالمدينة وبين المسجدتين خلقاً كثيراً ، وكذلك بالجوف قتل بها خلقاً كثيراً من رجال همدان ، وقتل بصنعاء خلقاً كثيراً من الأبناء . ولم يبلغه عن أحد أنه يمالئ علياً أو يهواه إلا قتله<sup>(٢)</sup>

وكانت جويرية أم ابني عبيد الله بن العباس الذين قتلهم بسر تدور حول البيت ناشرة شعرها وترثيهم بعاطفه تذيب الصلخد الصلد .<sup>(٣)</sup>

(١) راجع نتائج معركة الحرة في كتب التاريخ وتأكد من صحة هذه النتائج . كمثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة .

(٢) راجع الإمامة والسياسة ، ومروج الذهب للمسعودي: ٢٦٣ .

(٣) راجع مروج الذهب: ٢٧٢ .

**المثال الرابع:** ذكر أن امرأة الحسن بن علي عليهما السلام جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم ، وكان معاوية دس إليها: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك من يزيد ، فكان ذلك الذي بعثها على سمه . فلما مات الحسن وفي لها معاوية بالمال وأرسل إليها: إننا نحب حياة يزيد ولو لا ذلك لوفينا لك بتزويجه . وذكر أن الحسن عليهما السلام قد قال عند موته «لقد حاقت شربته وبلغ أمنيته والله ، لا وفي لها بما وعد ، ولا صدق فيما قال ».

وعن العباس بن عبد المطلب قال: كنت عند رسول الله إذ أقبل علي بن أبي طالب ، فلما رأه أسف عن وجهه فقلت يا رسول الله إنك لتسفر في وجه هذا الغلام فقال « يا عم رسول الله والله أشد حباً له مني ، إنه لم يكننبي إلا وذرته الباقيه بعده من صلبه ، وإن ذريتي بعدي من صلب هذا»<sup>(١)</sup>

ومن سهمهم معاوية عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وذلك عند ما شاور أهل الشام فيمن يعقد له من بعده فقالوا: رضينا بعد الرحمان ، فشق ذلك على معاوية فسمه<sup>(٢)</sup> وهذا ما فعله مع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق .

**المثال الخامس:** الفرحة الكبرى . حدث محمد بن جرير الطبرى عن محمد بن حميد الرازي ، عن علي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الفضل بن عباس بن ربيعة قال: وفد عبد الله بن العباس على معاوية قال: فوالله إني لفي المسجد إذ كبر معاوية في الخضراء فكبر أهل الخضراء ، ثم كبر أهل المسجد بتكبير أهل الخضراء ، فخرجت فاختة بنت قرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي ٤٧٧:٢/٢.

(٢) راجع ترجمته في الاستيعاب وراجع ١٧٥، من كتاب شيخ المضيرة .

من خوخة لها فقالت: سرّك الله يا أمير المؤمنين ، ما هذا الذي بلغك فسررت به ؟  
 فقال معاوية: موت الحسن بن علي ، فقالت: إنما الله وإنما إليه راجعون ، ثم بكت  
 وقالت: مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله ! فقال معاوية: نعمًا والله ما فعلت  
 إنه كان كذلك أهلاً أن تبكي عليه . ثم بلغ الخبر ابن عباس فراح فدخل على  
 معاوية قال: علمت يا ابن عباس أن الحسن توفي ؟ قال: أذلك كبرت ؟ قال: نعم<sup>(١)</sup>  
 المثال السادس: تقدم الجيش بقيادة الصحابي عمرو بن سعد بن أبي وقاص ...  
 ولما تكاثرت العساكر على الحسين عليهما السلام يقين أنه لا محيسن له فقاتل حتى قتل .  
 وكان الذي تولى قتله رجل من مذحج وأخذ رأس الحسين وانطلق به إلى ابن  
 زياد وهو يقول: أوقر ركابي فضة وذهبأ أنا قلت الملك المحجا  
 قلت خير الناس أما وأبا وخيرهم إذ ينسبون نسبا  
 فسلبوه جبهه وحذاءه كما يروي البلاذري في أنساب الأشراف ، ولم  
 يكتفوا بذلك ، إنما أمر الصحابي عمرو بن سعد أن يوطئوا خيلهم جثة الحسين ،  
 فانتدب لذلك إسحاق بن هبيرة الحضرمي في نفر منه فوطئوه بخيلهم !<sup>(٢)</sup> وعاد  
 عمرو بن سعد بن أبي وقاص مظفراً ، بعد أن أباد ذرية محمد ، وماتوا وهم  
 عطاشى ، وبجانبهم الفرات حلال حتى للكلاب وحرام على ذرية محمد<sup>(٣)</sup> !

المثال السابع والأخير: قال الحسن عليهما السلام اجتماعه بمعاوية « يا أهل الكوفة  
 لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهبكم: مقتلكم أبي ، وسلبكم ثقلبي ،  
 وطعنكم في بطني ، وإنني قد بايعت معاوية »<sup>(٤)</sup> وكان عليهما السلام بعد تولي الخليفة قد خرج

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٤٧٨/٢ - ٤٧٩.

(٢) راجع مقتل الحسين في أنساب الأشراف للبلاذري.

(٣) راجع مروج الذهب: ٩/٣.

في جيش قوامه اثني عشر ألفاً وعسcker في المداين فقام بعض من معه بمباغته وسلبوه رحله ، وتفرقوا عنه وخذلوه ، بل أن بعضهم أراد أن يوثقه ويسلمه لمعاوية موثقاً ، وبعضهم أراد قتله .

### تحليل هذه الأمثلة

التقتيل والتدمير والتحريق ، وإبادة البدريين ، وقتل أحد عشر ألف مسلم بيوم واحد من أهل المدينة المنورة بلا ضرورة ، أمرٌ ينافق العدالة . وقتل الأطفال وقتل كل من يظن أنه يهوى ولـي الله علياً أمرٌ لا يتفق ودعوى العدالة . وسمُّ الحسن ، وقتل الحسين ، والدوس على جثته الطاهرة بستابك الخيل ، وإبادة آل محمد ومنعهم من أن يشربوا من ماء الفرات ، أمرٌ ينافق الزعم بالعدالة .

هذه الأمور وأمثالها مما لا يحصى تنقض بوقوعها مزاعم كل الذين يقولون إن الصحابة كلهم عدول ، وإنهم كلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار لأننا لو قلنا بذلك لكان فيه مكافأة للذين انتهكوا محارم الله .

إن سـمـ الحسن وقتل الحسين وإبادة أهل البيت ، وإبادة أفضـلـ الصحابة لا يمكن أن يكون إجتهاـداـ إنما هو عـدوـانـ . ومن يفعل ذلك لا يمكن أن يكون من العدول بكل المعايير العقلية والدينية ووفق كل الشرائع الوضعية التي عرفها البشر يتـرـفـعـ أيـ قـائـدـ أمـريـكيـ أوـ فـرنـسيـ أوـ روـسيـ أوـ وـثـنيـ منـ أنـ يـقـومـ بـقـتـلـ طـفـلـينـ صـغـيرـينـ فـيـ غـيـابـ أـبـيهـماـ كـمـاـ فـعـلـ اـبـنـ أـرـطـاـةـ ، فـقـتـلـ الطـفـلـينـ ذـبـحاـ بـخـنـجـرهـ ، وـقـتـلـهـماـ لـاـ يـقـدـمـ وـلـاـ يـؤـخـرـ فـيـ مـلـكـ مـعـاوـيـةـ أـوـ مـلـكـ اـبـنـهـ ، فـهـوـ عـمـلـ بـكـلـ المـقـايـيسـ وـحـشـيـ لـاـ يـمـكـنـ تـبـرـيرـهـ ، فـهـلـ يـعـقـلـ أـنـ مـنـ يـقـومـ بـهـذـاـ عـمـلـ أـوـ يـأـمـرـ بـهـ مـنـ الصـحـابـةـ العـدـولـ ؟ـ وـهـلـ يـعـقـلـ أـنـ يـدـخـلـهـ اللـهـ الـجـنـةـ ؟ـ لـكـنـ التـقـلـيدـ يـجـعـلـكـ تـقـبـلـ كـلـ

غريب ، أما وفق قواعد الشرع الحنيف فإنه غير مقبول .  
 ومن هنا فإن واقع الحال وما جرى بعد وفاة النبي ﷺ ينقض نقضاً كاملاً  
 نظرية كل الصحابة عدول ، لأن ما جرى ينافقها !  
 بل ما وجدت هذه النظرية أصلاً إلا لغايات سياسية كما سثبت ذلك ،  
 ولتفطية الخروج على الشرعية ، ولبرير توسيد الأمر لغير أهله ، والله غالب على  
 أمره ، ثم تناقل الناس هذه النظرية تقليداً كما يتناقلون الأزياء .

### تهاافت نظرية عدالة كل الصحابة

روى ابن عرفة المعروف بنفطويه ، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم كما جاء في شرح النهج: «أن أكثر الأحاديث في فضائل الصحابة قد افتعلت أيام بني أمية ، تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بني هاشم . وقد صيغت بأسلوب يجعل من كل صحابي قدوة صالحة لأهل الأرض ، وصبت اللعنة على كل من طعن في أحد منهم ، كما جاء فيما روى عن أنس بن مالك: من سب أحداً من أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ومن عابهم أو انتقصهم فلا تؤكلوه ولا تشاربوه ولا تصلوا عليه» ! وقد جاءت بهذا الأسلوب ولم تفرق بين صحابي وصحابي !

### عرض

ولي الله بالنص ، وأخو رسول الله بالنص ، وعميد آل البيت بالنص ، وباب مدينة العلم اللدني بالنص ، هو على الأقل صحابي يحمل هذا اللقب كما يحمله غيره ، فما حكم من يسبه ويفرض سبّه والانتقاد منه في جميع المقاطعات التي كانت تخضع لحكم معاوية ؟ وما حكم الذين أطاعوا معاوية بسبه ؟ هل يشملهم

هذا الحديث الآنف ؟ وعند ما نصح معاوية بعض خلصائه للتوقف عن سب علي وشيعته قال: والله لا أدع سبه وشتمه حتى يهرم عليه الكبير ويشب عليه الصغير . وقد بذل للصحابي أبي سمرة بن جندب خمسمائة ألف درهم ليروي له عن النبي أن الآية « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصم وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها وبهلك الحرج والنسل والله لا يحب الفساد » نزلت في علي بن أبي طالب . وإن الآية « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاه الله » نزلت في عبد الرحمن بن ملجم لأنه قتل علياً عثثة . فما لهذه النظرية تفرق بين صحابي وصحابي وتطبق على أناس دون آخرين ؟ لاعاقل في الدنيا ينفي أن شتم علي وآلها فرضته الدولة على كل رعاياها ، وأنهم قد شاركوا الدولة هذا الإثم رهبة أو رغبة .

### دور الصحابة في التشريع

في عهد الصحابة والطبقة الأولى من التابعين كان دور الصحابة منحصراً على نقل أقوال الرسول وأفعاله . لكن بعد أن كانت السنة لا تتعدي أقوال الرسول وأفعاله عند متقدمي الصحابة ، أصبحت في العصور التي تعددت فيها المذاهب تتسع لرأي الصحابي وفتواه ، فإذا لم يجدوا نصاً على حكم الواقع في كتاب الله وسنة الرسول أصبحت آراء الصحابة في أحكام الحوادث التي كانت تعرض عليهم المصدر الثالث من مصادر التشريع بعد كتاب الله وسنة رسوله !

ولعل أئمة المذاهب الثلاثة وعلماءهم: الأحناف والمالكية والحنابلة أكثر تعصباً من الشوافع كما يبدو ذلك من تصريحاتهم ومجاميعهم الفقهية . ومع أن أبا حنيفة كان متحمساً للقياس ويراه من أفضل المصادر بعد كتاب الله ، فقد كان

يقدم رأي الصحابي إذا تعارض في مورد من الموارد . وجاء عنه أنه كان يقول: إذا لم أجد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه ، فإذا اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة آخذ بقول من شئت وأدع من شئت ، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين . وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم ، أن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: ١ - النص . ٢ - فتوى الصحابة . وأن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص الكتاب بعمل الصحابي لأن الصحابي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل ، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص وقوله بمنزلة عمله .<sup>(١)</sup>

وما أبعد ما بين أهل السنة وبين أهل الشيعة القائلين بعدم جواز الإعتماد على السنة في مقام التشريع إلا إذا تأيدت بأية من القرآن لأن فيه تبيان كل شيء ، وقد نزل بلغة العرب وبأسلوب يفهمه كل عربي ، وذلك لأن السنة روتها عن الرسول جماعة يجوز عليهم الخطأ والكذب ، وكانوا لا يقبلون مرويات بعضهم أحياناً ، ويعمل كل منهم بما يوحيه إليه إجتهاده ، وقد تراشقوا بأسوأ التهم واستحل بعضهم دم بعض .<sup>(٢)</sup>

ومهما كان ، فأقوال الصحابة وأراؤهم واجتهاداتهم ، من أبرز أصول التشريع عند الجمهور بعد كتاب الله تعالى ، بل في رتبته ، بل قبله ، فهم يخصصون بها عمومات القرآن ، ويقيدون بها مطلقاته ، وينسخون بها آياته ! وكأنها وحي من السماء قبل القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !

(١) راجع أبي حنيفة لأبي زهرة/٣٠٤ وراجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانته القرآن الكريم/٨٧ وما فوق لقد لخصنا ما ذكره في هذا المجال الإيماني لموافقته للصواب .

(٢) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعرفة الدوالبي/٢١٧ .

وهذا الغلو في تقديس الصحابة لا يختلف عن العصمة في شيء ، بل يزيد عنها ، وهو يتسع للمنافقين وللمشركين الذين أرغموا على التظاهر بالإسلام ! وقد تحول هذا الغلو عند تأسيس المذاهب الفقهية إلى وسيلة لمحاربة أئمة أهل البيت عليهم السلام في فقههم وأصولهم وجميع تعاليمهم التي تجسد الإسلام في جميع مراحله وفصوله ، صافياً كما ورثوه عن جدهم على عليهم السلام الذي هو مدينة علم النبي صلوات الله عليه. وقد كان الأئمة عليهم السلام يقولون: «إذا حدثنا لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فأطرحوه». كما كان الإمام الصادق عليه السلام يقول: «حديثي حديث أبي. وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله ، وحديث رسول الله قول الله »<sup>(١)</sup>

○ ○

---

(١) لقد اقتطعنا هذا الموضوع من كتاب آراء علماء المسلمين للسيد مرتضى الرضوي ، فارجع إليه ٨٧ وما فوقه . وغايتنا وضع الحقيقة الشرعية أمام طلابها .

## الفصل الرابع

### نظرية عدالة الصحابة عند الشيعة

#### ١ - موالة الشيعة للصحابة

يقول السيد مرتضى الرضوی: الشيعة يوالون أصحاب محمد ﷺ الذين أبلوا البلاء الحسن في نصرة الدين ، وواجهدوا بأنفسهم وأموالهم .  
اتهام الشيعة بسب الصحابة وتکفيرهم أجمع هو اتهام بالباطل ، ورجم بالغيب وخضوع للعصبية ، وتسليم للنزعة الطائفية ، وجريّ وراء الأوهام والأباطيل .

#### ٢ - من هم الصحابة عند الشيعة

الصحبة تشمل كل من صحب النبي أو رأه أو سمع منه ، فهي تشمل المؤمن والمنافق والعادل والفاسق والبر والفاجر...  
وليست بمجردها عاصمة تلبس صاحبها أبراد العدالة ، وإنما تختلف منازلهم وتفاوت درجاتهم بالأعمال ولنا في كتاب الله وأحاديث رسول الله كفاية عن التمثيل في الاستدلال على ما نقول ، والآثار شاهدة على ما نذهب إليه ، وأن فيهم العدول من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ورسخت أقدامهم في العقيدة

وجري الإيمان في عروقهم ، وأخلصوا الله فكانوا بأعلى درجة من الكمال . وقد وصفهم الله عز وجل بقوله: «أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءُ يَسْتَهِمُ تَرَاهُمْ رَكِمَا سُجَّدًا يَسْتَغْوِنُ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا أَنَّا سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأَنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأً فَأَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُغْبِبُ الزَّرَاعَ لِيغْبِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»<sup>(١)</sup> وهم المؤمنون: «الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» وقد أمر الله باتباعهم والإقتداء بهم ، بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» .

هؤلاء هم أصحاب محمد العدول . والشيعة إنما يناقشون أعمال ذوي الشذوذ من الصحابة بحرية فكر ، وتزن كل واحد منهم بميزان عمله ، فلا يوادون من حاد الله ورسوله ويترؤون من اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله . وهم بهذا الأسلوب لا يخالفون كتاب الله وسنة رسوله وعمل السلف الصالح في تمييز الصحابة.

### ٣ - نقطة الخلاف الجوهرية

أهل السنة يقولون بعدالة كل الصحابة بالمعنىين اللغوي والإصطلاحي . والشيعة يقولون بعدالة المتصف بالعدالة من الصحابة فقط .

### ٤ - دعاء الشيعة لأصحاب محمد

إن الدعاء الذي ترددت الشيعة لأصحاب محمد لدليل قاطع على حسن ولاء

الشيعة للصحابة وإخلاص المودة لهم . فهم يدعون الله لاتباع الرسل عامة ولأصحاب محمد خاصة بما ورثوه من أئمتهم الطاهرين .

#### ٥ - من أدعية الشيعة للصحابة

من أشهرها دعاء الإمام زين العابدين ع في صحيفته المعروفة بالصحيفة السجادية ، وهو: «اللهم وأتباع الرسل ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب عند معارضه المعاندين لهم بالتكذيب ، والإستباق إلى المرسلين بحقائق الإيمان ، في كل دهر وزمان أرسلت فيه رسولاً ، وأقمت لأهله دليلاً ، من لدن آدم إلى محمد ﷺ ، من أئمة الهدى وقادة أهل التقى على جميعهم السلام ، فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان . اللهم وأصحاب محمد خاصة الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره ، وكاففوه وأسرعوا إلى وفاته ، وسابقوا إلى دعوته ، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته ، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته ، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا له ، ومن كانوا منظومين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته ، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته ، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك ، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك ، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك ، وأشكراهم على هجرهم فيك ديار قومهم ، وخرجوهم من سعة المعاش إلى ضيقه ، ومن كثرت في إعزاز دينك من مظلومهم . اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين « يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» خير جزائك ، الذين قصدوا سمعتهم وتحرروا وجهتهم ومضوا على شاكلتهم ، لم يشنهم ريب في

نصرتهم ولم يختلجم شك في قفو آثارهم والاتمام بهداية منارهم ، مكافئين  
ومؤازرين لهم يدينون بدينهم ويهتدون بهداهم ، ينفقون عليهم ولا يتهمونهم  
فيما أدوا إليهم . اللهم صل على التابعين لهم من يومنا هذا إلى يوم الدين ،  
وعلى أزواجهم وعلى ذرياتهم ، وعلى من أطاعك منهم صلاة تعصّمهم بها من  
معصيتك ، وتفسح لهم في رياض جنتك ، وتمنعمهم بها من كيد الشيطان ،  
وتعينهم بها على ما استعنوك عليه من بر ، وتفيقهم طوارق الليل والنهار ، إلا  
طارقاً يطرق بخير ، وتبعثهم بها على اعتقاد حسن الرجاء بك ، والطمع في ما  
 عندك ، وترك التهمة في ما تحويه أيدي العباد ، لتردهم إلى الرغبة إليك  
والرعب منك ، وتزهدهم في سعة العاجل ، وتحبب إليهم العمل الأجل  
والإعداد لما بعد الموت ، وتهون عليهم كل كرب يحل بهم يوم خروج  
الأنفس من أجسادها ، وتعافيهم مما تقع به الفتنة من محذوراتها ، وكبة النار  
وطول الخلود فيها وتصيرُهم إلى أمنٍ من مقبل المتقين).<sup>(١)</sup>

○ ○

---

(١) الصحفة السجادية للإمام علي بن الحسين عليهما السلام . ٤٣ - ٤٥ .

## بذور للتفكير في نظرية عدالة الصحابة

### ١. ابن عباس يصف الصحابة لمعاوية

سأل معاوية ابن عباس عن عدة أمور ، ثم سأله عن الصحابة فقال ابن عباس: يا معاوية إن الله جل ثناؤه وتقديست أسماؤه خصّ نبيه محمداً بصحابة آثروه على الأنفس والأموال ، وبذلوا النفوس دونه في كل حال ، ووصفهم الله في كتابه فقال: «رَحْمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رَكِعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرَضُوا أَنَّا سَيَّاهُمْ فِي وُجُوهاهُمْ مِنْ أَثْرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطَأَهُ فَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يَعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيغْبِطَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا»<sup>(١)</sup> قاموا بمعاملة الدين وناصروا الإجتهاد للمسلمين حتى تهذبت طرقه وقويت أسبابه ، وظهرت آلاء الله واستقر دينه ووضحت أعلامه ، وأذلّ بهم الشرك وأزال رؤوسه ومحا معالمه ، وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلة . فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزكية والأرواح الطاهرة العالية ، فقد كانوا في الحياة أولياء وكانوا بعد الموت أحياء ، وكانوا العباد الله ناصحاء رحلوا إلى الآخرة قبل

. ٢٩- (١) الفتح.

أن يصلوا إليها ، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها» . فقطع عليه معاوية الكلام  
وقال: يا ابن عباس حدثنا في غير هذا»<sup>(١)</sup>

## ٢. شهادة ووصية الصحابي حذيفة بن اليمان

كان حذيفة عليلاً بالكوفة سنة ٣٦ فبلغه قتل عثمان وبيعة الناس لعلي  
فقال: «آخر جوني وادعوا للصلوة جامعة . فوضع على المنبر فحمد الله وأثنى عليه  
وصلى على النبي وآلـه ثم قال: أيها الناس إن الناس قد بايعوا علياً فعليكم بتقوى  
الله وانصروا علياً وآزروه ، فوالله إنه لعلى الحق آخرأ وأولاً ، وإنـه لـخـيرـ من  
مضـىـ بـعـدـ نـبـيـكـمـ وـمـنـ بـقـيـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ .

ثم أطبق يمينه على يساره ثم قال: اللهم اشهد أنـي قد بايعت علياً . وقال لـابـنـيهـ  
صفوان وسعد: إحملـانـيـ وـكـوـنـاـ معـهـ فـسـتـكـونـ لـهـ حـرـوبـ كـثـيرـ فـيـهـلـكـ فـيـهـاـ خـلـقـ  
منـ النـاسـ فـاجـتـهـداـ أـنـ تـسـتـشـهـداـ معـهـ ، فـإـنـهـ وـالـلـهـ عـلـىـ الـحـقـ وـمـنـ خـالـفـهـ عـلـىـ الـبـاطـلـ ،  
وـمـاتـ حـذـيفـةـ بـعـدـ هـذـاـ الـيـوـمـ بـسـبـعـةـ أـيـامـ وـقـيـلـ بـأـرـبـعـينـ يـوـمـ ، وـنـفـذـ الـوـلـدـانـ الـبـارـانـ  
وـصـيـةـ أـبـيـهـماـ وـاستـشـهـداـ يـوـمـ صـفـيـنـ وـهـمـ يـقـاتـلـانـ إـلـىـ جـانـبـ عـلـيـ عـلـيـلـةـ»<sup>(٢)</sup>

## ٣. الزبير وحسن الخاتمة

خرج علي علـيـلـةـ بـنـفـسـهـ حـاسـرـاـ عـلـىـ بـغـلـةـ رـسـوـلـ اللـهـ لـاـ سـلاحـ مـعـهـ ، فـنـادـىـ: «ـيـاـ زـبـيرـ  
أـخـرـجـ عـلـيـ» فـخـرـجـ إـلـىـ الـزـبـيرـ شـاكـيـاـ فـيـ سـلاـحـهـ ، فـقـيـلـ ذـلـكـ لـعـائـشـةـ فـقـالـتـ:

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٦٥/٣ - ٦٦ - ٤٢٦.

(٢) مروج الذهب للمسعودي: ٦٥/٣ - ٦٦ - ٤٢٥.

واثكلك يا أسماء ، فقيل لها: إن علياً حاسراً فاطمأن ، واعتنق كل واحد منها صاحبه فقال علي «ويحك يا زبير ما الذي أخرجك؟ قال: دم عثمان ، قال علي: قتل الله أولانا بدم عثمان ، أتذكر يوم لقيت رسول الله في بني يياضة وهو راكب حماره فضحك إلي رسول الله وضحكـتـ إـلـيـهـ وـأـنـتـ مـعـهـ ، فـقـلـتـ أـنـتـ:ـ يـاـ رـسـوـلـ اللهـ مـاـ يـدـعـ عـلـيـ زـهـوـ ،ـ فـقـالـ لـكـ:ـ لـيـسـ بـهـ زـهـوـ ،ـ أـتـحـبـ يـاـ زـبـيرـ؟ـ فـقـلـتـ:ـ إـنـيـ وـالـهـ لـأـحـبـهـ فـقـالـ لـكـ:ـ إـنـكـ وـالـهـ سـتـقـاتـلـهـ وـأـنـتـ ظـالـمـ لـهـ !ـ فـقـالـ الزـبـيرـ أـسـتـغـفـرـ اللهـ ،ـ وـالـلـهـ لـوـ ذـكـرـتـهـ مـاـ خـرـجـتـ !ـ فـقـالـ لـهـ:ـ يـاـ زـبـيرـ إـرـجـعـ ،ـ فـقـالـ الزـبـيرـ:ـ كـيـفـ أـرـجـعـ الـآنـ وـقـدـ التـقـتـ حـلـقـتـاـ الـبـطـانـ ؟ـ هـذـاـ وـالـلـهـ الـعـارـ الـذـيـ لـاـ يـقـبـلـ .ـ فـقـالـ عليـ:ـ يـاـ زـبـيرـ إـرـجـعـ بـالـعـارـ قـبـلـ أـنـ تـجـمـعـ الـعـارـ وـالـنـارـ !ـ فـرـجـعـ الزـبـيرـ وـهـوـ يـقـولـ:

أخذت عاراً على نار مؤججه ما إن يقوم لها خلق من الطين .

نادي عليّ بأمر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين<sup>(١)</sup>

والخلاصة إنه انسحب من التجمع الأثم ، ولقيه عمرو بن جرموز فقتله .

#### ٤. طلحة وحسن الخاتمة

نادي علي طلحة حين رجع الزبير ، وقال له: يـاـ أـبـاـ مـحـمـدـ ،ـ مـاـ الـذـيـ أـخـرـجـكـ ؟ـ فـقـالـ الـطـلـبـ بـدـمـ عـثـمـانـ ،ـ قـالـ عليـ:ـ «ـقـتـلـ اللهـ أولـانـاـ بـدـمـ عـثـمـانـ ،ـ يـاـ طـلـحـةـ أـمـاـ سـمـعـتـ رـسـوـلـ اللهـ يـقـوـلـ:ـ اللـهـمـ وـالـهـ وـالـهـ وـعـادـ مـنـ عـادـهـ ،ـ وـأـنـتـ أـوـلـ مـنـ بـاـيـعـنـيـ ثـمـ نـكـثـ وـقـدـ قـالـ اللهـ عـزـ وـجـلـ:ـ فـمـنـ تـكـثـ فـإـنـمـاـ يـنـكـثـ عـلـىـ نـفـسـهـ .ـ فـقـالـ طـلـحـةـ:ـ أـسـتـغـفـرـ اللهـ ،ـ ثـمـ رـجـعـ»ـ .ـ

## ٥. الحليف يقتل حليفه

قال مروان بن الحكم بن العاص: رجع الزبير ويرجع طلحة، ما أبالي رمي  
ها هنا أم هنا ، فرمي أكحله فقتله ، وقال طلحة وهو يوجد بنفسه:  
«ندمت ما ندمت وضلّ حلمي ولهمي ثم لهف أبي وأمي  
ندمت ندامة الكسعي لما طلبت رضا بني جرم بزعمي»

## ٦. نهاية الصحابي عمار بن ياسر

قال عمار: «والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لكننا على الحق وكأننا  
على الباطل . وتقدم عمار فقاتل ثم رجع إلى موضع فاستسقى ، فأتته امرأة من  
نساءبني شيبان من مصافهم بعسل فيه لين فدفعته إليه فقال: الله أكبر الله أكبر ،  
اليوم ألقى الأحبة تحت الأسنة ، صدق الصادق وبذلك أخبرني الناطق ، وهو  
اليوم الذي وعدنا فيه»

وكان النبي أخبره بأن الفئة الباغية تقتلها وآخر شرابه ضياع من لين .  
وقال عمار: «أيها الناس هل من رائع إلى الجنة تحت العوالي ، والذي نفسي  
بيده لنقاتلهم على تأويته كما قاتلناهم على تنزيته ، وتقدم وهو يقول:  
نحن ضربناكم على تنزيته فالليوم نضربكم على تأويته  
ضرباً يزيل الهام عن مقلته ويذهب الخليل عن خليله  
أو يرجع الحق إلى سبيله» .

فقتل أبو العادية وابن جون السكسي ، واحتلوا في سلبه فاحتكموا إلى  
الصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص !

### ٧. حجة معاوية

لقد تمرد معاوية على الإمام الشرعي طالباً منه معاقبة قتلة عثمان فقال له الإمام «أدخل في الطاعة وحاكم القوم إلى أحكام بالعدل» ولكن معاوية أبى أن يدخل في الطاعة ، واتخذ من قتل عثمان جسراً يعبر منه إلى الملك ونجح معاوية وتوج ملكاً على المسلمين ودانت له الرقاب رغبة ورهبة !

٨ . معاوية لم يعاقب قتلة عثمان: قدم إلى المدينة فدخل دار عثمان فصاحت عائشة ابنة عثمان: أبناه ، وبكت ! فقال معاوية: يا ابنة أخي إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناه أماناً ، وأظهرنا لهم حلماً تحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، وإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلىنا تكون أم لنا ، ولئن تكوني بنت عم أمير المؤمنين خير من أن تكوني من عرَض المسلمين»<sup>(١)</sup>

### ٩. رأي الحسن البصري في معاوية

روى الطبرى أن الحسن البصري كان يقول: «أربع خصال كن في معاوية ، مولو لم يكن فيه منها إلا واحدة وكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة ، وفيهم بقايا الصحابة وذووا الفضيلة . واستخلاقه ابنه بعده سكيراً خميرأ يلبس الحرير ويضرب الطنابير . وادعاؤه زياذاً ، وقد قال رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وقتله حجراً وأصحابه ، ويل له من

(١) البيان والتبيين للجاحظ: ٣٠٠/٣ وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ١٨٢.

حجر وأصحابه ، ويل له من حجر وأصحابه»<sup>(١)</sup> .  
 ولم يكتف هذا الصحابي (العادل) بما فعل ، حتى لعن الإمام علياً لتنقدي به  
 الأمة وتلعن الإمام كما لعنه الخليفة !<sup>(٢)</sup> وأصدر أوامره أن يسبوا علياً بن أبي  
 طالب عليهما السلام!<sup>(٣)</sup> وابتغاء لمرضاته كان عماله يسبون علياً عليهما السلام!<sup>(٤)</sup>



(١) راجع الطبرى من حوادث سنة ٥١ وابن الأثير/٢٠٩ - ٢٠٢ وابن عساكر: ٣٧٩/٢ والشيخ محمد أبو رية/١٨٤ - ١٨٥.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه: ٣٦٦/٤ وشرح النهج لابن أبي الحميد: ٣٥٦/١ و: ٢٥٨/٣ و: ٥٧/٤ و: ٥٦/٤ .

(٣) راجع صحيح مسلم: ٣٦٠/٢ وصحیح الترمذی: ٣٠١/٥ - ٣٨٠ والمستدرک للحاکم: ١٠٩/٣ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساکر الشافعی: ٢٠٦/١ - ٢٧١ و ٢٧٢ و خصائص أمير المؤمنين للنسانی الشافعی/٤ و درر السعید للزرندی الحنفی ١٠٧ و كتاب الطالب للكتجی الشافعی/٨٤ - ٨٦ والمناقب للخوارزمی الحنفی/٥٩ وأسد الغابة لابن الأثير: ١٣٤/١ و: ٢٥/٤ - ٢٦ والإصابة لابن حجر العسقلانی الشافعی: ٢ ص: ٥٠٩ و الغدیر الأيمنی: ٢٥٧/١ و: ٣٠٠/٣ والعقد الفريد: ٢٩/٤ و وقعة صفين لنصر بن مزاحم/٨٢ و شرح النهج: ٢٥٦/١ و ٣٦١ و تذكرة الخواص للسبط الجوزی/٦٣ والمراجعات للعاملي وملحقها للسيد حسین راضی .

(٤) راجع تاريخ الطبرى: ١٦٧/٥ - ١٦٨ والکامل في التاريخ لابن الأثير: ٤١٣/٣ والمستدرک للحاکم: ٣٨٥/١ و: ٣٥٨/٢ و شرح النهج لابن أبي الحميد: ٣٥٦/١ و ٣٦١ و تاريخ الخلفاء للسيوطی/١٩٠ والعقد الفريد: ٣٦٥/٤ ، والقدیر للأيمنی: ٢٦٤/١ عن إرشاد الساری في شرح البخاری للقطلانی: ٣٦٨/٤ و تحفة الباری للأنصاری بذیل إرشاد الساری ، والمراجعات للإمام العاملي وملحقها لحسین راضی . ٢١٨/ .

## الفصل السادس

### طريق الصواب في معرفة العدول من الأصحاب

#### استدلالات وتلخيص لوجهتي نظر السنة والشيعة

رأينا أن الصحبة لغة واصطلاحاً تعني كل الذين لقوا النبي وأمنوا به أو تظاهروا بهذا الإيمان وما توا وهم على هذا الإيمان أو التظاهر به ، وإن أهل السنة قد أجمعوا على أن كل هؤلاء عدول بلا استثناء ، ورأينا أن نظرية عدالة كل الصحابة تتعارض مع النصوص الواردة في السنة المطهرة القولية والفعلية والتقريرية ، وتتعارض مع النصوص الشرعية القاطعة الواردة في القرآن الكريم ، بل وتتعارض مع الغاية من الحياة ، ومع منطق الأشياء والروح العامة للإسلام . وقد أثبتنا هذا التعارض ، وحرصنا على سوق الأمثلة والتبسيط ، وتبين لنا أن الصحابة شرعاً وبالضرورة قسمان: ١ - الصادقون: وهم عدول بإجماع كل المسلمين من شيعة وسنة ، ولا خلاف بينهم في هذه الناحية .

٢ - غيرهم ، وهم موضع الخلاف . في بينما يرى أهل السنة أن كل الصحابة بلا استثناء عدول لا فرق بين أول من أسلم وبين صبي رأى النبي أو رآه النبي ، من حيث وصف العدالة ، فالكل عدول ولا يجوز التعرض لهم لا من قريب ولا من بعيد بأي دراسة تؤدي إلى نقدهم أو إلى الإنفصال من أي واحد منهم ، ومن يفعل ذلك فهو زنديق أثيم لا تجوز مذاكرته أو مشاربته ولا الصلة عليه . بينما يرى أهل الشيعة أن العدل من عدله الله وعدله رسول الله .

والحقيقة الشرعية المجردة هي ضالة المؤمن ، وقد بين الشرع الحنيف وسائل استكشافها ، ورشد حركة المسلم في هذا الاستكشاف ، وأعطاه الملوكات العقلية التي تساعده على ذلك ، وتحقق غايته إن تجرد من الهوى .

إذا كان سيد الخلق محمد بشرًا يصيب ويخطئ - كما يقولون - فما الذي يمنع طفلاً رأى النبي أو رآه النبي من أن يخطئ أو أن يكذب؟ وأين هو الحكم الشرعي الذي يحجر على العقل البشري ويمتنعه من أن يتحرى الحقيقة عند هذا أو ذاك . فهناك من الصحابة من قتل الصحابة ، وهناك من سرق ، وهناك من كذب ، وهناك من زنى ، وهنا لك من أحيل للقضاء بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى . فكيف نتحرى الحقائق؟ وكيف يقام العدل؟ وكيف تستفيد الأمة من تجارب الماضي فتتجنب الخطأ وتنهج منهج الصواب؟ ومن هنا فإن الشيعة ترى وتومن بعدلة الصادقين من الصحابة ، وتدعوا لهم في كل صلاة ، أما غيرهم من الصحابة ، فالذي يُعدّله هو دينه وعمله بالموازين الشرعية . وهم يرون أن عدالة كل الصحابة بالمعنى الذي يطرحه أهل السنة نظرية سياسية تكونت ونشأت برعاية حكم الطلقاء ، وبوسائل إعلام دولة الطلقاء رُسخت قواعدها ، ثم تلقتها الأجيال اللاحقة تقليداً وبذوات مختلفة وبنوايا مختلفة .

وتقول الشيعة: أما العقوبة التي خصصها بعض الفقهاء تأييداً لنظرية عدالة كل الصحابة ، فهي عقوبة بغير نص ولا يملك أحد أن يعقوب مسلماً بغير نص شرعى . وإن العقوبة هي ظلم وهي باطلة بكل الموازين الشرعية ، وتدوي بالنتيجة إلى تكريس حالة انقسام الأمة ومنعها من الإستفادة من دروس الماضي وعبره ، والتفكير في مآلات الأشياء وكيف آلت إلى ما آلت إليه ، وبالتالي إيجاد العوائق في طريق استشراف المستقبل وتوحيد الأمة على نور وبصيرة .

### خلط الأوراق

لو كان الصحابة كلهم عدوأً لما حدثت الفتنة ، ولو كان الصحابة كلهم عدوأً لما تفرقت الأمة ، ولو كان الصحابة كلهم عدوأً لما قتل الصحابي صحابياً مثله ، لأن العادل لا يقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق .  
ولو كان الصحابة كلهم عدوأً لما وُسِّدَ الأمر لغير أهله ، ولما أصبحت الخلافة ملكاً وغنية يأخذها الغالب .

والقول بعدهلة كل الصحابة خلط للأوراق وتعمية للناس ، وحجر على عقولهم لأن من يقتلون لا يمكن أن يكونوا جمياً على الحق ، لأن الحق ضد القتل وضد الفتنة ، ويمنع الفرقة ، ويمنع من توسيد الأمر لغير أهله . فكيف يصح أن نأتي الآن وبعد مضي ألف سنة لنقول: تلك أمة قد خلت ، ولنبدأ من جديد دون أن نعرف من هو المحق حتى نقتفي أثره ، ومن هو المبطل الذي اتبع هواه حتى نتجنب مسالكه ، ومعنى ذلك أنها نهمل الإستفادة من تجربة دامت ألف عام ونيف ، ونبدأ بالحياة من الصفر كأننا بلا تجارب ، هذا هو الخلط ! لقد كان هذا الخلط مصلحة لهذا الحكم أو ذاك ، وتستراً على هذا الشخص أو ذاك ، فما هي مصلحتنا الآن بهذا الخلط وهذا التستر ؟ خاصة وأنه خلط وتستر وإلغاء يتم على حساب الدين الحنيف ، وينفذ تحت شعار مصلحة الإسلام .

### واقعة للاستكشاف الشرعي

قامت جموع غاضبة فقتلت بعد تردد طوييل الخليفة الثالث عثمان بن عفان بزعم أنه قد انحرف عن سيرة صاحبيه الصديق والفاروق ، فبائع أهل المدينة عليه عذابه وتبعهم أهل الأمصار باستثناء أهل الشام وواليهم معاوية بن أبي سفيان ،

الذى لم يبايع لأنه حسب قوله يريد معاقبة قتلة عثمان . فقال له الخليفة: أدخل في الطاعة وسأقضى بالحق للجميع ، فرفض معاوية وتحصن في ولايته ، وأخذ يكيد للإمام ويعلن خروجه عليه ويزعزع قواعد استقرار الدولة ، ويهيئ الأمة للانقسام ، مستغلًا أموال ولايته ، وصارفًا لها بغير الوجوه الشرعية المخصصة لها ، وما زال يكيد حتى انقسمت الأمة حقيقة وسالت الدماء ، ثم قتل الإمام واغتصب معاوية أمر الأمة بالقوة ، وتأمر عليها وفيها السابقون من الصحابة الذين قاتلوا وقاتلوا أباء على الإسلام ، ونسى معاقبة قتلة عثمان أو تناساهم ، وأوصى أن يكون الملك من بعده لابنه يزيد وهو سكير خمير صاحب قردة وطنابير ، على حد تعبير الحسن البصري ، ومن ذلك التاريخ صارت رئاسة الدولة غنيمة يختص بها من غالب . وبما أن القديم على قدمه ، فقد صارت الغلبة وسيلة شرعية (نحن مع من غالب).

### عدالة كل الصحابة

الذين وقفوا مع علي ، والذين وقفوا مع معاوية كلهم صحابة وكلهم عدول ولا يدخل أحد منهم النار ، وكلهم في الجنة وكلهم مجتهد وكلهم لم يخطئ ، ومن عابهم أو عاب أيًّا منهم فهو زنديق لا يؤكل ولا يشارب ولا يصلى عليه حسب إجماع أهل السنة ! إمدحهم جميعاً كما يحل لك فهم أهل لهذا المدح ، ولكن إن قلت أن واحداً منهم أخطأ فأنت زنديق...! هذا التفكير الأعمى أصبح سنة حقيقة ، وصورت هذه السنة كأنها إرادة الله وإرادة رسوله .

### التكبيفات المنطقية

وفق معايير البحث العلمي أمامنا ثلاثة تصورات أو احتمالات: ١- كلهم محق: على <sup>عليه</sup> <sup>الصلوة</sup> ومن معه ، ومعاوية ومن معه . وهذا غير وارد لأن الحق واحد وله طريق

يقيني واحد . ٢- كلهم مبطل ، وهذا غير وارد لأن علياً ولـي الله بالنص ، ولأنه مع الحق والحق معه ، يدور حيث دار كما سيأتي . ٣- أحدهما محق والآخر مبطل .

تساؤل: لو كانوا جميعاً على الحق لما اختلفوا ولما تقاتلو ، وإن اختلفوا فلن يصلوا إلى التقاتل وقتل عشرات الآلوف ، إنما سيحل بالوسائل الشرعية سلبياً .

استخلاص: إذن بالضرورة أحدهما محق والآخر مبطل ، والقول بأنهم جميعاً عدول وأنه لا يجوز عليهم الخطأ (طيبة) تصل إلى درجة السذاجة والغفلة ، لأن القتل لا يتم إلا باليقين الشرعي ، والقتل العمد جريمة ، وتفريق الأمة جريمة والخروج على الشرعية جريمة... ومن يمارس القتل بالظنون أو استناداً إلى مصلحة أو هوى لا يمكن أن يكون عادلاً ، وبالتالي يجوز عليه الكذب والخطأ والمعصية . والإطار العام للصحبة لا يمنعه من ذلك ، لأن الصحابة ليست نبوة .

كيف نعرف العدول من الصحابة من غير العدول في هذه الواقعة ؟ كمثال للتبييض؟ ١- بوجود حق وجود منظومة حقوقية له تغطي مساحة الأفعال والنوايا . والحق موجود والمنظومة الحقوقية موجودة هي الإسلام (القرآن والسنة بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير ، وهي المنظومة الحقوقية التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، إنها دين الله التي ارتضاها عباده ، وصنعه ووحيه .

٢- وجود إمام وولي شرعي يسمع كل الآراء ويكون قوله الفصل عند اختلاف الإجتهادات ، ويرشد الحريات وينسق الطاقات ويوجه الجماعة إلى الحق . وقد كان النبي هو الولي وعين علياً ولـيأ فقال: إنه ولـيكم بعدي ، إنه ولـي كل مؤمن ومؤمنة بعدي ، من كنت مولاه فهذا على مولاه ، اللهم والـ من والـه وعادـ من عادـه . تلك حقيقة لا يوجد في الدنيا كلها من يجرؤ على إنكارها ، حتى

معاوية نفسه . وسأقوم بتوثيق هذه الحقيقة فيما بعد .

٣- بحث الواقع بموضوعية وتجرد بحيث يكون هدف المسلم عين هدف الله تعالى . ٤- العقل الذي يقوم بعملية استيعاب المنظومة الحقوقية وتكييفها على الواقع ، وعرض ثمرة هذه العملية على الولي .

### الموالاة كمفتاح للعدالة

علي بن أبي طالب ، هو أول من أسلم بأرجح الأقوال ، وهو ولی الله ، وأخو رسوله ووالد سبطيه ، وزوج البتول ، وقائد العمليات العسكرية ضد الشرك ، وهو فارس الإسلام بغير منازع وقاتل أعدائه ، وهو الصديق الأكبر والفاروق الأعظم بالنص الشرعي كما سأثبت ذلك . وهو ابن أبي طالب حامي النبي وعميد البيت الهاشمي الذي حاصرته كل قبائل العرب مجتمعة ثلاثة سنين في شباب أبي طالب لغاية واحدة ، وهي أن يسلِّم الهاشميون النبي أو يُخلُّوا بينه وبين قريش . أما معاوية ، فهو الطليق ابن الطليق ، ابن أبي سفيان ، قاد الأحزاب وحارب النبي في كل المواقع ، وحاول أن يقتل النبي ، وقد ضده موجة العداء وجيش الجيوش لمحاربته ، وهو ابن هند التي رتبت عملية الغدر بحمزة ، ولم تكتف بقتله إنما شقت بطنه وشوهرت بجثمانه الطاهر ، وقاتل معاوية وأبوه الإسلام بكل فنون القتال حتى دخل النبي مكة فاتحاً وأحيط به وبأبيه ولم يجدا مفرأً من إعلان إسلامهما ، وهو من المؤلفة قلوبهم ، كان يعطى من الصدقات .

### الصحابة العدول

كل الذين وقفوا مع علي ووالوه هم صحابة عدول ، وهم بفضل الله ومتنه الأكثرية الساحقة من صحابة النبي ، ومن عارضه منهم كالزبير وطلحة ندماً ولم يموتا حتى دخلا في طاعته بالرضي . ويکفي الإسلام شرفاً أنه لم يقف مع معاوية

من الأنصار إلا اثنان لا ثالث لهما، ولو كان أبو بكر حيًا لوقف معه ، ولو كان عمر حيًا لوقف معه وهو القائل: إنه مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، اللهم ارض عنهم واجزهم عنا وعن الإسلام ما هم أهله .

أما الذين وقفوا مع معاوية ووالده ، فهم موضوع البحث وبالوسائل الشرعية ، وهم أقلة الصحابة بالمعنيين اللغوي والاصطلاحي ، ومن أجلهم اخترعت نظرية (كل الصحابة عدول) لتبرير الواقع وإضفاء الشرعية عليه .

### نماذج من غفلة أهل الشام والعراق

قال المسعودي: وذكر بعض الأخباريين أنه قال لرجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم: «ابن من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر؟ فقال: أراه لصاً من لصوص الفتنة».

وحكى الجاحظ قال: «سمعت رجلاً من العامة وهو حاج ، وقد ذكر له البيت يقول: إذا أتيته من يكلمني؟ وأنه أخبر صديقاً له أنه قال له رجل منهم وقد سمعه يصلبي على محمد ، ما تقول في محمد؟ أربنا هو؟!»

وذكر ثامة بن أشرس قال: «كنت مارأً في السوق ببغداد ، فإذا أنا برجل عليه الناس مجتمعون ، فنزلت عن بغلتي وقلت: لشئ ما هذا الاجتماع ودخلت بين الناس فإذا برجل يصف كحلاً معه أنه ينفع من كل داء يصيب العين ، فنظرت فإذا عينه الواحدة برشاء والأخرى مأسوكة ، فقلت له: يا هذا لو كان كحلك كما تقول نفع عينيك . فقال لي: يا جاهل أنها هنا اشتكت عيناي؟ إنما اشتكت بمصر فقال كلهم: صدق . وذكر أنه ما انفلت من نعالهم إلا بعد كد».

وأخبرني رجل من إخواننا من أهل العلم قال: «كنا نقعـد نـتـنـاظـرـ فيـ أـبـيـ بـكـرـ

و عمر و علي و معاوية ، و نذكر ما يذكره أهل العلم ، و كان قوم من العامة يأتون فيستمعون منا ، فقال لي ذات يوم أحدهم و كان من أعقلهم وأكبرهم لحمة: كم تطربون في علي و معاوية و فلان و فلان ؟ قلت: ما تقول أنت في ذلك ؟ قال: من تريده ؟ قلت: علياً ما تقول فيه ؟ قال: أليس هو أباً فاطمة ؟ قلت: ومن كانت فاطمة ؟ قال: امرأة النبي عليهما السلام بنت عائشة أخت معاوية . قلت: فما كانت قصة علي ؟ قال قتل في غزوة حنين مع النبي » .<sup>(١)</sup>

### هؤلاء الذين أطاعوا معاوية

« وقد بلغ من أمرهم في طاعته أنه صلى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة في يوم الأربعاء ! وأغاروه رؤوسهم عند القتال و حموه بها ! ورکنا إلى قول عمرو بن العاص إن علياً هو الذي قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ! ثم ارتقى بهم الأمر في طاعته إلى أن جعلوا عن علي سنة ينشأ عليها الصغير ويهلك عليها الكبير !<sup>(٢)</sup> هل هذا هو أسلوب الصحابة العدول ببيان الحقيقة ؟ فالذي قتل عمار بن ياسر هو علي بن أبي طالب !! وهل هذا هو أسلوب العدول بتقديمه الناس بأمور دينهم وتعريفهم على صحابة محمد الأجلاء الذين قام الإسلام على أكتافهم !!؟

○ ○

(١) و (٢): لقد نقلت هذه الروايات حرفيًا من مروج الذهب للمسعودي: ٣٩/٣ - ٤١.

(٢) حرفيًا من مروج الذهب للمسعودي: ٣٩/٣.

## **الباب الثاني**

**الجذور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة**



## الفصل الأول:

### الجذور التاريخية لنظرية عدالة كل الصحابة

#### الجذر القبلي - عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة

بطون قريش: تتكون قريش من خمسة وعشرين بطناً<sup>(١)</sup> وأشرف هذه البطون على الإطلاق وأفضلها بالنص الشرعي بنو هاشم بن عبد مناف<sup>(٢)</sup> ويليهم بالشرف بنو عبد المطلب بن عبد مناف ، و... بنو الحارث بن عبد مناف و... بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبنو نوفل بن عبد مناف . وبنو هاشم هم سادة قريش ، فقد سادوا بعد أبيهم ويقال لهم: **المُجَبِّرُونَ** ، وهم أول من أخذ العصم لقريش فانتشروا من الحرم . فقد أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام ، وأخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي ، وأخذ نوفل حبلاً من الأكاسرة ، وأخذ عبد المطلب حبلاً من حمير ، فاختلفت قريش بهذه الأسباب إلى بلاد العالم . وكان يقال لهم: **أقداح النصارى سيادتهم على العرب** .<sup>(٣)</sup>

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٢٩١/٢.

(٢) راجع السيرة الحلبية: ٤-٣/١ ، والجامع للأصول: ٤١٩/٣ وما فرق ، و ١٥٦:٢ من شرح النهج لابن أبي الحديد.

(٣) راجع الطبقات: ٧٥/١ و كتابنا النظام السياسي في الإسلام: ٩٣.

### ب - الصيغة السياسية

توصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية قائمة على اقسام مناصب الشرف فيما بينها - المناصب السياسية - من قيادة ولواء وندوة وسقاية ورفادة وسفارة ... إلخ والأسماء السياسية المحددة في هذه الصيغة أقصى ما استطاعت البطون أن تنتزعه ولاح لهذه البطون أنها أفضل صيغة سياسية على الإطلاق ، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب . فالمناصب السياسية قدر مشترك بين البطون ولا مصلحة لأي بطن بتغيير هذه الصيغة ، لأنه لو حاول التغيير فلا يعرف على وجه الجزم واليقين عواقب محاولته ، فقد يفقد ما حققه . لقد استقامت الأمور ونظمت ولادة البيت الحرام فارتاحت كل البطون لهذه الصيغة ، ومع الأيام أصبحت عنوان عقيدة سياسية وأثراً مأثراً مما تركه الأولون ، لا يجوز الخروج عليه من قبل أي كان .

### ج- محاولات لزعزعة الصيغة

في السنين العجاف لم يكن لمكة غير هاشم ، يطعم الناس ويشعدهم ، وقيل له: أبو البطحاء وسيد البطحاء ، ولم تزل مائدة منصوبة في السراء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف<sup>(١)</sup> فخشى أمية بن عبد شمس منه وحسده ، فتكلف أن يصنع ما يصنع هاشم ، فعجز عن ذلك ، فغيرته قريش فدعا هاشما للمنافرة فأبى ، ثم تناfra على خمسين ناقة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين ، فقضى الحكم بأن هاشما أشرف من أمية ، فنحرت النوق وجلا أمية إلى الشام ، فكانت هذه بذرة العداء الأولى بين البيتين الهاشمي والأموي . ولعل الذي دفع

---

(١) راجع تاريخ الطبرى: ١٨٠/٢ والسيرة الحلبية: ٥/١ والطبقات لابن سعد: ٧٧/١.

أمية هو الحسد لهاشم والخشية من أن يشكل هاشم خطراً على هذه الصيغة ، لأن القيادة بيدبني عبد شمس، وبروز نجم هاشم يزعزع الصيغة ويستخف الناس.<sup>(١)</sup>

#### د - إشاعة النبوة

أشيع في مكة أن نبياً سيبعث ، وأنه سيكون من سلالة عبد مناف ، وممن استقرت في أذهانهم هذه الإشاعة أبو سفيان ، فقد كان على علاقة وطيدة بأمية بن أبي الصلت . وأبو سفيان موقن أن هذا النبي سينسف الصيغة السياسية ، وسيأخذ منه القيادة . وطالما أن القيادة لبني أمية فإن هذه النبوة من أكبر الأخطار ولكنها اطمأن بعد عذاب ومعاناة ، فالشائعة تقول (إن النبي من بني عبد مناف) ولا يوجد حسب رأيه من هو جدير بالنبوة سواه<sup>(٢)</sup> فمن المؤكد أنه سيكون النبي المرتقب .

#### هـ - إعلان النبوة

أعلن محمد الهاشمي أنه النبي المرتقب الذي اختاره الله لهداية العرب خاصة والجنس البشري عامة ، وأن برهانه على هذه النبوة هو كلام الله . واتبعه نفر قليل من عرروا بالحصافة وبعد النظر ، ومن أولئك الذين مستهم البشرية مساً أليماً .

#### و - احتضان الهاشميين للنبي

احتضن الهاشميون محمداً بكل قوة ، وهددت زعامة قريش بقتل محمد ، وأشيع أنه قتل ، فجمع أبو طالب بنى هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة

(١) راجع السيرة الحلبية: ١٥/١ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام / ١٧٠ - ١٧٢.

(٢) السيرة الحلبية: ٨٠/١.

صارمة وسار مع الهاشميين والمطلبيين ونادى: «يا معاشر قريش هل تدرؤون ما هممت به؟ قالوا: لا ، فأخبر الخبر وقال للفتى: اكشفوا عما في أيديكم فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة . فقال أبو طالب: والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى وإياكم، فانكسر القوم وكان أشدّهم انكساراً أبو جهل»<sup>(١)</sup>

### ز - حفاظاً على الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالأصنام

قاومت بطون قريش بقيادة أبي سفيان محمداً وبكل أساليب المقاومة ، ولم يشن ، وأمام إصرار ورفضبني هاشم لفكرة تسليمها اتفقت بطون قريش بدون استثناء على ما يلي:

١ - مقاطعةبني هاشم مقاطعة تامة ، فمقاطعتهم قريش كلها ومعها بنو عدي وبنو تيم وحصروهم في شعب أبي طالب ثلاث سنين، واضطروهم إلى أن يأكلوا ورق الشجر من الجوع ، واضطروا أطفالهم أن يمتصوا الرمال من العطش . تلك حقيقة كالشمس لا يجادل بها أحد . ولم يركع محمد ولم يركع الهاشميون، وأبطل الله كيد بطون قريش وزعامتها ، وفشل الحصار بعد أن استمر ثلاث سنين .

٢ - عندما سمعت قريش أن محمداً سيفهاجر إلى يثرب بعد أن تمكّن من إيجاد قاعدة له ، قررت بطون مكة بالإجماع أن تقتل محمداً ، فاختاروا من كل قبيلة رجلاً حتى يضربه هؤلاء الرجال ضربة واحدة فيضيع دمه بين القبائل ، ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه ، لأنه إن ذهب إلى يثرب نجح وسلبهم القيادة والشرف . وفي اللحظة التي أجمعوا بها أمرهم دخلوا فوجدوا علي بن أبي طالب نائماً في فراشه ، وجن جنون القيادة المكية وخصّصت الجوائز لمن

(١) راجع الطبقات لأبن سعد: ٢٠٢-٢٠٣.

يقبض على محمد حياً أو ميتاً . وفي الطرف الآخر كان محمد وصاحبه ودليلهما المشرك يشقون طريقهم سالمين بإذن الله . وتلك حقيقة ساطعة كالشمس .<sup>(١)</sup>

### ح - حروب من أجل الصيغة السياسية وحسداً لاحباً بالأصنام

لم تيأس بطون قريش وقيادتها الأموية من هزيمة محمد وبني هاشم ودينهم ، ولم ييأس محمد والهاشميون وأصحابه من هزيمة الشرك وقيادته ، وانقسم العرب أثلاثاً ، قسم مع قريش وقيادتها المشركة ، وقسم قليل مع محمد ، والقسم الثالث يتربص ليتبع الغالب ! واشتغلت الحروب في بدر وأحد ، وجيشت زعامة قريش بالتحالف مع اليهود جيش الأحزاب وزحفت إلى المدينة المنورة عاصمة النبي وفشلت الأحزاب . ثم فوجئت قريش وقيادة الشرك بجند الله يدخل مكة عاصمة الشرك بقيادة رسول الله ﷺ ، وركعت زعامة مكة واضطرت للدخول في الإسلام . وبركتها رفع كل العرب ودانت الجزيرة لدولة النبي ، وأخذ العرب يدخلون في دين الله أفواجاً .

### ط - النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه

رفضت بطون قريش بزعامتها الأموية الدين المحمدي ونبوة محمد الهاشمي بكل أصناف الرفض وألوانه ، وقاومت بكل فنون المقاومة ، لا وفاء للأصنام ولكنها تكره أن يأتي الدين عن طريق هاشمي ، وتكره أن تكون للهاشميين القيادة ، وأن تهتز الصيغة السياسية ! وأخيراً فوجئ أبو سفيان بجند الله قرب مكة ،

(١) راجع على سبيل المثال السيرة الحلبية: ١/٨٠ و ٣٣٢/١.

ويوقفه العباس فيرى جند الله ، فيدخل الرعب في قلبه ويتزع منه فتيل المقاومة ، ويفصح قائد الحزب عن حقيقة تصوراته للدعوة محمد فيقول: ما رأيت ملكاً مثل هذا ، لا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بنى الأصفر<sup>(١)</sup> ويجره العباس إلى محمد صلوات الله عليه فيقول له: « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ » فيقول أبو سفيان: لقد ظنت أنه لو كان مع الله إله غيره لما أغني عني شيئاً . قال النبي صلوات الله عليه « يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟ » قال أبو سفيان: أما والله فإن في النفس حتى الآن منها شيء . صاح العباس: ويحك يا أبا سفيان أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ، هنا فقط بعد ذكر ضرب العنق وبعد الإحاطة وضعف الحيلة أسلم لينجو بنفسه !

ودهش أبو سفيان وهو ينظر للنبي فقال في نفسه: ليت شعري بأي شيء غلبني؟ فأوحى الله إلى نبيه بما في صدر أبي سفيان ، فقال له الرسول: ( غالبتك باهتم )<sup>(٢)</sup> وأدركت بطون قريش أن النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه ، ولا علاقة لها باختيارها ، ولو كان لها أي دور بهذا الإختيار لما قبلت أبداً أن يكون النبي من بنى هاشم ، والنبوة ظاهرة لن تتكرر ، وأنه أي بطن من بطون قريش لن يلحق بمقام بنبي هاشم فقد سبقوا تماماً ، وأدركت بطون قريش أن صيغتها السياسية قد اهتزت ونفت تماماً وأضمرت العمل على وقف ما تعتبره زحفاً هاشمياً للجمع بين النبوة والملك وحيازة الشرف كله .

(١) السيرة الحلبية: ٧٩/٣ وما فوق ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

(٢) السيرة الحلبية: ٧٩/٣ وما فوق ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

### ي- أكثر البطون اندفاعاً لوقف ما يسمى بالزحف الهاشمي

كل بطون قريش مجتمعة على أن النبوة الهاشمية قد هزت هزاً عنيفاً الصيغة السياسية التي كانت قائمة على اقتسام مناصب الشرف بين القبائل المكية . وكل البطون رفضت هذه النبوة الهاشمية باستثناءبني المطلب بن عبد مناف حيث وقفوا مع الهاشميين . لكن أكثر البطون رفضاً واندفاعاً لوقف الزحف الهاشمي والحيلولة بين جمع الهاشميين الملك والنبوة هم بنو أمية وذلك لعدة أسباب:

- ١- ماضٍ طويل من الشحنة والعداوة والحسد لبني هاشم قبل الإسلام .
- ٢- بسبب النبوة الهاشمية فقد الأمويون القيادة .

٣- الهاشميون قتلوا سادات بنى أمية ، فعتبة والوليد وشيبة قتلهم حمزة وعلى وعيid الله ، فالأمويون لا يكرهون الهاشميين فحسب بل يحقدون عليهم ! وهنـد أم معاوية وزوجة أبي سفيان عكست مقدار هذا الحقد ، فهي لم تكتف بقتل حمزة إنما مثلت بجثمانه الطاهر . ولكن مع انتصار النبوة وشمول نور الإسلام وتأخر الأمويين عن دخوله ، وذكريات باعهم الطويلة في محاربته ، فإنه يتذرـع عليهم الجهر والمناداة علينا بمنع الهاشميـن من أن يجمعوا مع النبوة الملك .

### ك - التيار الغلاب

لقد تحولت مقولـة لا ينبغي أن يجمع الهاشميـون النبوة مع الملك إلى تيار غلـاب ولكـنه ساكن ومستقر في النفوس وملجمـوم بـوجوده ثـالثـة وبـوحدة الصحـابة الصـادقـين تحت قيادـته ، فـلو فقد عـنصر من هـذه العـناصر الـثلاثـة فـستـهـزـ الشرـعـية ،

وسيتحول الصحابة الصادقون إلى شعرة بيضاء في جلد ثور أسود - على حد تعبير معاوية - وسيأخذ الأمر من يغلب .

### ل - القرابة الظاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراشدة

عندما دخل المهاجرون الثلاثة إلى سقيفة بنى ساعدة احتجوا بما يلي: قال أبو بكر: نحن عشيرة رسول الله ﷺ وأنتم وزراؤه ووزراونا في الدين . وقال عمر: لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم... لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينazuنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدل بياطلاع أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة .<sup>(١)</sup> قالت الأنصار كلها: لا نبايع إلا علياً ، وعلى غائب . قال بعض الأنصار: لا نبايع إلا علياً .<sup>(٢)</sup> وسرعاً أبرم الأمر للصديق ، ودعى علي لمبايعة أبي بكر فقال علي: «أنا أحق بهذا الأمر منكم ، لا أباي لكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه منا غصباً أهل البيت ؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطيكم المقادمة وسلموا إليكم الإمارة ، وأنا أحتج عليكم بمثل ما أحتججتم به على الأنصار ، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً ...». إلخ.

(١) راجع الإمامة والسياسة ٦/٧-٨ .

(٢) تاريخ الطبرى: ١٩٨٣ ، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ٢٦٦/٢ .

## م - الانقلاب وانفلات التيار الغلاب

وعمر على فراش الموت يتفكر بمستقبل أمة محمد ، ويقلب الأمر على وجوهه المختلفة قال: لو أدركت أبا عبيدة باقياً استخلفته ولولتيه ، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته ، ولو أدركت خالدبن الوليد ولولتيه ، ولوأدركت سالماً مولى أبي حذيفة ولولتيه... وسالم من الموالى فارسي ، ومعاذ من الأنصار ، ويوم السقيفه لم يكن جائزأً تولية الأنصار ! وخالد منبني مخزوم ومن الطبقة العاشرة من طبقات الصحابة حيث هاجر في الفترة الواقعة بين صلح الحديبية وفتح مكة .

قال عمر لابن عباس أثناء خلافته: «يا ابن عباس أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد ﷺ؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه ، فقلت: إن لم أكن أدرى فإن أمير المؤمنين يدرى ، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة ، فثبتجروا على قومكم بجحراً بجحراً ، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت .

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين إن تاذن لي في الكلام وتميط عني الغضب تكلمت ، قال: تكلم . قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت لأنفسها فأصابت ووفقت ، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأما قولك إنهم أبووا أن تكون لنا النبوة والخلافة ، فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكراهية فقال: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ . فقال عمر: هيئات يا ابن العباس قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتزييل منزلتك مني ! فقلت: يا أمير المؤمنين فإن كان حقاً فما ينبغي أن تزييل منزلتي منك ، وإن كان باطلأً فمثلي أمات الباطل عن نفسه . فقال

عمر: بلغني أنك تقول: صرفوها عنا حسداً وبغيّاً وظلماً ، قال ابن عباس: فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل واللحيم ، وأما قولك حسداً فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون . فقال عمر: هيئات هيئات ، أبنت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول ! قال: فقلت: يا أمير المؤمنين مهلاً لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً<sup>(١)</sup> .

### نـ قصة ذات دلالة تأسيسية

الواقعة التي يرويها المسعودي في كتابه مروج الذهب ، والتي جرت بين ابن عباس وبين الفاروق رضي الله عنهمَا ، تؤكّد حدوث الإنقلاب الفكري وانفلات التيار الغلاب الذي كان ساكناً في النفوس وملجوماً أثناء حياته عليه السلام وقبل أن تتأسس دولة الخلافة الراشدة :

ذكر عبدالله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: « يا ابن عباس إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن تكون منهم وفي نفسي منك شيء وأعياني ذلك فما رأيك في العمل ? قال ابن عباس: لمن أعمل حتى تخبرني بالذى في نفسك . قال عمر: وما تريد إلى ذلك ? قال ابن عباس: أريدك فإن كان شيئاً أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت ، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنني لست من أهله ، فقبلت عملك هنالك فإني قلماً رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته . فقال: يا ابن عباس ، إني خشيت أن

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢٤/٣ وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحميد: ١٠٧/٣ أخرجه في تاريخ بغداد: ٩٧/٢ ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام / ١٤١ .

يأتي علي الذي هو آت (يعني موت عمر) وأنت في عملك فتقول هلم إلينا ، ولا هلم إليكم دون غيركم ، إني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم . قال: والله قد رأيت من ذلك فلم تره فعل ذلك ؟ قال عمر: والله ما أدرني أضن بكم عن العمل فأهل ذلك أنتم ، أم خشي أن تبايعوا بمتركتكم منه فيقع العتاب ولا بد من عتاب ، وقد فرغت لك من ذلك فما رأيك ؟ قال ابن عباس: أرى لا أعمل لك . قال: ولم ؟ قلت: إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك ، قال: فأشر علي . قلت: إني أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً لك»<sup>(١)</sup> . فمن فرط حرصه على مصلحة المسلمين يريد حتى بعد موته أن يتتأكد بأن الهاشمين لن يسلطوا على رقاب الناس ، ولن يحكموا أمة محمد !

وبالإجمال تحولت هذه المقوله إلى تيار غالب أ瘋ح عن ذاته ، وفرض نفسه كقناعة عامة تؤمن بها السلطة وآمنت بها الأكثريه الساحقة على اعتبار أن هذه المقوله هي الوسيلة المثلث لمنع الإجحاف الهاشمي ، وإنصاف البطون القرishiّة لتداول الخلافة بينها كرد على النبوة الهاشمية ، أو كتعويض لها عن اختصاص الهاشمي بالنبوة ، وأخيراً على اعتبار أن هذه المقوله مظهر من مظاهر هداية قريش وتوفيقها ، على حد تعبير الفاروق .

وباستمالة أبي سفيان إلى جانب السلطة ، وإعطائه ما بيده من الصدقات التي جمعها زمن النبي ، وتولية ابنه يزيد قائداً على جيش الشام ، وتعيين ابنه الثاني معاوية مع أخيه يزيد ثم خلافته له كوال على الشام بعد وفاته ، كل هذا كون حلفاً حقيقياً بين السلطة وبين الطلقاء ، لهم قناعة سياسية مشتركة تقوم على عدم تمكين الهاشمين من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة ، وبهذا التحالف قطع دابر

---

(١) الإمامة والسياسة ١٥.

المعارضة وحُجّمت ، وتم تكريس مبدأ تحريم الخلافة على الهاشمين ! وهكذا فقدت العترة الطاهرة حتى نصيحتها من امتيازات الشرف التي كانت مخصصة لها بموجب الصيغة السياسية التي سادت مكة قبل الإسلام ، وعزلت تماماً وحُجّمت ! أنظر إلى قول الفاروق مخاطباً العباس وبني هاشم ( إِي والله وأخْرَى: إِنَا لَمْ نَأْتُكُمْ حَاجَةً مَنَا إِلَيْكُمْ ، وَلَكُنْ كُرْهَنَا أَنْ يَكُونَ الطَّعْنُ مِنْكُمْ فِيمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْعَامَةُ فَيُتَفَاقِمُ الْخُطُبُ بِكُمْ وَبِهِمْ ) ! وبلغت الإستهانة بهم حدّاً أن عبد الله بن الزبير هم بأن يحرق بيوتهم بمن فيها لو لا أن تدخل أهل الخير . ومعنى ذلك أن أي قبيلة من القبائل التي حاصرت الهاشمين في شعب أبي طالب ثلاثة سنين ، وأرسلت مندوبيها للإشتراك بقتل النبي ، هي أسعد حظاً من الهاشمين ، والفرد منها أولى وأحق برئاسة الدولة من أي هاشمي ! فالرئاسة والولاية حلال لكل الناس وحرام على أي هاشمي من الناحية العملية كل ذلك من أجل عدم تمكين الهاشمين من الجمع بين النبوة والخلافة ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟ !

### سـ- التكثيف الشرعي لمقوله تحريم جمع الهاشمين الخلافة والنبوة

هذه مقوله جاهلية من كل الوجوه ، وتعارض معارضة تامة مع النصوص الشرعية ومع النظم السياسية المشتقة من العقائد الإلهية . فداود النبي ورثه ابنه سليمان ، فجمع كل واحد منهم النبوة والخلافة معاً ، وأوتى الأنبياء عبليهم وذرياتهم الحكم والنبوة والكتاب ، ولم يعرض عليهم أحد ، لأن الفصل بيد الله ، والخلافة منصب ديني وبالدرجة الأولى دينوي وال الخليفة قائم مقام النبي ، ومن مهام النبوة البيان والحكم ، وعملية البيان والحكم عملية فنية تماماً وختصاصاً .

ومن هو على علم بالتقاطع الأساسية للنظام السياسي الإسلامي ، يتبيّن له بأقل جهد ممكّن أن هذه المقوله نصفاً تماماً النظام السياسي الإسلامي كنظام إلهي وفرغته تماماً من مضمونه ، وحولته من الناحية العملية إلى نظام وضعى لا يختلف عن الأنظمة الوضعية إلا بالشكل (سياسياً) ! بل والأهم من ذلك أن رئاسة الدولة صارت غنيمة وطعنة يأكلها الغالب والغالب وحده ، وبعد أن يغلب يجلس على كرسي النبي (أو حصيرته) ويلبس جبة الإسلام فإذا هو خليفة ، فإن غالب الطليق الذي قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أحبط به فأسلم رغبة أو رهبة ، فإنه يتأمر على المهاجر الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه ! ويصبح ولـي الله المخصص شرعاً لرئاسة الدولة الإسلامية مجرد مواطن عادى من رعاياه ! ويتكلـم الجاهل ويـسـكت العالم ، ويـتـقدمـ المحـاصـرـ ويـتأـخـرـ المحـاصـرـ !

كل هذا من أجل إنصاف القبائل الأخرى ، ومنع الهاشميـنـ منـ أنـ يـجـمعـواـ معـ النـبـوـةـ الخـلـافـةـ ، أوـ بـتـعبـيرـ أـدقـ منـ أـجلـ العـودـةـ عمـلـيـاًـ إـلـىـ الصـيـغـةـ السـيـاسـيـةـ التـيـ كانت سائدة قبل الإسلام ، ولكن بثوبها الجديد . فالصـيـغـةـ السـيـاسـيـةـ الجـاهـلـيـةـ كانت تقوم على اقسام مناصب الشرف ، بحيث تأخذ كل قبيلة نصيبها منها ، وبتطبيق المقولـةـ أصبحـتـ القـبـائـلـ تـتـداـولـ رـئـاسـةـ الدـوـلـةـ وـبـنـفـسـ الـوقـتـ تـتـشـارـكـ بالـشـرـفـ وـالـمـنـاصـبـ أـثـنـاءـ عـمـلـيـةـ التـدـاـولـ .

أما الأحكام الإلهـيـهـ المتعلقةـ بالـنـظـامـ السـيـاسـيـ الـإـسـلـامـيـ فـهـيـ مـوـضـوعـ آخرـ ، فـهـيـ لـاـ تـسـتـجـيبـ لـلـصـيـغـةـ السـيـاسـيـةـ التـيـ وـجـدـتـ قـبـلـ الإـسـلـامـ فـيـ مـكـةـ .

## ع - نتائج تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشميين النبوة والخلافة

التيبيحة الأولى: زوال الفوارق نهائياً بين الذين قاتلوا الإسلام بكل فنون القتال حتى أحبط بهم فأسلموا ، وبين أولئك الذين قاتلوا مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه ونصر نبيه وأقام دولة الإيمان ! فالكل مسلم لا فرق من الناحية السياسية بين هذا أو ذاك ، فكلهم مسلم وكلهم في الجنة ، فالهاشمي الذي حاصرته قريش ثلاثة سنين هو تماماً مثل أي شخص كان على الشرك واشترك بالحصار ، ألم يسلم ذلك الشخص ؟ أليس الإسلام يجب ما قبله ؟ فلو أن حمزة سيد الشهداء رجع إلى الدنيا فهو تماماً كوحشي من الناحية العملية السياسية ، فالقاتل كالمنتول تماماً ، والمهاجر كالطريق ، والجاهل كالعالم ، ولو غلب الجاهل لكان لزاماً على العالم أن يطيعه سياسياً ويتبعه وينقاد إليه !

بل على العكس فلو كان هنالك هاشمي عالم كعلي بن أبي طالب ، وكان هنالك أنصاري بدرجته أو أقل علمأً منه فالأنصاري العالم مقدم على الهاشمي . أنظر إلى قول الفاروق رضي الله عنه بوجود علي بن أبي طالب وهو يقول: لو أدركت معاذ بن جبل لوليته ، ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته ! خالد قاتل الإسلام في أحد وفي أكثر من وقعة ، وعلى قاتل مع الإسلام في كل موقعه ، ومع هذا فالأولى هو خالد ! حتى أن الفاروق لو أدرك سالماً مولى أبي حذيفة وهو من الموالى لولاه الخلافة وأمره على علي بن أبي طالب ، مع أن علياً هو مولى عمر ومولى أبي عبيدة ومولى كل مؤمن ومؤمنة، باعتراف الفاروق وإقراره.

**النتيجة الثانية - زرع بذرة الخلاف ونموها**

طالما أنه لا فرق بين المهاجر والطريق ، ولا بين القاتل والمقتول ، ولا بين المحاصر والمحاصير ، ومن حق كل واحد أن يفهم الإسلام وأن يستقطب حول هذا الفهم ، فمعنى ذلك وجود مرجعيات متعددة ومفاهيم متعددة وقناعات متعددة ، وكل فريق يزعم أنه على الحق ! ففريق يذهب إلى الشمال وآخر إلى اليمين ، وثالث إلى الشرق ورابع إلى الغرب وخامس إلى الشمال بزاوية كذا... ولا يوجد مرجع يعتبر كلامه حجة يقينية شرعية يقر بها الجميع ! بهذا الجو زُرعت بذرة الخلاف ونمّت بأرض خصبة ، فلو قال علي عليهما السلام وأقال واحد من الطلقاء كلاماً آخر ، فالذي يزن القولين هو السامع ، لأنّه عملياً لا فرق بين علي وأي طلاق ، فكلّاهما في الجنة وكلّاهما صاحبة ، أي أنّهم لا يقرّون عملياً بأي ترجيح شرعي لقول علي ، فهو وغيره لمتساولون تماماً ؟ فهذه قطعة ذهبية تساوى حجماً وشكلأً ومقداراً وقيمةً مع قطعة أخرى ، فخذ ما شئت وإياك والتمييز . فالوفاق وفاق ظاهري وتحته ينمو الخلاف ويشب ويتحول إلى سرطان عاجلاً أم آجلاً ، يمزق وحدة الأمة ويخرجها من الشرعية إلى الغامض المجهول.

**النتيجة الثالثة - رئاسة الدولة حق للجميع إلا لهاشمي**

يعنى أنه لا شئ على الإطلاق يمنع أي مسلم من أن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية شريطة أن يتمكن من الوصول إليها والإستحواذ عليها ، وانقياد الجميع له وتسليمهم له بالغلبة والسلطان ، شريطة أن لا يكون من بنى هاشم لأنّهم اختصوا بالنبوة ، والنبوة تكفيهم . وهذا الحق حول الطمع برئاسة الدولة إلى

كابوس بغيض وآلية مزعجة سلبت الأمة قرارها واستقرارها ، وحولتها إلى حقل تجارب لكل الطامعين بالرئاسة ، وعطلت نظامها السياسي الشرعي . أما من أي قبيلة هذا الرئيس؟ ما هو علمه؟ ما هو دينه؟ ما هي ساقته؟ من الذين سيحكمهم؟ تلك أمور ثانوية لا قيمة لها من الناحية العملية ، ولا يعول عليها لأن الغالب غالب ، والحصول على رضوان المغلوب فن قائم بذاته .

فما الذي يمنع يزيد بن معاوية وهو المشهور بعهره وجوره من أن يكون رئيساً للدولة الإسلامية لأنه ابن معاوية الرئيس ، ومن الذي يمنع الحسين بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة في الجنـة بالنـص وريـحانـة النـبـي من هـذـه الـأـمـة بالنـص والإمام الشرعي لهذه الأمة بالنـص ، فـما الذي يـمنعـهـ منـ أنـ يكونـ أحد رـعـاـيـاـ يـزـيدـ ، وأـحدـ الـذـينـ يـتأـمـرـ عـلـيـهـمـ ؟ فـكـلاـهـماـ مـسـلـمـ وـكـلاـهـماـ فـيـ الـجـنـةـ ! يـزـيدـ القـاتـلـ المـجـرـمـ فـيـ الـجـنـةـ ، وـالـحـسـينـ الإـمـامـ المـقـتـولـ فـيـ الـجـنـةـ ، فـكـلاـهـماـ صـحـابـيـ ! وـمـنـ يـنـقـدـ هـذـاـ الرـأـيـ فـهـوـ زـنـديـقـ لـاـ يـؤـاـكـلـ وـلـاـ يـشـارـبـ وـلـاـ يـصـلـىـ عـلـيـهـ .

#### النتيجة الرابعة - اختلاط الأوراق

اختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل والخير بالشر والعلقم بالشهد ، وأصبح المتأخر كالمتقدم واللاحق كالسابق والمجاهد كالقاعد والقاتل كالمقتول والمحاصر كالمحاصر ، ومن وقف مع الإسلام تماماً مثل من وقف ضده ، ومن قاتل الإسلام تماماً كمن قاتل معه ! لقد دخل الجميع بدین الله وشاهد النبي أو شاهدوه ، فكلهم صحابة وكلهم في الجنـةـ! وضـاعـ الصـادـقـونـ وـتـفـرـقـواـ فـيـ الـأـمـصـارـ وأـصـبـحـواـ عـلـىـ حدـ تـعبـيرـ مـعاـويـةـ - كـالـشـعـرـةـ الـبـيـضـاءـ فـيـ جـلـدـ ثـورـ أـسـوـدـ ، وـانـهـارـ النـظـامـ السـيـاسـيـ الإـسـلامـيـ وـتـأـخـرـ الـمـتـقـدـمـونـ وـتـقـدـمـ الـمـتـأـخـرـونـ ، وـلـهـ عـاـقـبـةـ الـأـمـورـ .

## الجذور السياسية لنظرية عدالة كل الصحابة

### أ - اختلاف الواقع عن المثال

النظام السياسي الذي تم تطبيقه في التاريخ السياسي الإسلامي ، بدءاً من وفاة الرسول ﷺ وحتى سقوط آخر سلاطين بني عثمان ، يختلف تماماً عن النظام السياسي الإسلامي الإلهي الذي أنزله الله تعالى على عبده محمد ﷺ، ليسوس المسلمين في كل الأزمان ! ومع الإصرار على الوجود المؤكّد لهذا الاختلاف ، فلا بد من التوضيح بأن حجم هذا الاختلاف متفاوت من شخص إلى شخص ومن عهد إلى عهد . ومن نافلة القول أن تؤكّد بأن هذا الاختلاف لا يخفى على ذي بصيرة لو تركنا التقليد الأعمى . لأنه لو طبق النظام السياسي الإسلامي بعد وفاة الرسول بالشكل والمضمون الإلهيين لما: ١ - انهارت دولة الإسلام ٢ - ولما حدثت تلك الفتنة والمذابح . ٣ - ولما تفرقت الأمة الإسلامية . ٤ - ولما توقف المد الإسلامي المبارك عند هذا الحد ولعم الإسلام العالم كله ، فغير تغييراً جذرياً مجرى التاريخ البشري .

في كتاب تجربة في التاريخ العام: « يقول الفيلسوف الإنجليزي ولز ، وهو أحد أبرز مفكري العصر الحديث: لو أن الإسلام سار سيرته الأولى ولم تتشعب الفتنة لفتح العالم أجمع»<sup>(١)</sup> وعلماء العالم العربي يعتقدون - وهذا مبلغهم من العلم - أن

---

(١) راجع كتاب شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية/ ١٧٣.

نظام الخلافة هو عينه النظام السياسي الإسلامي ، وهو عينه الذي يطالبون بإعادة تطبيقه ! مع أنّ النظام السياسي الإسلامي تكون بصورته النهائية وطبق في زمن النبي ﷺ قبل أن يتكون نظام الخلافة لأنّ الخلافة تعني خلافة النبي ، فإذا كان النظام السياسي الإسلامي هو نظام الخلافة ، فما هو النظام الذي طبّقه النبي ؟ إنّ النظام الذي طبّقه النبي هو النظام السياسي الإلهي السابق لنظام الخلافة ، والذي طبّق بحذافيره قبل أن يعرف نظام الخلافة ، وهو الأصل وهو المثال ، وما سواه فروع وأشكال تمدد وتتكيف ، بحسب قربها أو بعدها من الأصل والمثال .

### ب - النظام السياسي الإسلامي

هو النظام الذي طبّقه النبي إبان الدعوة على علاقته بتابعيه ، ثم طبّقه في عصره الراشد بعد أن تحولت الدعوة إلى دولة ، وخلال رئاسته المباركة للدولة والتي استمرت عشر سنين . وقبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى أكمل الله الدين وأتم النعمة وبين كل شيء - كل شيء - على الإطلاق . وباستقراره تجد أنه نظام إلهي معد ومصاغ ليكون النظام العالمي الأمثل لعالم أمثل ، لأنّه النظام الإلهي بصورته المثلية وبصياغته الأخيرة والنهائية .

### ج - أركان النظام السياسي الإسلامي

يقوم النظام السياسي الإسلامي على أربعة أركان ، متصلة مع بعضها اتصالاً عضوياً يتذرّع الفصل بينها . وإذا وقع الفصل بينها فقد النظام صفتة الإسلامية بحجم هذا الفصل ، وعاجلاً أم آجلاً سيتداعى النظام ، لأن هذه الأركان هي التي تميّزه عن غيره وتكلّاملها وحدّه الذي يعطي الثمرة المرجوة من تطبيق هذا النظام :

الركن الأول - القيادة السياسية: القيادة السياسية في العقائد الإلهية عامة ومنها

الإسلام تعين ، أو إن شئت فقل: (ترشح) من قبل الله مباشرة ، كما حدث لداود وسليمان ومحمد صلوات الله عليه . فالله سبحانه هو نفسه الذي اختارهم أنبياء ورؤساء لدول الإيمان ، وبلغوا القرار الإلهي بالذات أو بشكل غير مباشر كاختياره تعالى طالوت ليكون القائد السياسي لبني إسرائيل ، فقامنبي بنى إسرائيل بإخبار الإسرائيليّين بأن الله قد اختار لكم طالوت ملكاً ، فاحتاج الإسرائيليّيون فزعموا أن طالوت غير جدير بالملك ، وبين الله أنه أهل لذلك لأسباب كثيرة منها: أن الله زاده بسطة في العلم والجسم ، ثم إن الفضل بيد الله وهو الأعلم بمن هو جدير بهذا الفضل ، وكاختياره تعالى لعلي بن أبي طالب ليكون ولينا للأمة بعد وفاة وليتها ، وتبليغه بهذا الإختيار بواسطة محمد ، على مرأى ومسمع من مائة ألف مسلم في حجة الوداع .

ما هي الغاية من الترشيح الإلهي للقيادة السياسية؟: لأن هدف المحكومين المصنفي من الغرض والشهوة هو أن يتولى قيادتهم الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم واليقين ، وتلك أمور خافقة عليهم، ويتعذر وفق إمكانياتهم أن يجزموا جميعاً بأن هذا أو ذاك هو الأعلم والأفضل والأنسب على وجه الجزم واليقين . فرحمه من الله تعالى بخلقه المؤمنين بين لهم بأن مرادهم هو فلان.. إذا كانوا حقيقة صادقين بالبحث عن الأفضل والأعلم والأنسب ، لأن القيادة عملية فنية وختصاص وهي في الغالب خلافة لنبوة ، ومن مهام النبوة القدوة والتبلیغ والبيان وسعة الصدر بالمحكمين ، والقول الفصل ، بحيث يلتقي فهمه تماماً مع المقصود الإلهي من كل قاعدة من قواعد المنظومة الحقوقية الإلهية... وتلك أمور لا يمكن أن تترك لأهواء الناس المتباينة وأمزجتهم المختلفة . وهذا الركن هو الفارق العملي الوحيد الذي يميز الأنظمة الوضعية عن النظام السياسي الإسلامي .

فالأنظمة الوضعية ترك الأمر لأهواء الناس وإجتهاداتهم لاختيار القيادة الأعلم والأنسب ، على سبيل الفرض والتخيّل لا على سبيل الجزم واليقين الذي يتحصل باتباع النمط الإلهي.

**الركن الثاني - الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وقيادتها:** ما أنزل الله كتاباً إلا على عبد ، ولا خص البشرية بهداية إلا ومعها هاد ، ولا أرسل رسالة إلا برسول . فالصلة عضوية بين الكتاب والهداية والرسالة من جهة وبين العبد والهادي والرسول من جهة أخرى . فلا بد من بيان الكتاب وتوضيح الهداية والرسالة وسياسة الأتباع بمقتضاهما ، ولتكن الفسحة الواقعة بين البداية والنتيجة محطة ترجمة ونقل للمضامين من النص إلى التطبيق ، وبالتالي تجربة غنية تثري الرسالة والكتاب والهداية وتبين ما فيها . ولو كان مجدياً العكس لأرسل الله نسخاً من كتبه السماوية لكل واحد من المكلفين ، لكنها عملية فنية واحتراص ، فمحمد ﷺ بالذات هو الفني وهو المختص الأوحد ببيان الإسلام بياناً يقينياً يتطابق مع المقصود الإلهي في كل نص من النصوص ، وهو بالذات الأعلم بالرسالة والكتاب والهداية ، وهو أفضل أتباعها ، وهو الأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع سياسياً وسياستهم وفق أحكامها ، ومن ينسبة النبي لخلافته بأمر ربه هو بالذات المؤهل لإدامة هذه الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وقيادتها السياسية .

**الركن الثالث - المنظومة الحقوقية الإلهية:** الإمام أو القائد السياسي في النظام السياسي الإسلامي ليس حراً ليحكم برأيه ، إنما هو مقيد بالمنظومة الحقوقية الإلهية بحيث يكون حكمه في أي أمر من الأمور متطابقاً تماماً مع الإرادة الإلهية بحيث يكون التكيف هو عين التكيف الإلهي والمضمون عين الحكم الإلهي ، لأن المنظومة الحقوقية من صنع الله وهي بمثابة القانون النافذ الواجب تطبيقه على

كل الداخلين في ولاية الإمام أو القيادة السياسية ، وهذه المنظومة الحقوقية ليست من صنع القائد ولا من صنع المحكومين ، إنما هي من صنع الله . وما يبدو لنا أنه من قول محمد ما هو في الحقيقة إلا ثمرة وحي إلهي وبيان لما أنزله الله . وهذا فارق آخر بين النظام السياسي الإسلامي وبين الأنظمة الوضعية . فالأنظمة تسن ب نفسها قوانينها وتلزم المحكومين باتباعها ، بينما في النظام الإسلامي الله هو الذي يضع المنظومة الحقوقية ويلتزم الحكم والمحكوم باتباعها تحت إشراف الله . فالذين ينفذون القوانين ليسوا عبيداً للحاكم ، إنما الحكم والمحكومون عبيد الله ينفذون أوامره ، وي الخضعون له وحده ولا لسواه .

الركن الرابع: موافقة المحكومين ورضاهem الشعب يبحث عن منظومة حقوقية مثل تحدد له الأهداف العامة والخاصة ، وتبين له وسائل بلوغ تلك الأهداف ، ويبحث عن قيادة سياسية تكون هي الأعلم بالمنظومة الحقوقية ، والأفضل والأقرب لقيادته . فجاءت العناية الإلهية لتنقذه من هذه الحيرة ، وتبين له أن المنظومة الحقوقية التي تحقق ما يريد هي الإسلام بقراره وسنة نبيه ، قوله و فعله وتقريره . أما القائد الأعلم بهذه المنظومة والأفضل من بين الموجودين والأقرب لقيادة الشعب فهو محمد ﷺ ، وبعد موته هو الذي ينسبه محمد بأمر من ربه ، ثم الذي يليه ثم يليه عليه ﷺ ... إلخ . فإن وافق الشعب على هذا التكليف الإلهي للمنظومة الحقوقية وللقيادة السياسية فقد اهتدى ، ودخل الخير من أوسع الأبواب بعد أن قبل بهذا التكليف الإلهي . وإن أبي فإن الله لن يجره جراً إلى الخير إنما يتركه ليجرب ويذوق وبال المعصية ، وليخا حياة ضنكأ لأنه رفض التكليف الإلهي ووالى قيادة سياسية غير التي أرادها الله ورشحها .

### بساطة النظام السياسي الإسلامي

كيف تعرف أنك سائر على الدرب الإلهي؟ من يوالى القيادة السياسية التي عينها الله تعالى هو مع الله . فالذين والوا مهتماً هم من حزب الله ، والذين عادوا محمداً ووالوا غيره هم من حزب الشيطان ، حتى لو صلوا الليل كله وصاموا العمر كله ، لأن الولاية والموالاة هي القول الفصل بخصوصية الحزبين ، كذلك من يوالى وليه من بعده أو يعاديه يتحدد موقعه بأحد الحزبين ، وبحجم هذه الموالاة سلباً كانت أم إيجاباً . لقد كانت الموالاة لمحمد هي الميزان الحق بين الصادق والكاذب . فقد بنى أناس المساجد وصلوا وأنفقوا واعتذرروا عن عدم خروجهم مع الرسول ، ولكنه تعالى وسمهم بالنفاق ، لأن ولاهم لمحمد ليس صحيحاً .

### المناخ السياسي الذي نشأت فيه نظرية عدالة كل الصحابة

بعد مقتل الفاروق آلت الأمور إلى عثمان بن عفان ، وهو بطبيعة مولع بحب أقاربه . وبتولية عثمان بدأ بنو أمية ينزلون حوله واحداً بعد الآخر ، وبدأ هو بتجميعهم حتى أصبحوا رجال الخليفة ومستشاريه ، وأصبحت مقايد الأمور عملياً بيد مروان بن الحكم ، حتى أن عثمان بعث محمد بن أبي بكر والياً على مصر ومعه مرسم الخليفة ومعه طائفة من الصحابة ، فأمر مرواه بقتله دون أن يستشير الخليفة حتى مجرد استشارة وختم الأمر بخاتم الخليفة وال الخليفة لا يدرى ، وبتعبير علي عليه السلام: «صار عثمان سيفه بيد مروان يسوقه حيث شاء ، بعد كبر السن وصحبته الرسول»<sup>(١)</sup> وما أدرك ما مروان؟ ضيق من المؤلفة قلوبهم ، وأبوه الحكم بن العاص كان محظياً عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وزمن أبي

(١) تاريخ ابن الأثير وراجع ، والطبرى باب مقتل عثمان . وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ١٧٥ وما فوق .

بكر وعمر . وعندما تولى عثمان أدخله معززاً مكرماً وأعطاه مائة ألف درهم .

ومما ساعد حزب الطلقاء أيضاً على تكوين دولتهم عبد الله بن أبي سرح والي مصر بكل خيراتها . وما أدرك ما عبد الله بن أبي سرح ؟ إنه الذي افترى على الله الكذب ، وأباح الرسول دمه حتى ولو تعلق بأسثار الكعبة - كما يروي صاحب السيرة الحلبية في باب فتح مكة - وجاء به عثمان يوم الفتح يطلب له الأمان ، وسكت الرسول على أمل أن يقتل عبد الله خلال فترة سكوطه ، ولم يقتل أعلاه الأمان . ثم إن الغرسة التي زرعت في زمن أبي بكر ، وهي معاوية ، ضربت جذورها في الأرض فقد ضل والياً على الشام عشرين عاماً يجمع كما يشاء عملياً ويعطي كما يشاء . مروان الطليق ، ومعاوية الطليق ، وعبد الله بن أبي سرح الطليق ، والوليد بن عقبة الطليق أيضاً صلى الصبح أربعاء وهو والي الكوفة ، كلهم على مدرسة أبي سفيان حتى أن أبو سفيان حاول أن يخرج عثمان من مدرسته فقال يوماً لعثمان كما روى الجوهرى لما بُويع لعثمان: «كان الأمر في تيم وأنى لتيم هذا الأمر ثم صارت (الخلافة) لعدي فأبعد وأبعد ! ثم رجعت لمنازلها واستقر الأمر قراره فلتلقواها تلتفون الكرة ! وقال لعثمان يوماً: بأبي أنت وأمي أتفق ولا تكون كأبي جحر وتداولوها يابني أمية تداول الولدان الكرة ، فوالله ما من جنة ولا نار . وكان الزبير حاضراً فقال عثمان لأبي سفيان (أغرب) فقال أبوسفيان:

يابني أهادنا أحد؟ فقال الزبير: نعم والله لا كتمتها عليك<sup>(١)</sup>

وبإيجاز قال مروان بن الحكم كما يروي ابن الأثير في تاريخه الجزء الثالث قبل مقتل عثمان: «شاهد الوجوه تريدون أن تسليباً منا ملکنا» ! فقد أصبحت الخلافة في أواخر عهد عثمان ملکاً أموياً ، فلا تجد مصر إلا وواليه أموي طليق

(١) راجع شرح النهج لابن أبي الحديد: ٣٠٧/١ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

أو موالي لبني أمية . فأي خليفة سيأتي بعد عثمان إما أن يصبح أداة بيد الأمويين أو يدخل ليلاً مظلماً ويسير على أرض مليئة بالعثرات والألغام .

ونتيجة الفتوحات كثُر عدد المسلمين الأحداث والمنتفعين من الدولة ، وقلَّ عدد الصحابة الأجلاء الذين قامت الدولة المحمدية على أكتافهم ، وأصبح الصحابة السابقون كشارة بيضاء في جلد ثور أسود من حيث العدد ! وتلك أمور لم تكن خافية على معاوية الذكي ، فقال مهدياً قبل قتل عثمان: «ما أنت في الناس إلا كالشامة السوداء في الثور الأبيض» . فكل الولايات كانت أموية أو موالية لبني أمية ، ومعاوية ابن قائد الأحزاب ورضيع هند آكلة الأكباد أصبح قطب الرحى ! فهو والي الشام كلها ، وهو الوصي على بني أمية ، وقد رفع شعار المطالبة بدم عثمان ليضمن استمرار الملك الأموي الذي نشأ عملياً يوم ولد أبو بكر أخيه يزيداً وتوطد الأمر بعده لمعاوية وتحول في عهد عمر وعثمان إلى ملك حقيقي ! وهذا معنى قول مروان: شاهت الوجوه ت يريدون أن تسلبوا منا ملکنا ! فقضية معاوية هي الملك وليس معاقبة قتلة عثمان لأنَّه صار خليفة ولم يعاقبهم ! قتل الروح المؤمنة عندهم ليس بذريقيمة ، ألم يصدر مروان بن الحكم أمراً بقتل محمد بن أبي بكر ومن معه من الصحابة بدون جريمة وذنب ؟ أليس معاوية قاتل الحضرمي الذي كتب فيه ابن زياد أنه على دين علي ؟ أليس معاوية هو قاتل عمرو بن الحمق الذي أخلقت العبادة وجهه ؟ أليس هو قاتل حجر بن عدي وأصحابه العابدين المختفين الآمررين بالمعروف والناهين عن المنكر ؟ أو ليس هو الذي سلط ابن زياد الذي قتل عباد الله وصلبهم في جذوع النخل . المهم عند معاوية الملك بالدرجة الأولى ، والإنتقام من قاتل جده وخاله وابن خاله وأخيه . وقد انتهز فرصة حروب الجمل فأخذ يحرض طلحة والزبير وعائشة ويظاهرهم ،

وكان يعد طلحة والزبير بالبصرة والكوفة بأن يحكم كل واحد منها إحداها ، حتى إذا انتهت الحرب بهزيمة من أثاروها أشعل الحرب بينه وبين علي...<sup>(١)</sup>

يقول الأستاذ عباس العقاد في كتابه معاوية في الميزان: كانت لمعاوية حيلة التي كررها وأتقنها وبرع فيها واستخدمها مع خصومة في الدولة من المسلمين وغير المسلمين ، وكان قوام تلك الحيلة العمل الدائب على التفرقة والتخديل بين خصومة بإلقاء الشبهات بينهم وإثارة الإحن فيهم ، ومنهم من كان من أهل بيته وذوي قرباه ! كان لا يطيق أن يرى رجلين ذوي خط على وفاق ، وكان التنافس الفطري بين ذوي الأخطار مما يعينه على الإيقاع بينهم .<sup>(٢)</sup>

ومضى معاوية على هذه الخطة التي لا تتطلب من صاحبها حظاً كبيراً من الحيلة والرؤبة ، فلو أنه استطاع أن يجعل من كل رجل في دولته حزباً منابذاً لغيره من رجال الدولة كافة لفعل ، ولو حاسبه التاريخ الصحيح لما وصفه بغير مفرق الجماعات ، ولكن العبرة لقارئ التاريخ في زنة الأعمال والرجال أن نجد من المؤرخين من يسمى عامه حين انفرد بالدولة (عام الجماعة) لأنه فرق الأمة شيئاً فلما تعرف كيف تتفق إذا حاولت الإتفاق ، وما لبث أن تركها بعده تختلف في عهد كل خليفة شيئاً شيئاً بين ولادة العهود .<sup>(٣)</sup>

وباختصار حصل معاوية على البيعة بالتفتييل والتدمير والتحريق والتفريق بين الناس ، وبشتمن أنصار رسول الله وأصحابه ، واستغلاله أموال المسلمين التي جمعها خلال عشرين عاماً بولايته على الشام لتوطيد سلطاته فرتب عطاء إسمه عطاء

(١) راجع شيخ المضيرة للأستاذ محمود أبو رية ١٧٤-١٧٥.

(٢) راجع معاوية في الميزان لعباس محمود العقاد ٦٤ و ٦٦.

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

البيعة (رُزق البيعة) يعطى للجند عند تعيين خليفة جديد !

### تجاهل الهدف المعلن للخروج على الشرعية

لقد عصى معاوية الخليفة الشرعي مطالبًا بمعاقبة قتلة عثمان ، وخرجت عائشة أم المؤمنين للمطالبة بمعاقبة قتلة عثمان ، وعند ما استولى معاوية بالقوة على أمر المسلمين واغتصب رئاستهم ، لم يعاقب قتلة عثمان ولم تخرج عليه أم المؤمنين ولم تطالبه بمعاقبة قتلة عثمان .

### الصحوة من الغفلة

استقام الأمر لمعاوية وأصبح هو القائم مقام النبي فهو خليفته ، مع أنه الطليق ابن الطليق ، وقد قاتل هو وأبوه الإسلام بكل فنون القتال ، حتى أحيط بهما وبمن شايعهما ، فأسلموا رغبة ورهبة .

كيف حدث هذا الإنقلاب ؟ كيف هزم الحق ؟ كيف أصبح المتأخر متقدماً والمتقدم متأخراً ؟ وأصبح الطليق أفضل من المهاجر ؟ والذي حاصر الإسلام وأبناءه أفضل من الذي تحمل الحصار في سبيل الإسلام ؟

ومن العجيب أن العام الذي هزمت فيه الشرعية وانتصرت فيه القوة ، سمي سمي عام الجماعة ! وأسقطت بيد الصادقين وعمهم شعور عميق بالإحباط وندموا ولات مندم ، لكانهم كانوا في غفلة ثم استفاقوا من حلم مرعب فوجدوه الحلم حقيقة . وانشغلوا بتحليل ما جرى وبرزت نظريات وأفكار ذهبت بأصحابها مذاهب شتى ، كفكرة التصوف وفكرة الإرجاء وفكرة الجبر ، ونظريّة عدالة كل الصحابة ، وكان الأمويون ومن والاهم وراء هذه النظريات ، فهي أسلحة استغلوها بكفاءة عالية لخدمة الملك الأموي وتشتيت خصومه والوقوع بينهم !

## الفصل الثالث

### ما هي الغاية من ابتداع نظرية كل الصحابة عدول

#### ١- التبرير

١ - تبرير غصب السلطة: معاوية طليق وابن طليق و من المؤلفة قلوبهم ، وقد وجد نفسه رئيساً للدولة الإسلام أو إن شئت فقل ملكاً عليها ، والقائم بأعمال خليفة النبي بل هو رسمياً الخليفة لرسول الله . هذا غير معقول !! ولا يصدق !! وبكل الموازين العقلية والشرعية الإلهية والوضعية ، فأبوه هو رأس الأحزاب ومرجعية الشرك في كل معاركه ضد الإسلام .

لا بد من مبرر يبرر هذا الإنقلاب ، وأفضل وسيلة لتبريره هو القول بعدالة كل الصحابة ، وبما أن معاوية وشيعته هم صحابة بالمعنىين اللغوي والإصطلاحي ، وبما أن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة ، ولن يدخل أحد منهم النار ، ولا فرق بينهم لأنهم كلهم عدول وكلهم صحابة ، فما الذي يمنع من أن يكون معاوية الخليفة وولي أمر المسلمين. وما الذي يمنع شيعته وهم صحابة أيضاً بالمعنىين اللغوي والإصطلاحي من أن يكونوا بطانة لمعاوية ، طالما أنهم كلهم عدول وكلهم من أهل الجنة ولا يدخل أحد منهم النار ؟ فنظرية عدالة الصحابة بثوبها الفضفاض هي المبرر الأمثل لملك معاوية ، وقد ألبسه معاوية النظرية ، فهو المنظر الحقيقي والمبتكر في فن الوقعية والدهاء :

**٢ - تبرير أفعال معاوية وشيعته:** لقد أنزل معاوية وشيعته أعظم النكبات بالإسلام وال المسلمين ، فقائد بسر بن أرطاة قتل في شهور في عارته على الحجاز واليمن ثلاثة ألفاً، وأوصى ابنه يزيد أن يرمي أهل المدينة بمسلم بن عقبة ففعل الأفاعيل التي ضجت منها السماء وأدمت القلوب حتى لو كانت من صلخد جلمود فقد قتل في وقعة الحرفة كل البدريين ولم يبق بعدها بدرى واحد ، وقتل من قريش ومن الأنصار سبعمائة ، ومن الموالى وسائر العرب عشرة آلاف .

ولا شئ يمنع معاوية وابنه من قتل الأطفال كما فعل بسر بن أرطاة بطفل عبيد الله بن عباس. ومن الكبر الأعظم الذي تولاه معاوية وشيعته عندما حاولوا إبادة آل محمد إبادة تامة وأساليبه المتلوية بالقتل ، فقد سُم معاوية الحسن (عليه السلام) وسم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد - كما ورد في ترجمته في الإستيعاب لابن عبد البر - وسم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - كما ورد في الإستيعاب أيضاً وسم مالك بن الأشتر ، ولذلك قال عمرو بن العاص في ذلك (إن الله جنوداً من عسل ...) وفرق معاوية الناس وجعلهم شيئاً . فلو حاولت أمة محمد أن تتفق لما استطاعت - كما يقول العقاد - وشوهد الحكم الإسلامي . يقول الدكتور أحمد أمين: ( فالحق أن الحكم الأموي لم يكن حكماً إسلامياً... الخ.).

كيف يمكن تبرير هذه الأفعال بغير نظرية عدالة كل الصحابة ؟ فطالما أن معاوية وشيعته من الصحابة ، وطالما أن الصحابة كلهم عدول وكلهم في الجنة فإن معاوية وشيعته لم يخطئوا ، فلو كانوا على خطأ لما قال النبي ﷺ: (إن الصحابة كلهم في الجنة) والنبي صادق مصدق لا ينطق عن الهوى ، وبالتالي فإن معاوية كصحابي مجتهد هو مأجور ، فإن قُتل وهو على الحق فله أجران ، وإن قُتل وهو على غير حقٍ فله أجر واحد ، فمعاوية على الحق

في حربه وسلمه ، في هجومه ودفاعه ، في أخذه وإعطائه ، لماذا؟ لأنه صحابي والصحابي من العدول !

### ٣ - التحصن ضد النقد والسب والشتم والإنتقاص: علاوة على أن نظرية

عدالة الصحابة تبرر غصب معاوية للسلطة ، وتبرر أفعاله وأفعال شيعته منبني أممية ، فإنها أيضاً تمنحه الحصانة ضد أي نقد ولو كان بناء ، وال Hutchinson ضد السب والشتم والإنتقاص من قدره لأنه صحابي ومن العدول ، ومن ينتقص أو يسب أو يشتم أي صحابي عادي فكيف برئيس دولة ، من يفعل ذلك فهو زنديق لا يؤكل ولا يشارب ولا يصلى عليه - كما يروي الذهبي في ميزانه - وليس في الدنيا خطة يمكن أن تحصن معاوية مثل نظرية عدالة كل الصحابة !

### ٤ - مقارعة خصوم معاوية وشيعته: نظرية عدالة كل الصحابة تؤمن فوز

معاوية في أي مقارعة بينه وبين خصمه ، أو تؤمن - على الأقل - المساواة بينه وبين هؤلاء الخصوم ، فلو قال آل محمد إنهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم طهيراً ، لأنبرى معاوية وشيعته إلى الرد الفوري عليهم: نحن أصحاب محمد العدول لا يجوز علينا الكذب ، ولا يجوز علينا الخطأ ، لأننا في الجنة ولا يدخل أحد منا النار ! ولو قال آل محمد: من عادانا فقد عادى الله ، لرد معاوية وشيعته ونحن الصحابة أيضاً ، قال النبي فيما: من آذى صحابياً فقد آذاني... إلخ. ويختلط الحق بالباطل والعاصي بالمطبع والمحسن بالمسئ !

### ٥- التفريق بين المسلمين: إذا تمكّن معاوية وشيعته من تأصيل هذه النظرية

بثوبها الفضفاض هذا وإشاعتها بين المسلمين ، فستتبناها طائفة منهم وستعارضها طائفة أخرى وينشب الجدل أظافره في أفكار الطائفتين ، ويتعصب كل فريق

لرأيه ويختلفان ، وتدون آراء كل طائفة ويتبعها اللاحقون بحكم التقليد وبحكم الدفاع عن الحق أو وجهات النظر ! فالذين يؤيدون النظرية لم يقصدوا تأييد معاوية إنما قصدوا تأييد الصحابة ، والذين يعارضون النظرية لم يقصدوا معاداة الصحابة إنما قصدوا كشف الأحابيل والألاعيب السياسية الخافية على الفريق الآخر ! لكن عملياً كل فريق وقف وجهاً لوجه ضد الفريق الآخر وشغلوا عن معاوية بينما معاوية هائ يترفج على المتصارعين ، وهو مستعد ليكون حكماً بينهم ! هذا هو الفن الذي أشار إليه العقاد في كتابه الرائع: (معاوية في الميزان) .

### نشوء نظرية عدالة كل الصحابة

روى ابن عرفة المعروف بنفطويه - وهو من أكابر المحدثين - أن أكثر الأحاديث في فضائل الصحابة افتعلت في أيامبني أمية ، تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بنبي هاشم ! وقد صفت هذه الأحاديث بأسلوب يجعل من كل صحابي (بالمعنىين اللغوي والإصطلاحـي آنفي الذكر) قدوة صالحة لأهل الأرض وتصب اللعنات على كل من سب أحداً منهم أو اتهمه بسوء<sup>(١)</sup> .

وقد أجمع الباحثون على أن نشأة الإختراع في الرواية ووضع الحديث على رسول الله ﷺ إنما كان في أواخر عهد عثمان وبعد الفتنة التي أودت بحياته ، ثم اتسع الإختراع واستفاض بعد مبايعة علي ، فإنه ما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة حتى ذر قرن الشيطان الأموي ليغصب الحق من صاحبه ويجعلها أموية ! وتتوالت الأحداث بعد ذلك ، ونقض بعض المبايعين لل الخليفة الرابع ما عقدوا ، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين ، غير أن بناء

(١) راجع آراء علماء المسلمين في التقبة والصحابة وصيانت القرآن الكريم ٨٥ للسيد مرتضى الرضوي .

الجماعة قد انصدع وانفصمت عرى الوحدة بينهم ، وترفت المذاهب في الخلافة وأخذت الأحزاب في تأييد آرائهم ، كل ينصر رأيه على رأي خصمه بالقول والعمل وكانت نشأة الإختراع في الرواية والتأويل وغالباً كل قبيل فافترق الناس . ولم يرزأ الإسلام بأعظم مما ابتدعه المتسبون إليه ، وما أحدثه الغلاة من المفتريات عليه ، فذلك ما جلب الفساد على عقول المسلمين ، وأساء ظنون غيرهم في ما بُني عليه الدين ، فكثر الناقلون وقل الصادقون ، وامتنع كثير من أجيال الصحابة عن الحديث إلا لمن يثقون بحفظه .<sup>(١)</sup>

وأشار الإمام محمد عبده إلى ما صنعه معاوية وأنه وضع قوماً من الصحابة والتابعين على رواية أخبار قبيحة على علي عليهما السلام للطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يُرغِب في مثله ، فاختلقوه ما أرضاه ، منهم أبو هريرة!<sup>(٢)</sup> ويقول الدكتور أحمد أمين في كتابه ضحى الإسلام: « ويسوقنا هذا إلى أن نذكر هنا أن الأمويين فعلاً قد وضعوا أو وضعوا لهم أحاديث تخدم سياستهم من نواحي متعددة»<sup>(٣)</sup> وقد بذل معاوية للصحابي أبي سمرة بن جندب خمسماة ألف درهم ليروي له عن النبي ﷺ أن آية: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَسْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَّا يُخَاصِمُ ، نزلت في علي بن أبي طالب . وإن آية: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَوُوفٌ بِالْعِبَادِ ، نزلت في عبد الرحمن بن ملجم لأنَّه قُتل عليها!<sup>(٤)</sup>.

(١) مقدمة الإمام محمد عبده على رسالة التوحيد ٧/٨ وشیخ المضیرة للأستاذ محمود أبو رية ٢٠١٢-٢٠٢٣.

(٢) مقدمة الإمام محمد عبده على رسالة التوحيد ٧/٨ وشیخ المضیرة للأستاذ محمود أبو رية ٢٠١٢-٢٠٢٣.

(٣) ضحى الإسلام: ١٢٣/٢ لأحمد أمين . وراجع شیخ المضیرة للأستاذ أبو رية .

(٤) راجع آراء علماء المسلمين في التقية والصحابة وصيانت القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي ٨٥/٨٦.

## رواية الأحاديث

أبو هريرة الدوسى ، أحد أصحاب معاوية وشيعته ، روى عن النبي خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً . روى منها البخاري أربعين مائة وستة وأربعين حديثاً وأبو هريرة هذا لم تتجاوز صحبته للنبي سنة وبضعة أشهر . بينما كبار الصحابة الذين لازموا النبي من يوم بعثته إلى لحظة انتقاله للرفيق الأعلى لم يرووا عنه ما يزيد عن مائة حديث رواها البخاري ، وهؤلاء الكبار هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى عبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله ومعاذ بن جبل وسلمان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب . إن في ذلك لعبرة !

## فضائل معاوية

قال الشوكاني في كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: «تحقق على أنه لم يصح في فضائل معاوية حديث . وبعد أن أورد ابن الجوزي الأحاديث الواردة في معاوية في باب الموضوعات ، ساق عن إسحاق بن راهويه (شيخ البخاري) أنه قال: «لم يصح في فضائل معاوية شيء» .

وللنسائي قصة مشهورة في أمر فضائل معاوية ، قال الدارقطني: «خرج النسائي حاجاً فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة ، فقال أحملوني إلى مكة وتوفي بالرملا ، وكان أصحابه في دمشق قد سأله عن فضائل معاوية فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يفضل؟ فما زالوا يدفعونه حتى أخرج من المسجد»!<sup>(١)</sup>

---

(١) راجع شيخ المضير أبو هريرة للأستاذ أبو رية ١٨٣/.

### رأي الشافعى فى معاوية

روى أبو الفدا عن الشافعى أنه أسر إلى الربع أن لا تقبل شهادة أربعة من الصحابة وهم: معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد<sup>(١)</sup> وربما كان هذا هو السر الذي دفع ابن معين للقول عند ما سئل عن الشافعى قال: إنه ليس بثقة .

### قول الحسن البصري

روى الطبرى أن الحسن البصري كان يقول: «أربع خصال كن في معاوية ولو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكان موبقة . ١- انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزواها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة . ٢- استخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطناير . ٣- ادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ الولد للفراش وللعاهر الحجر . ٤- وقتلها حجراً وأصحابه ، ويل له من حجر وأصحابه ». .

(١) راجع الطبرى حوادث سنة ٥١ وابن الأثير: ٢٠٢٣- ٢٠٩ وابن عساكر: ٣٧٩/٢ وشيخ المضيرة للأستاذ أبو رية/١٨٥ .

## نظريّة عدالة كل الصحابة تحمل الطابع الأموي

مع أن كل الصحابة وفق هذه النظريّة عدول ، فيفترض أن يكون آل محمد بوصفهم صحابة عدولًا ، وأن يكف الأمويين عن الانتهاص منهم والإساءة إليهم . إلا أن معاوية زعيم الفتنة الباغية وقف من الإمام على موقف أبي سفيان من النبي ، وجاء يزيد فوقف من الحسين موقف جده من النبي وموقف أبيه من علي . وكان أول عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى عماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا علياً في صلواتهم وعلى منابرهم ! ولم يقف الأمر عند ذلك بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختتم بثتم علي ، وكتب إلى ولاته أن لا يجيزوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة ، وأن يمحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده ، ويسقطوا عطاءهم ورزقهم .<sup>(١)</sup>

يقول العقاد في كتاب معاوية بن أبي سفيان في الميزان: «إذا لم يرجع من أخبار هذه الفترة إلا الخبر الراجح عن لعن علي على المنابر بأمر من معاوية ، لكن فيه الكفاية لإثبات ما عداه ، مما يتم به الترجيح بين كفتبي الميزان» .<sup>(٢)</sup>

○ ○

(١) راجع شيخ المضيرة للأستاذ أبو رية ١٨٠ وقد نقلها عن ابن عساكر: ٤٠٧/٣ .

(٢) معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس محمود العقاد وراجع المرجع السابق .

## الفصل الرابع

### الجذور الفقهية لنظرية عدالة كل الصحابة

الذين أوجدوا نظرية عدالة كل الصحابة ، صاغوها ونظروا لها بصورة تضمن الحماية التامة لماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، وتضفي على أحوالهم رداء الشرعية والمشروعية ! وفصلوا لها من الأثواب ما يضمن حضورها الفعال في كل أمر من الأمور يمكن: ١ - أن يمسهم من قريب أو بعيد . ٢ - أو يؤثر على قربهم أو بعدهم من الشرعية . ٣ - أو يوصل ويجدر موقع الخلاف في معسكر خصومهم . ٤ - أو يفرق الخصوم في بحار من الشك والحيرة والإضطراب .

والمثير حقاً أن النظرية ترمز عند عشاقها ومؤيديها اليوم لحبهم لمحمد ولأصحابه ، مع أنهم في الواقع يصارعون نيابة عن مخترعي هذه النظرية ، الذين وقفوا خارج الحلبة كأنهم لا علاقة لهم بما يجري .

أما الذين يطالبون بتعديل هذه النظرية فهم لا يقلون جبأً لمحمد وأصحابه المخلصين عن أولئك المؤيدین لنظرية عدالة كل الصحابة ، ولكنهم يطالبون باعتماد العقل والشرع لترشيد هذا الحب ، وترك التقليد والتغubب الأعمى الذي يعطّل العقل ونعمة الحوار الهداف الذي خص به الصفة من عباده الصالحين .

#### المرجعية الفقهية

أجمعوا الباحثون على أن نشأة الإختراع في الرواية ، ووضع الحديث على

رسول الله ، كثُر في أواخر عهد عثمان ، ثُم اتسع الإختراع حتى مبادئه على عَلَيْهِ الْكَفَافِ .  
وما كاد المسلمون يبايعونه بيعة صحيحة حتى ذر قرن الشيطان الأموي لغصب الحق من صاحبه ، وعندما سيطر بنو أمية تطور فن الإختراع ووضع الحديث ، حتى جعلت الدولة الأموية لمن يتعاطون فن الإختراع ووضع الحديث جعلاً يرغب في مثله ، على حد تعبير الإمام محمد عبده<sup>(١)</sup> وهذه المرويات المختربات بقيت إلى جانب غيرها من مرويات عدول الصحابة مرجعاً للجمهور على اختلاف مذاهبهم ونزاعاتهم الفقهية في التشريع وغيره من الأمور.<sup>(٢)</sup>

### ١ - كل الصحابة مرجعية لأهل السنة

الذين اعتبروا كل الصحابة عدولًا، أخذوا كافة مروياتهم عن الصحابة الصادقين ومعها المرويات التي وضعت ، خاصة في العهد الأموي ، ولم يفرقوا بين صحابي وصحابي لأنهم كلهم عدول وكلهم في الجنة ، ومن المحال عقلاً أن يتعدى الكذب رجل من أهل الجنة !

والصحابة الذين نالوا حظوة في البلاط الأموي كانوا من أكثر الصحابة حدثاً فهؤلاء هم الصحابة وجمهورهم غالب عليهم إسم أهل السنة ولم يعرف الجمهور بإسم (أهل السنة) قبل أواخر القرن الأول<sup>(٣)</sup> وصار أي حديث يرويه أي صحابي جزءاً من الدين عند (أهل السنة) لأن الصحابة كلهم عدول وفي الجنة !  
وحتى يكون الرواية أهلاً للثقة يجب أن لا يكون متهمًا بالتشييع لعلي أو لأهل البيت ، فإذا ثبت ذلك فهو ليس بثقة من حيث المبدأ . قال يحيى بن معين: «وقيل

(١) تاريخ محمد عبده: ٣٤٧/٢ راجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ٢٠١-٢٠٢ .

(٢) راجع آراء علماء المسلمين في التقبة والصحابة وصيانة القرآن الكريم للسيد مرتضى الرضوي ٨٦/ .

(٣) آراء علماء المسلمين في التقبة والصحابة وصيانة القرآن الكريم ٩٢/ وأضواء على السنة ٣٤١-٣٤٤ وص ٨٩ .

له في سعيد بن خالد البجلي حين وثقه: هذا شيعي . قال شيعي وثقة؟!»

### ما هو السنن الشرعي لأهل السنة بمرجعياتهم للصحابة؟

يقول أهل السنة: إن الرسول ﷺ قال: «أصحابي كالنجوم بأيمهم اقتديتم بهم» وفي رواية: «فأيهم أخذتم بقوله» يقول ابن تيمية شيخ الحنابلة ، ويلقب عند الجمهور بشيخ الإسلام» وحديث أصحابي كالنجوم ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه . وهذا الحديث باطل بالإجماع». راجع ٥٥١ من كتاب حجة المتنقى للذهبي

### أئمة أهل البيت وثقات الصحابة هم مرجعية أهل الشيعة

أهل السنة اتخذوا مرجعاً فقهياً لهم الصحابة كلهم في مقابل الشيعة الذين رجعوا إلى الأئمة من أهل البيت ، وإلى ما رواه ثقات الصحابة عن النبي ﷺ بالإضافة إلى كتاب الله في جميع ما جاء به الإسلام من أصول وفروع ، وقد ورثوا فقههم وأصولهم وجميع تعالييمهم عن جدهم أمير المؤمنين الذي وصفه رسول الله بأنه باب مدينة العلم:«أنا مدينة العلم وعلى بابها ومن أراد المدينة فليأت الباب». وكان لهذه المرجعية ضوابط ثابتة ، فقد كان الأئمة علیهم يقولون: «إنا إذا حدثنا لا نحدث إلا بما يوافق كتاب الله، وكل حديث ينسب إلينا لا يوافق كتاب الله فاطر حوه». كما كان الإمام الصادق يقول: «حدبشي حدبتي أبي، وحدبتي أبي حدبتي

جدي ، وحدبتي جدي حدبتي رسول الله وحدبتي رسول الله قول الله تعالى»<sup>(١)</sup>

وسعدهم الشرعي هو النصوص الشرعية القاطعة الواردة في القرآن الكريم والسنن المطهرة بفروعها الثلاثة ، وهي موضع اتفاق بين أهل السنة وأهل الشيعة .

(١) آراء علماء المسلمين في التقبة والصحابة وصيانة القرآن الكريم / ٨٩.

فأئمة أهل البيت الكرام هم من الذين «أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا»<sup>(١)</sup> بالنص القرآني والقرآن هو الثقل الأكبر وهم الثقل الأصغر بالنص الشرعي ، والهدایة لا يمكن أن تدرك إلا بالتمسك بالثقلين ، والضلال لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بالثقلين<sup>(٢)</sup> وهم لهذه الأمة كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق بالنص الشرعي أيضًا<sup>(٣)</sup> وهم أمان لأمة محمد من الإختلاف ، بالنص الشرعي أيضًا<sup>(٤)</sup> ونسوق بأدناه طائفة من الأدلة على كل نص ثم نوردها مجتمعة في باب الميزان .

### دور المرجعيات

كانت روایات أهل السنة في الدرجة الأولى لا تتعدي أقوال الرسول ﷺ وأفعاله عند المتقدمين ، وعند ما تعددت المذاهب وتوزعت في الأمصار شملت روایاتهم أقوال الرسول وأفعاله وأقوال الصحابي وأفعاله ، وأصبحت آراء الصحابة في الحوادث المصدر الثالث من مصادر التشريع: القرآن ، السنة ، رأي الصحابي ! والمذاهب الثلاثة: الأحناف والمالكية والحنابلة أكثر تعصباً لآراء

(١) آية التطهير في تفسير فتح القدير للشوكاني وابن كثير وتفسير الطبرى والخازن ، وأى تفسير ترحب به .

(٢) راجع صحيح الترمذى: ٣٢٨/٥ ونظم درر السمحين للزرندى الحنفى/ ٢٣٢ وينابيع المودة/ ٣٣ و ٤٤٥ وكنز العمال: ١٥٣/١ وتفسير ابن كثير: ١١٣/٤ ومصابيح البغوى/ ٢٠٦ وجامع الأصول/ ١٣٧ ومشكاة المصباح: ٢٥٨/٣ وإحياء الميت للسيوطى بهامش الإتحاف/ ١١٤ والفتح الكبير للنهانى: ٥٠٣/١ و ٣٨٥/٣ والدر المثور للسيوطى: ٧/٦ و ٣٠٦ والصواعق المحرقة/ ١٤٧ لابن حجر والمعجم الصغير للطبرانى: ١٣٥/١ ومنتخب تاريخ ابن عساكر: ٤٣٦/٥ ومقتل الحسين للخوارزمى: ١٠٤/١ والطبقات الكبرى لابن سعد: ١٩٤/٢ ... الخ.

(٣) تلخيص المستدرک للذهبي والصواعق المحرقة لابن حجر/ ١٨٤ و ٢٣٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطى وإسعاف الراغبين للصبان الشافعى/ ١٠٩ ونظم درر السمحين للزرندى الحنفى/ ٢٣٥ وكفاية الطالب للكنجي الشافعى/ ٣٧٨ ... الخ .

(٤) الصواعق المحرقة/ ٩١ و ١٤٠ وإحياء الميت للسيوطى بهامش الإتحاف/ ١١٤ ومنتخب الكثر بهامش أحمد: ٩٣/٥

الصحابة من الشوافع . ومع أن أبا حنيفة كان متحمساً للقياس ويراه من أفضل المصادر بعد القرآن إلا أنه كان يقدم رأي الصحابة عليه إذا تعارض ، قال: «إن لم أجده نصاً في كتاب الله ولا في سنة رسوله ، أخذت بقول أصحابه ، فإن اختلفت آراؤهم في حكم الواقعة آخذ بقول شئت وأدع من شئت ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم من التابعين»<sup>(١)</sup> وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم: «إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: الأول النص والثاني فتوى الصحابة ، وإن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص كتاب الله بعمل الصحابي ، لأن الصحابي العالم لا يترك العمل بعموم الكتاب إلا لدليل ، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص قوله بمنزلة عمله»<sup>(٢)</sup> فأنت تلاحظ أن أهل السنة قد أمعنوا بالغلو في تقديس الصحابة ، هذا التقديس الذي لا يختلف عن العصمة في شيء .<sup>(٣)</sup>

وعندما انتشرت المذاهب الفقهية ، استغل هذا الغلو المفرط في محاربة التشيع لأئمة أهل البيت ، وصارت أقوال الصحابة تعامل كأنها وحي من السماء فيخصصون بها عموم الكتاب ويقيدون بها مطلقاته !

أما أهل الشيعة فهم يقولون إن القرآن جاء تبياناً لكل شيء ، وما ثبت عن النبي ثبوتاً قطعياً لا يرقى إليه شك هو بمثابة النص ، وما عدا ذلك لا يجوز الإعتماد عليه في مقام التشريع إلا إذا تأيد بأية من القرآن ، وذلك لأن السنة رواها عن

(١) راجع أبا حنيفة لأبي زهرة ٣٠٤ / والإمام زيد ٤١٨ / وآراء علماء المسلمين ٦٨٧ و ٦٨٨ للسيد مرتضى الرضوي .

(٢) المدخل إلى علم أصول الفقه لمعروف الدوالبي ٢١٧ وكتاب السيد مرتضى الرضوي ٦٨ .

(٣) المدخل إلى علم أصول الفقه للدواليبي ٢١٧ وراجع كتاب السيد مرتضى الرضوي ٦٨ .

تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف عن كتاب الأمة للشافعي ٢٢٨ وكتاب السيد مرتضى الرضوي ٦٨ .

الرسول جماعة يجوز عليهم الخطأ والكذب ، و كانوا لا يقبلون مرويات بعضهم أحياناً و يعمل كل واحد منهم بما يوحى إليه إجتهاده . وقد تراشقوا بأسوا التهم واستحل بعضهم دماء البعض الآخر <sup>(١)</sup> . وباختصار فإن القول الفصل عند الشيعة هو القرآن الكريم المبين لكل شئ ، وما ثبت من البيان (سنة الرسول القولية والفعالية والتقريرية ) ثبوتاً يقينياً ، لا يرقى إليه الشك .

### اختلاف المنطقين يؤدي لاختلاف النتائج

١ - انطلق أهل السنة من منطلق مفاده أن الصحابة كلهم عدول ، لا يجوز عليهم الكذب ولا يجوز عليهم التزوير ، بمن فيهم الحكم بن العاص طريد رسول الله وطريد صاحبيه ، وعبد الله بن أبي سرح الذي افترى على الله الكذب ، ومعاوية . فكانت النتيجة من جنس المنطلق ، فما يقوله الصنابي الذي ثبت صحبه صحيح لا يأتيه الباطل لأنه من العدول ، فإذا تعددت أقوال الصحابة في المسألة الواحدة فالمجتهد حر أن يأخذ بقول أي صنابي شاء ولا حرج عليه ، ويدع من يشاء ولا حرج عليه <sup>(٢)</sup> فلو قال الحكم بن العاص قولأ في مسألة ، وقال أبو هريرة قولأ آخر في ذات المسألة ، وقال حذيفة بن اليمان قولأ ثالثاً في ذات المسألة ، وقال أبو بكر قولأ رابعاً في ذات المسألة ، فالمجتهد مخير أن يأخذ بأي قول من هذه الأقوال ، لأنهم صحابة وكل الصحابة عدول . والأهم من ذلك أن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص القرآن نفسه بعمل الصحابي قوله ، فيكون عمل الصنابي على خلاف عموم النص دليلاً على التخصيص ، قوله

(١) تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف عن الأم للشافعي ٢٢٨ وكتاب السيد مرتضى الرضوي ٨٨

(٢)..انظر:أبا حنيفة لأبي زهرة ٣٠٤.

بمتزنه عمله .<sup>(١)</sup> وما يثير الدهشة حقاً هو أنهم يقصدون بالصحابي أي صاحبي على الإطلاق بالمعنيين اللغوي والإصطلاحـي . وهذه مرتبة ترقى بالصحابي إلى درجة العصمة ، وتجعل منه شريـكاً بالتشريع .

٢- أما أهل الشيعة فالأمر مختلف جداً عندهم من هذه الناحية ، فهم يوالون أصحاب محمد الذين أبلوا البلاء الحسن في نصرة الدين ، وجاهدوا بأنفسهم وأموالهم . والدعاء الذي ترددـه الشيعة لأصحاب محمد دليل قاطع على حسن الولاء وإخلاص المودة ، وجاء فيه: « وأصحاب محمد خاصـه الذين أحسنـوا الصحبـة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصرـه ، وكـانـفـوه وأسرـعـوا إـلـى قـيـادـتـه ، وسـابـقـوا إـلـى دـعـوـتـه ، واسـتـجـابـوا لـه حـيـث أـسـمـعـهـم حـجـة رسـالـاتـه ، وفارـقـوا الأـرـوـاحـ والأـلـادـ في إـظـهـارـ كـلـمـتـه ، وقاتـلـوا الأـبـاءـ في ثـبـيـتـ نـبـوـتـه ، والـذـين هـجـرـتـهـمـ العـشـائـرـ إـذ تـعـلـقـوا بـعـرـوـتـه ، وانتـفـتـ مـنـهـمـ القرـابـاتـ إـذ سـكـنـواـ فـي ظـلـ قـرـابـتـه ، اللـهـمـ ما تـرـكـواـ لـكـ وـفـيـكـ وـأـرـضـهـمـ مـنـ رـضـوانـكـ وـبـماـ حـاـشـواـ الـحـقـ عـلـيـكـ ، وـكـانـواـ مـنـ ذـلـكـ لـكـ وـإـلـيـكـ»<sup>(٢)</sup> هؤـلـاءـ هـمـ الصـحـابـةـ الـذـينـ تعـظـمـهـمـ شـيـعـةـ آلـ مـحـمـدـ وـيـدـيـنـوـنـ بـمـوـالـاتـهـمـ ، وـيـأـخـذـونـ تـعـالـيمـ إـلـاسـلـامـ فـيـمـاـ صـحـ عـنـهـمـ .

والخلاصة: أن الشيعة لا يثبتون العدالة إلا لمن اتصف بها ، وكانت فيه تلك الملكـةـ . وأـصـالـةـ العـدـالـةـ لـكـلـ صـحـابـيـ لـاـ دـلـيلـ عـلـيـهـ وـلـاـ يـمـكـنـ إـثـبـاتـهـ . والـشـيـعـةـ بـهـذـا لـاـ يـخـالـفـونـ كـتـابـ اللهـ وـسـنـةـ رـسـوـلـهـ وـعـمـلـ السـلـفـ الصـالـحـ فـيـ تـمـيـزـ الصـحـابـةـ وـمـنـ هـوـ مـصـدـاقـ هـذـاـ إـلـيـمـ حـقـيقـةـ . وـمـنـ هـنـاـ فـتـحـتـ عـلـىـ الشـيـعـةـ بـابـ الإـتـهـامـاتـ

(١) تاريخ الفقه الإسلامي للدكتور محمد يوسف . ٢٢٨/٢٢٨.

(٢) وقد ورد دعاء طويل في الصحيفة السجادية وثناه ، وراجع كتاب السيد الرضوي / ٩٣ - ٩٤ .

الكاذبة .<sup>(١)</sup> ولأن الشيعة انطلاقوا من هذا المنطلق المختلف عن منطلق أهل السنة ، فإنهم قد توصلوا لنتائج مختلفة عن النتائج التي توصل لها أهل السنة .

### تعدد المرجعيات

في زمن النبي ﷺ، كثيراً ما كانت تختلف الآراء حول المسألة الواحدة وتتعدد فيسمعها النبي كلها ولا يضيق بها صدره ، ثم يبسط حكم الشرع في المسألة سواء أكانت نصاً قرآنياً أم سنة محمدية ، فيقبل الصادقون هذا الحكم فيوحدهم بعد اختلاف ، ويدخلهم حظيرة اليقين بعد شك في هذه المسألة .

وتتكرر الحادثات ، وتتكرر أحكام الحلول مما يجعل الخلاف بوجهات النظر وتعدد هذه الوجهات مظهراً من مظاهر إثراء الفكر ولواناً من ألوانه ، لأن الناس مرجعية واحدة قولها الفصل وحكمها العدل . فوحدة المرجعية هي الأساس الذي تقوم عليه وحدة المجتمع ووحدة العقيدة ، فإذا تعددت المرجعيات يقع الخلاف المحظور . والإختلاف والوحدة نقىضان فيضطر الحاكم لمصادرة حق الناس بطرح أفكارهم ليضمن وحدتهم . لكن نتيجة نظرية عدالة كل الصحابة أنها عدلت المراجع ، فكان في المجتمع الإسلامي عشرات الألوف من المراجع ، كل مرجع له رأيه وتصوره وفهمه ! وبتعدد هذه المراجع انقسمت هذه الأمة إلى شيع وأحزاب ، كل شيعة تؤيد مرجعها وتعتقد أنه المصيب والموصى إلى رضوان الله تعالى . ولكن عملياً ، بما أن السلطة الحاكمة هي المسيطرة على وسائل الإعلام ، فإن بإمكانها أن تسلط الأضواء على مرجع أو مراجع وتصورها على أنها وحدها هي الفتة الناجية وعلى الحق المبين ، فتشتري فتاواها وتحيطها

(١) راجع آراء علماء المسلمين في النقاوة والصحابة وصيانة القرآن الكريم / ١٠٠ .

بهالة من الإنكار ، وتدعى الناس للوثوق بها بغض النظر عن أهلية تلك المرجعية أو عدم أهليتها . فأبو هريرة صحابي معمور لم يكن له دور في عهد الخلفاء الراشدين ، وكان يخدم الناس مقابل قوت بطنه ، ولم تتجاوز صحبته للنبي ﷺ سنة وبضعة أشهر ، لكن لقربة من البلاط الأموي تحول إلى مرجعية هائلة ، وتحولت أقواله على تفاوتها إلى الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه ، ورووا عنه من الأحاديث أكثر من كبار الصحابة ، لأن الدولة تبنته ورشحته ليكون في مرجعيتها !

### حكم الشرع في تعدد المرجعيات

ما من دين على الإطلاق إلا وله مرجعية ، وما من عقيدة إلا ولها مرجعية ، فمحمد هو المرجعية الوحيدة ل الدين الإسلام ولعقيدته ، فقوله الفصل ، وإذا وجدت مرجعية ثانية بأمر الله، فإنها مرتبطة به بالدرجة الأولى بوصفه الأعلم والأفهم بالعقيدة .

والديانة اليهودية لها مرجعية واحدة ، فموسى هو المرجع ، وهارون تابع له وإذا انفرد موسى عن هارون فهو خليفة ، فإذا عاد موسى عادت تبعية هارون له . والديانة المسيحية لها مرجع وهو عيسى ، والحواريون مرتبطون به مسخرون لخدمة الدين تحت إمرته . فإذا انتقل محمد وموسى وهارون وعيسى إلى الرفيق الأعلى ، فيستبع بالضرورة وجود مرجعية واحدة لكل عقيدة من هذه العقائد الثلاث ، معينة من قبل المرجعية الأولى بأمر ربها ، وترك الدين والعقيدة بلا مرجعية ، تفريط تترفع عنه ملكات الأنبياء عليهما السلام ويتناقض مع كمال الديانات .

وفي الإسلام ، فإن مرجعية المسلمين بالنصوص الشرعية القاطعة هم أهل بيت محمد ، وبالتحديد عميد هذا البيت الطاهر في كل زمان . أما لماذا أهل بيت

النبوة فهذا فضل الله يؤتى به من يشاء ، ومن جهة ثانية فقد أعدهم الرسول إعداداً علمياً ، واحتضنوا الرسول ودعوه ، وقد بين لنا الله أنهم هم الأفضل في كل زمان وتلك من لوازم المرجعية . وقد كان واضحاً بعد وفاة النبي أن مرجعية المسلمين هو عميد أهل بيته وهو علي بن أبي طالب عليه السلام فكل مسلم قد تبلغ بأن علياً هو مولاهم ومولى كل مسلم ومسلمة . انظر إلى قول الفاروق: « هذا مولي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة » تلك هي المرجعية الشرعية .

#### إلغاء المرجعية الشرعية يستتبع بالضرورة / إيجاد مرجعية بديلة

تلاحظ أن المرجعية الشرعية في الإسلام قد عطلت بعد موت نبيه صلوات الله عليه ، فصار المرجع الرسمي أو القائم مقام المرجع الشرعي هو الخليفة . ودارت الأيام فعاد المرجع الشرعي على عليه السلام ليقوم بوظيفته كمرجع شرعي للأمة فقامت الدنيا ولم تقعده إلا بعد أن قتل ! وجاء ابنه الحسن فأدرك أن الدنيا ما زالت قائمة وأنها لن تقعد إلا بقتله فترك الأمر وأحيط بالحسين في كربلاء فقتل وأيد أهل بيته فأصبحت الأمة بغير مرجعية شرعية ! وبما أن المرجعية ضرورة من ضرورات وحدة المجتمع ، ركز الحاكمون الأمويون ليكونوا المرجعية وليقنعوا الأمة أنهم المرجعية الشرعية ، ومن الطبيعي أن يكون لكثير من طلاب الدنيا مصلحة بالتعاون معهم لتحقيق هذه الغاية .

#### نظريّة عدالة كل الصحابة هي الطريق الفرد لإيجاد المرجعية البديلة

فُصلّت نظريّة عدالة كل الصحابة بحيث تتسع بالحاكمين الأمويين ، ثم أضيفت صفة العدالة على الصحابي أي صحابي ، وبما أن المرجع الشرعي عادل ولا يجوز عليه الكذب ، وبما أن الصحابي عادل ولا يجوز عليه الكذب وهو من

أهل الجنة ، فمعنى ذلك أن الحاكم الأموي عادل ومؤهل ليكون المرجع الشرعي لأمة محمد ، وهذا هو مفتاح سير الأحداث .

### لو جاءت النظرية عن طريق غير الحاكمين لفشلها

لو نادى بنظرية عدالة كل الصحابة أشخاص عاديون لفشلها تماماً ، لكن نادى بها صحابة بتأييد مادي ومعنوي من الحكام ، حيث خصصوا جعلاً لمن يضع الأحاديث للطعن بالمرجعية الشرعية بعد وفاة النبي ، وقربوا القائلين بنظرية عدالة كل الصحابة ، وبذلوا لهم المال والجاه ، وسخروا كل وسائل إعلام الدولة للترويج لهذه النظرية . ومن الطبيعي أن لا تخفي هذه الأساليب على ذوي البصيرة من الصحابة الكرام ، لكن أياديهم مغلولة والأمة متفرقة مغلوبة على أمرها ، فاستنكراها كبار الصحابة بالقول والفعل ، لكن هذا الإستنكار كان يموت لحظة ولادته في زوايا البيوت ، بينما كان تأييد هذه النظرية يعمم بكل وسائل الإعلام بدعم الدولة نفسها . فعمليات التنيص من ولی الأمة ومرجعها الشرعي ولعنه وشتمه كانت أموراً يومية تمارسها الأمة بقوة السلاح ، وعنفاً عن إرادتها ، ومن يعارض ذلك فمصيره مصير حجر بن عدى ، وهو القتل وحرمانه من العطايا الشهرية أو لقمة العيش . وبنفس الوقت كانت عملية إيجاد المرجعية البديلة تشق طريقها بريح ملائمة .

### المرجعية البديلة أصبحت شرعية

مات جيل الصحابة الكرام ، ومات التابعون الصادقون ، وماتت المعارضة المعاصرة لهم ، واختفت حجة هؤلاء جميعاً ، ولم يبق منها إلا النذر البسير ، وبقيت كافة المعلومات الضرورية لإضفاء الشرعية على المرجعية المزيفة

والبديلة موجودة بكمال تفاصيلها ، لأنها جزء من وثائق الدولة المحفوظة ، وبالتالي أصبحت شرعية حقيقة من حيث الظاهر بعد أن مات كل الذين يعرفون الحقيقة ، وأخفيت حجتهم ومعارضتهم ولم يبق منها إلا البسيط ، فاعتقد اللاحقون أن المرجعية الشرعية التي أمر الله بها وأوجدها هي عينها التي نقلت إليهم عن طريق الدولة من أسلافهم ، فأصبحت معارضة هذه النظرية معارضه للذين نفسه لا معارضه للذين أوجدوها ! وأصبحت تقليداً لا تقبل المناقشة ، ومن يناظرها أو يعارضها أو ينتقص من الذين وضعوها فهو زنديق لا يُواكل ولا يشارب... الخ! . ولأن الشيعة بزعامة أهل البيت يعارضون ذلك ولا يقبلون به ، فمن الطبيعي أن تصب عليهم كل اللعنات ، وأن يصوروا كأنهم أعداء للدين وكفار مجرمون . وهذا ما استقر بذهن العامة وبذهن العلماء الذين تخرجوا من جامعات هذه النظرية ، ورووا التاريخ من خلالها !

### الحل

إنه لا بديل عن الصبر ، ولا بديل عن الإقتداء بمحمد ﷺ فقد قاومه الناس ولم يركع ، بل استطاع بالحكمة والموعظة الحسنة وبالأساليب الشرعية ، وبالحججة القاطعة والبراهين الساطعة أن يهتك حجب التقليد ، ويزيح عن وجه الحقيقة ما علق بها حتى اقتنع الناس في النهاية . وتلك هي الوسيلة الوحيدة أمام عشاق الحقيقة الشرعية .

### في غياب المرجعية الشرعية

انقسم الناس إلى شيع وأحزاب متنافرة متعارضة ، كل حزب يدعى أنه على الحق وأن غيره على الباطل ، وهم جميعاً يعلمون أن الأمة في غياب المرجعية الشرعية ستنقسم إلى ثلات وسبعين فرقـة كلها في النار إلا واحدة ، وهم يعلمون

أنه لا يوجد إلا حق واحد ، وهو الذي تسير عليه هذه الفرقة الناجية ، والفرقة الناجية هي التي تتبع المرجعية الشرعية ، وهذا الإنقسام كان واحداً من المبررات التي وجدت من أجلها نظرية عدالة كل الصحابة .

### الإنقسام الفقهي

في غياب المرجعية المخصصة لبيان المقصود الشرعي من النص وتكييف النص على الواقع ، انقسم المسلمون إلى عشرات الشيع والأحزاب الفقهية ، والتي تحمل في ثناياها طابعاً سياسياً بالضرورة ، وتمرّكزت بخمسة قوى:

- ١ - مذهب أهل البيت: وهو أول المذاهب الإسلامية وأصلها ، وهو مذهب الفتنة الناجية كما استثبت ، وأطلق عليه المذهب الجعفري نسبة إلى جعفر الصادق.
- ٢ - المذهب الحنفي: نسبة إلى أبي حنيفة ، وقد أخذ عن الإمام جعفر ثم انفرد بمذهب خاص.
- ٣ - المذهب المالكي: نسبة إلى مالك ، وأخذ عن أبي حنيفة وانفرد بمذهبه أيضاً.
- ٤ - المذهب الشافعى: نسبة إلى الشافعى ، وقد أخذ عن مالك وانفرد بمذهبه.
- ٥ - المذهب الحنبلى: نسبة إلى أحمد ، وأخذ عن الشافعى وانفرد بمذهبه . وأنت تلاحظ أن الإمام جعفر الصادق هو أستاذ أصحاب المذاهب الأربع وهم يفخرون بذلك . بينما يعتبر العوام أن أتباع المذهب الجعفري على الضلال ، وأن العوام على الصواب .

### جذور مطاردة أهل البيت

- تمت مطاردة أهل البيت الطاهرين طوال التاريخ السياسي الإسلامي لغایيات:
١. إصرار المطاردين - بكسر الراء - على إجبار أهل البيت للتخلّي عن خصوصيتهم التي خصّهم الله بها من دون المسلمين .

- ٢ . وبنفس الوقت تأويل هذه الخصوصية وإخراجها عن معانيها ووظائفها .
- ٣ . إيجاد خصوصيات وضعية منافسة للخصوصية الإلهية لسلب معاني ووظائف خصوصية أهل البيت .
- ٤ . نظرية عدالة كل الصحابة جاءت كخصوصية وضعية أريد منها أن تقوم بسلب خصوصية أهل البيت الكرام .
- ٥ . ولو أن أهل البيت الكرام عطلا خصوصيتهم قبلوا الأمر الواقع فإنهم لن يترکوا وهم بحالة مطاردة مستمرة . لماذا ؟
- ٦ . لأن السلطة فاتنة جميلة تزوجها الحكام بالإكراه وسلبوها من زوجها الشرعي ، فملکوا الجسد أما قلب الزوجة وروحها فمع زوجها الشرعي ، فهي تحلم به عليناً وهي بقبضة الحكام ، فشبّت في قلوب الحكام طوال التاريخ غيره مجونة وقادتهم هذه الغيرة إلى أفاعيل مخزية !

### خصوصية القرابة الظاهرة

البطن الهاشمي خير بطون الناس عامة ، وخير بطون العرب خاصة بالنصل الشرعي . وبيت عبد المطلب هو أيضاً خير بيوت الناس عامة ، وخير بيوت العرب خاصة وبالنص الشرعي أيضاً<sup>(١)</sup> وهو هاشم بن عبد مناف بن قصي .<sup>(٢)</sup> وآل محمد هم أفضل الآل ، وقد افترض الله مودتهم بالكتاب ، وجعل الصلاة عليهم ركناً من أركان الصلاة ، وهذا يعني قول الشافعى:

يا أهل بيته نبی الله حبکم فرض من الله في القرآن أنزله

(١) سيرة ابن كثير: ١٩٣/١، والطبقات لأبن سعد ، وكتز العمال عن الحاكم والبيهقي والطبراني وأبن عساكر.

(٢) راجع الطبقات لأبن سعد: ٧٥/١.

كفاكم من عظيم الفخر أنكم من لم يصل عليكم لا صلة له<sup>(١)</sup>  
وأهل بيت محمد هم عقل هذه الأمة ، وهم الشجرة التي يتداوى بها ، وهم  
العترة (وعترة الرجل هم نسله ورهرطه الأقربون)<sup>(٢)</sup> وقد طهر الله أهل بيت نبيه  
وأذهب عنهم الرجس ، وآية التطهير لا تخفي على أي مسلم ، وبفضل الله عليهم  
وجهادهم في سبيل الله تقدموا على ما سواهم ، فهم المرجعية الشرعية للMuslimين  
وللدين ، ومنهم القيادة السياسية ، وهذا مجد لا يضاهيه مجد ، وشرف يقصر عنه  
كل شرف ، وخصوصية آل محمد عليه السلام .

### ما هي الغاية من هذه الخصوصية ؟

الغاية الشرعية من خصوصية القرابة حقيقة أنها تشريف ، ولكنها بجوهرها  
تكليف لها معنى ولها وظائف . فمعناها أنها نقطة ارتكاز للمسلمين ، فبهم تكتمل  
الدائرة ويتحدد مركزها ، فيستقطبون الأمة كلما تفرقت ، فتقدم لهم الحل  
بالتأشير على نقطة الإرتكاز الإلهية فلا يذهبون للشرق ولا للغرب ، ولا للشمال  
ولا للجنوب ، إنما يذهبون للقرابة الظاهرة ، ويتجمعون حولها فتجمعهم ، وهي  
بنفس الوقت مرجعية للدين ومرجعية للمسلمين ، تبين الدين للمسلمين ولغير  
المسلمين ، ثم تقدم الفهم الأمثل ، الموافق تماماً للمقصود الإلهي .

### وظائف القرابة الظاهرة

فوظائف القرابة الظاهرة أنها: ١ - نقطة ارتكاز واستقطاب . ٢ - مرجعية للدين  
لبيانه للناس عامة وللمسلمين خاصة . ٣ - ثقل أصغر ، والقرآن هو الثقل الأكبر .

(١) راجع الصواعق المحرقة لابن حجر المكي/ ٨٨ ، والنهاي/ ٩٩ في الشرف المؤيد وأرسلها الشافعي إرسال  
ال المسلمات كما يقول الإمام شرف الدين .

(٢) مختارات الصحاح/ ٣١ و ١٨٥ و ٤١٠ و ٧٠ والمعجم الوسيط/ ١: ٥٨٨، ٢: ٢١١ .

والهداية لا تدرك إلا بالثقلين ، والضلال لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهذين الثقلين معاً . فلو تمسكت الأمة بالقرآن الكريم وحده وتركت العترة الطاهرة فستضل حتماً . لأن القرآن هو الدواء والعترة هي الطبيب ، والطب عملية اختصاصية .<sup>(٤)</sup> - قيادة سياسية للأمة ، فعند ما تكون القيادة السياسية بعترة محمد تطيب نفوسهم جميعاً بها لأنها الحل الجذري الذي يقطع دابر الخلاف ، ويحيط الطمع والتنافس عليها ، ويحقق الاستقرار ، وقد تكفل الشرع ببيان لمن تكون هذه القيادة ، وكيف تنتقل .

### لماذا أعطيت القرابة الطاهرة هذه الخصوصية ؟

لماذا اختار الله محمداً للرسالة ولم يختار أبا سفيان؟ هذا فضل الله يؤتى به من يشاء . لماذا فضل الله بعض النبيين على بعض؟ هذا فضل الله . لماذا اختار محمداً من بنى هاشم ولم يختاره من بنى عدي أو بنى تيم أو بنى أمية؟ هو الذي بيده الفضل يؤتي فضله من يشاء . ولكن باستقرارنا العميق لتاريخ الإسلام يمكن أن نجد بعض التعليات لهذا الإختيار .

### تعليلات

- ١ - لقد بين الله سبحانه وتعالى أن قرابة محمد هم خير الناس وأفضلهم ، ومن مصلحة العباد أن يقودهم الأفضل والأحسن . وقد ثقنا بهذه الناحية قبل قليل .
- ٢ - الإنذار الصادر عن بنى هاشم والموجه لبطون قريش كلها عند ما همت

(٤) راجع: ٤٤/١ من كنز العمال ، وقد نقله عن النسائي والترمذى عن جابر عن رسول الله . وأخرجه الترمذى عن زيد بن أرقم ، وأحمد من حديث زيد بطرفين صحيحين في أول ١٨٢ وفي آخر ١٨٩/٥ من مسنده ، وعن ابن أبي شيبة وأبي يعلى وابن سعد عن أبي سعيد ، والحاكم في مستدركه ١٤٨٣: وقال: صحيح الاستاد على شرط الشيدين ولم يخرجاه . والذهبى معترضاً بصحته على شرط الشيدين . راجع تلخيص المستدرک للذهبى .

بقتل محمد ، إذ أندرهم أبو طالب قائلاً: « والله لو قتلتمنه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفاني وإياكم » وأثبت لهم أنه قد هم بقتل زعماء قريش عند ما أشيع بأنَّ محمداً قد قتل !

٣ - إن كل بطون قريش قررت مقاطعة بنى هاشم ، وكتبوا كتاباً بأن لا ينأكحونهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم . وحضرتهم في شعاب أبي طالب ثلاثة سنوات ، وانحاز بنو عبد المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبه ، وقطعت عنهم قريش الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ، وسمعت أصوات صبيانهم من وراء الشعب ، ولقريش مطلب واحد وهو أن يسلم الهاشميون محمداً لقريش لقتله ، أو يخللي الهاشميون بين قريش وبين محمد ، لكن الهاشميين أبووا ذلك ودافعوا عن محمد بأرواحهم وأموالهم وأولادهم واستقرارهم .

٤ - فشل الحصار فاضطررت قريش خوفاً من القرابة الطاهرة أن تختار من كل قبيلة رجلاً اشتراك بقتل محمد ويضيع دمه بين القبائل ولا يقوى الهاشميون على المطالبة بدمه ، وتحرك مندوبي القبائل فعلاً ليقتلوا النبي ، ولكن الله نجاه .

٥ - والقرابة الطاهرة في الجاهلية ناصية قريش ولا تقطع الأمور دون مشورتهم .

٦ - وهم وسيلة النجاة بالنص الشرعي ، وهم الأمان بالنص الشرعي . لهذه الأسباب مجتمعة ومنفردة بعد الفضل الإلهي أعطيت القرابة الطاهرة هذه الخصوصية بالإضافة إلى الإعداد الرباني لعمدائهم من الناحية العملية والتربوية .

## تحولت هذه الخصوصية إلى حجة سياسية طوال التاريخ

قال الصديق مخاطباً الأنصار: «الناس تبع لنا ، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup> وقال الفاروق مخاطباً الأنصار: «إنه والله لا ترضي العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولى هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيهم .. لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينماز عن سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته ، إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط في هلكة» و قال بشير بن سعد مخاطباً الأنصار ومعقباً على قول الفاروق والصديق: «إن محمداً رسول الله ﷺ رجل من قريش وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبداً ، فاتقوا الله ولا تنازعوه ولا تخالفوهم» .

فسلم الأنصار وقالوا: لا نباع إلا علياً ، وعلى غائب مشغول وأهل البيت بمصابهم . وبأيُّعت الأكثريَّة الحاضرة في سقيفةبني ساعدة أبا بكر وخرج ك الخليفة وخرج عمر كنائب لل الخليفة ، وخرج أبو عبيدة كنائب ثان لل الخليفة ، وخرج الذين بايعوه كجيش لل الخليفة . وفوجئ الإمام علي بما جرى ، وطلب منه نائب الخليفة وولي عهده عمر بن الخطاب أن يباعي أبا بكر ك الخليفة للمسلمين ، فقال علي مخاطباً أبا بكر وعمر «أنا أحق بهذا الأمر منكم ، لا أباعيكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ؟ ألسْتْ زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لـما

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة . ٨٤/٨٤.

(٢) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة . ٨٤/٨٤.

(٣) راجع تاريخ الطبرى: ١٩٧/٣ - ١٩٨ .

(٤) راجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام / ١٢٠ وما فوق .

كان محمد منكم ، فأعطيكم المقادرة وسلموا إليكم الإمارة . وأنا احتاج عليكم بمثل ما احتجتم به على الأنصار . نحن أولى برسول الله حيًّا وميتًا ، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون . فقال له عمر: إنك لست متروكًا حتى تتابع ! فقال له علي: إحلب حلبًا له شطره ، وشدد له اليوم أمره يرددك عليك غداً . الله يا معاشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعرور بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحده ، فوالله يا معاشر المهاجرين لنحن أحق الناس به ، لأننا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر ما كان فيما القاري لكتاب الله الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بأمر الرعية ، المدافع عنهم الأمور السليمة ، القاسم بينهم بالسوية . والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدًا » فقال بشير بن سعد الأنصاري: « لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان»<sup>(١)</sup>

ولما ماتت فاطمة عليها السلام أرسل علي إلى أبي بكر أن أقبل إليها ، فأقبل أبو بكر حتى دخل على علي وعنده بنو هاشم ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: « أما بعد يا أبا بكر ، فإنه لم يمنعنا أن نباعيك إنكاراً لفضيلتك ولانفاسة عليك ، ولكننا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً ، فاستبدلت به علينا ، ثم ذكر قرابته من رسول الله ، فلم يزل بذكر حتى بكى أبو بكر . فقال أبو بكر: لقرابة رسول الله أحب إلى من قرابتي»<sup>(٢)</sup>

أتى المغيرة بن شعبة فقال: « الرأي يا أبا بكر أن تلقوا العباس ف يجعلوا له في هذه الإمارة نصيباً ، وتكون لكم الحجة على علي وبني هاشم » فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة إلى العباس ، وما قاله أبو بكر للعباس: « وقد جئناك

(١) راجع الإمامة والسياسة ١١-١٢.

(٢) راجع الإمامة والسياسة ١٤-١٦.

ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً.. إلى أن قال: على رسلكم يا بني عبد المطلب فإن رسول الله منا ومنكم ، فأجابه العباس على كل النقاط التي أثارها إلى أن قال: وأما قولك إن رسول الله منا ومنكم فإنه قد كان من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها» .

وقد آلت الأمور إلى عمر لأن أبي بكر أوصى له ، ولأنه من قريش عشيرة النبي ثم آلت إلى عثمان لنفس الأسباب ، فقد أوصى له عمر عملياً ، ولأنه من قريش ، وآلت الأمور إلى علي لأنه الولي ولأن الناس بايده ، كذلك الحسن عليه السلام ، وعند ما غصب معاوية الأمر بالقوة كان من مبررات حكمه أنه من قريش ومن أقارب النبي فهاشم وعبد شمس إخوه ، فسنته الظاهري القربى والغصب ، وهكذا سند الحكم الأموي كله . وجاء بنو العباس وقد تسلحوا بالقرابة ، وضرروا على وتر الآلام التي لحقت بأهل البيت كمقتل الأئمة علي والحسن والحسين والذرية الظاهرة ، ثم تسلموا بالقوة فغلبوا وحكموا . فالحكم من وفاة الرسول صلوات الله عليه وسلام وحتى سقوط آخر خلفاء بنى العباس ، قام في جانب منه على قاعدة أن الأئمة من قريش لأنهم قرابة النبي صلوات الله عليه وسلام ، وأنت تلاحظ أن القرابة من النبي يحرم منها أهل البيت ، ويستفيد منها الأبعدون .

### معاملة الحكماء للقرابة الظاهرة من الناحية السياسية

مشى عمر بن الخطاب في جماعة وأخرجوا عليه غير عابثين بيكماء فاطمة الزهراء وجاء به إلى أبي بكر فقالوا له: «بائع ، فقال علي: إن لم أفعل فمه؟ قالوا: إذاً ضرب عنقك ! قال علي: تقتلون عبدالله وأخا رسوله ؟ فقال عمر لل الخليفة أبي بكر: ألا تأمر فيه بأمرك ؟ فقال أبو بكر: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه ، فلحق بقبر رسول الله يصيح ويبكي وينادي: ابن أمِ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي

وَكَادُوا يَقْتُلُونِي ! وَنادَتْ فَاطِمَةُ بِأَعْلَى صُوتِهَا: يَا أَبَتْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَاذَا لَقِينَا بَعْدَكَ مِنَ الْخَطَابِ وَابْنَ أَبِي قَحَافَةَ . «وَتَخَلَّفَ قَوْمٌ عَنْ بِيعَةِ أَبِي بَكْرٍ وَكَانُوا فِي بَيْتِ عَلِيٍّ فَبَعْثَتْ أَبُوبَكْرَ إِلَيْهِمْ عُمْرَ فَنَادَاهُمْ وَهُمْ فِي دَارِ عَلِيٍّ فَأَبَوَا أَنْ يَخْرُجُوا ، فَدَعَا بِالْحُطْبِ وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسُهُ نَعْمَلُ بِهِ لَتَخْرُجُنَّ أَوْلَأَ حَرْقَنَ الدَّارَ عَلَى مَنْ فِيهَا ! فَقَيْلَ: يَا أَبَا حَفْصَ ، إِنْ فِيهَا فَاطِمَةً ! فَقَالَ: وَإِنْ<sup>(١)</sup> وَخَرَجُوا وَلَمْ يَحْرِقُ الْفَارُوقَ بَيْتَ فَاطِمَةَ وَمَاتَتْ فَاطِمَةَ وَدَفَنَتْ لِيلًا ، لَأَنَّهَا أَوْصَتَتْ أَنْ لَا يَصْلِي عَلَيْهَا أَبُوبَكْرٌ ، وَبَعْدَ مَوْتِهَا بَاعَ عَلَيْهَا أَبَا بَكْرٍ .

وَأَوْصَى أَبُوبَكْرٌ لِعُمْرٍ وَخَلَالِ حَيَاتِهِمَا كَانَا يَقْدِمَانَ أَهْلَ الْبَيْتِ عِنْدَ تَوزِيعِ الْعَطَاءِ . فَقَدْ بَدَأَ عُمْرُ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، ثُمَّ أَبُوبَكْرَ وَآلِهِ ، ثُمَّ عُمْرَ وَآلِهِ ، كَمَا يَرَوِي الْبَلَاضِرِيُّ فِي فَتوْحِ الْبَلَادَانَ ، وَكَانَا يَسْتَشِيرَانِ الْإِمَامَ عَلَيَّ وَيَرْجِعُانِ إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup> وَعَصَرُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ فِي جَانِبِ مِنْ جَوَانِبِهِ ، عَصَرُ ذَهْبِيٍّ لِأَهْلِ الْبَيْتِ ! وَجَاءَ الْأُمَوِّيُّونَ فَحَارَبُوا عَلَيْهَا وَسَمُوا الْحَسَنَ وَقَتَلُوا الْحُسَينَ ، وَأَبَادُوا إِبَادَةً كَامِلَةً مِنْ حَضْرَ مَعِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَمَنْعَوْهُمْ مِنْ أَنْ يَشْرُبُوا مِنْ مَاءِ الْفَرَاتِ ، وَصَبُوا كُلَّ غَضْبِهِمْ عَلَى مَنْ يُحِبُّ أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ! فَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْلَى مَعاوِيَةُ عَلَى الْحُكْمِ كَتَبَ إِلَى جَمِيعِ عَمَالَةِ فِي جَمِيعِ الْآفَاقِ بِأَنْ يَلْعُنُوا عَلَيْهَا فِي صَلَواتِهِمْ وَعَلَى مَنَابِرِهِمْ ، كَمَا يَقُولُ الْعَقَادُ فِي مِيزَانِهِ/١٦/ ! وَلَمْ يَقْفَ الأَمْرُ عِنْدَ ذَلِكَ ، بَلْ كَانَتْ مَجَالِسُ الْوَعْظَةِ فِي الشَّامِ تَخْتَمُ بِشَتْمِ عَلِيٍّ ، كَمَا يَرَوِيْ إِبْنُ عَسَاكِرٍ (٤٠٧/٣) وَبِالْتَّالِي فَلَمْ يَجِزُوا

(١) الْإِمَامَةُ وَالسِّيَاسَةُ/١٢/ ، وَالْعَقْدُ الْفَرِيدُ/٤٠٢ وَ٤٥٩/٤ وَ٢٦٠/٤ ، وَشَرْحُ النَّهَجِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ/١٣٤/١ وَ١٩/٢ ، وَالْطَّبَرِيُّ/٢٦١ وَأَنْسَابُ الْأَشْرَافِ لِالْبَلَاضِرِيِّ/٥٨٦/١ ، وَمَلْحَقُ الْمَرَاجِعَاتِ تَحْقِيقُ حَسَنِ رَاضِيٍّ/٢٦١/ .

(٢) راجع الاستيعاب بهامش الإصابة/٣٩/٣٩ . وَذَخَارِ الْعَقَبِيِّ/٨١ وَ٨٢ ، وَتَذَكِّرَةُ الْخَوَاصِ لِلْجُوزَيِّ الْحَنْفِيِّ/١٤٤/ - ١٤٨ ، وَكَفَايَةُ الطَّالِبِ لِلْكَنْجِيِّ الشَّافِعِيِّ/١٩٢ ، وَالْمَنَاقِبُ لِلْخَوارِزَمِيِّ/٣٨/ .. إلخ .

لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة ، ومحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأسقطوا عطاءه ورزقه .<sup>(١)</sup>

وجاء بعدهم العباسيون . وها هو المنصور في ثورة غضبه يقول وقد عزم على قتل الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون ، وتركت سيدهم ومولاهم جعفر بن محمد».<sup>(٢)</sup> ثم قال مشافهة للإمام الصادق: «لأقتلنك ولاقتلن أهلك حتى لا أبقى على الأرض منك قامة سيف ، ولأضربن المدينة حتى لا ترك فيها جداراً قائماً»<sup>(٣)</sup> ويقول الطبرى في تاريخه إن المنصور هذا «ترك خزانة رؤوس ميراثاً لولده المهدى كلها من العلوين ، وقد علق بكل رأس ورقة كتب فيها ما يستدل به على صاحبه ، ومن بينها رؤوس شيوخ وشبان وأطفال»<sup>(٤)</sup> والمنصور هو الذي كان يضع العلوين في الأسطوانات ويسمرونهم في الحيطان كما ذكر اليعقوبى في تاريخه ويترکهم يموتون في المطبق جوعاً ، وتقتلهم الروائح الكريهة حتى لم يكن لهم مكان يخرجون إليه لإزالة الضرورة ! وكان يموت أحدهم ويترك حتى يبلى من غير دفن ، ثم يهدم المطبق على من تبقى منهم أحياء وهم في أغلالهم»<sup>(٥)</sup>

كتب المنصور يوماً إلى الإمام الصادق عليه السلام: «لم لا تغشاني كما تغشاني الناس ؟ فأجابه الصادق: ليس لنا ما نخافك من أجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما

(١) راجع معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس العقاد /١٦ ، وشيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية /١٨٠.

(٢) رسائل أبي بكر الخوارزمي /١٧٨ .

(٣) الحياة السياسية للإمام الرضا /٨٧ .

(٤) راجع مناقب ابن شهر آشوب: ٣٥٧/٣ ، والبحار: ١٧٨/٤٧ .

(٥) راجع تاريخ الطبرى: ٤٤٦/١٠ وراجع التزاع والتخاصم للمقرىزى /٥٢ .

نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فهنيك ولا تراها نعمة فتعزيك ، فما نصنع عندك؟ فكتب المنصور إليه: تصحبنا لتنصحنا . فأجابه الإمام: من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد الآخرة لا يصحبك»<sup>(١)</sup> وأما الرشيد فأقسم على استصالهم وكل من تشيع لهم ، واشتهر عنه قوله: «حتى مَ أصبر على آل بنى أبي طالب ! والله لأقتلنهم ولأقتلن شيعتهم ولأملقن ولأملغن»<sup>(٢)</sup> وكان شديد الوطأة على العلوين يتبع خطواتهم ويقتلهم .<sup>(٣)</sup> ويقول أبو بكر الخوارزمي: «والجملة أن هارون مات وقد حصد شجرة النبوة واقتلع غرس الإمامة»<sup>(٤)</sup>

### نوعا القرابة

- ١ - القرابة القريبة لمحمد ﷺ هم فاطمة وعلى وحسن وحسين ونسلهم ، هؤلاء لاحقتهم خصوصية القرابة وجرت عليه كل الوييلات والماسي ! وتلك مكافأة على موقف أبي طالب نحو الإسلام ونبي الإسلام ، وعلى موقف علي في حروب الإسلام مع أعدائه ، فعليهم الغرم كله والغنم لسواهم .
- ٢ - أما القرابة البعيدة من رسول الله ، فقد حكموا لأنهم من عائلة النبي (قريش) فأخذوا الغنم كله ، وخصوصا القرابة القريبة بالغرم كله .

### عزل العترة الطاهرة وتأويل الخصوصية

النتيجة المنطقية أن عزل الإمام بعد وفاة فاطمة ، وتجلت رغبة عزل الإمام عن بنى هاشم بمحاولة اجتذاب العباس إلى السلطة وإغرائه ببعض الأمر له ولعقبه .

(١) العقد الفريد: ٨٠/٢ وكشف الغمة في أموال الصادق لابن حمدون: ٢٠٨/٢.

(٢) الحياة السياسية للإمام الرضا: ٨٨.

(٣) الأغاني للأصفهاني: ٢٢٥/٥.

(٤) معاوية بن أبي سفيان في الميزان لعباس للعقاد: ١٦ ، وشيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية: ١٨٠.

لَكُن العباس رَفَضَ ذَلِكَ . وَمَعَ الْأَيَامِ عَزَّلَتِ الْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ الطَّاهِرَةِ عَنْ بَنِي هَاشِمِ  
وَعَنْ آلِ الْبَيْتِ وَعَنِ النَّاسِ ، لَأَنَّ الشَّخْصَ الْعَادِي إِذَا أُجْبِرَ أَنْ يَخْتَارَ بَيْنَ السُّلْطَةِ  
وَبَيْنَ خَصْوَمَهَا فَإِنَّهُ سَيَخْتَارُ السُّلْطَةِ لَأَنَّهَا هِيَ الْجَانِبُ الْقَوِيُّ الْمَالِكُ لِزَمَانِ الْأَمْرِ .  
فَكَانَتْ أَغْلِبِيَّةُ الْأُمَّةِ مَعَ الْحُكَّامِ وَأَقْلِيَّتِهَا مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ ، أَوْ كَمَا عَبَرَ الْفَرِزْدَقُ  
الشَّاعِرُ لِلْحَسِينِ: الْقُلُوبُ مَعَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالسَّيُوفُ عَلَيْهِمْ وَمَعَ أَعْدَائِهِمْ !

فَعُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ الَّذِي قَادَ جَيْشَ الْخَلِيفَةِ ضَدَّ الْحَسِينِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ  
فِي كَرْبَلَاءَ صَلَّى الصَّبَحَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ، وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى  
الصَّلَاةَ قَامَ بِقَتْلِ الْمُوْجَدِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ! وَلَمْ يَكْتُفِ بِقَتْلِهِمْ بَلْ قَطْعَ  
رُؤُسِهِمْ كُلَّهُمْ ، كَمَا يَجْمَعُ عَلَى ذَلِكَ ثَقَاتُ الْمُؤْرِخِينَ ، وَسَلَبُوا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى  
لِبَاسِهِمْ وَهُمْ أَمْوَاتٌ ! وَتَحْرَكَتِ الْخَيْولُ فَوَطَّثَتْ جَثَّةَ الْحَسِينِ وَجَثَّةَ مَنْ مَعَهُ مِنْ  
أَهْلِ الْبَيْتِ تَقرِباً إِلَى ابْنِ زِيَادٍ وَإِلَى يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ ! وَلَهُ فِي خَلْقِهِ شَؤُونٌ ، وَتَلِكَ  
ثُمَرةُ مِنْ ثُمَراتِ الْمَقْوِلَةِ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَجْمَعَ الْهَاشَمِيُّونَ النَّبِيَّةَ مَعَ الْمَلِكِ .

وَلَأَنَّ مَا ثَبَّتَهُ اللَّهُ لَنْ يَهْزِهَ الْبَشَرُ ، وَمَا وَضَعَهُ الْخَالِقُ لَنْ يَغِيرَهُ الْمُخْلُوقُ ، أَدْرَكَ  
الْحُكَّامُ أَنَّ خَصْوَصِيَّةَ أَهْلِ الْبَيْتِ لَنْ تَتَغَيَّرْ مَهْمَا فَعَلُوهُ بِهِمْ ، فَالصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ  
مَفْرُوضَةٌ وَطَهَارَتِهِمْ ثَابَتَةٌ فِي الْقُرْآنِ ، وَوَلَا يَتَّهِمُهُمْ عَلَى الْأُمَّةِ ثَابَتَةٌ ، وَالنَّصُوصُ  
بِفَضْلِهِمْ آخِذَةٌ بِالْأَعْنَاقِ ، وَهَنَى لَوْ تَمَّ إِبَادَتِهِمْ إِبَادَةٌ تَامَّةٌ ، فَإِنَّ هَذِهِ الْخَصْوَصِيَّةِ  
سَتَبْقَى شَبَحاً يَلْاحِقُ الْحُكَّامَ لِيَلَّا نَهَارًا ! وَمَنْ هُنَا لَا بَدِيلٌ عَنْهُمْ مَنْ تَأْوِيلُ هَذِهِ  
الْخَصْوَصِيَّةِ .

## الفصل الخامس

### الأمال التي علقت على نظرية عدالة الصحابة

الذين اخترعوا هذه النظرية علقوها عليها الآمال التالية:

- ١ . تأويل خصوصية أهل بيته النبوة تأويلاً يفرغها من مضمونها ووظيفتها
- ٢ . إيجاد خصوصية بديلة تنافسها وتيح للحكام القيام بوظائف أهل البيت.
- ٣ . خلق الشبهات وإيجاد حالة الحيرة والشك لتفريق المحكومين وإشغالهم عن الحكام بخلافات جانبية ، تحول إلى خلافات عميقة ودائمة في الأمة .

### القابل بالصفات

أهل البيت الكرام أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . ومنهم بكل الموازين: فاطمة وعلي وحسن وحسين على الأقل . لقد طهر الله هؤلاء وبشرهم في الجنة قبل أن يبشر المبشرين في الجنة ، وهم سادات أهل الجنة بالنص<sup>(١)</sup> . وغني عن البيان أنهم عدول ، لأن من ملك الأكثر ملك الأقل ، ومن حاز الدائرة حاز ما في ضمنها . أجلاء الصحابة الذين أخلصوا الله قوم مكرمون عدّلهم الله ، ولكن الذين حكموا ليسوا من أجلاء الصحابة ، بل هم في غالبيهم طلقاء أسلموا بعد أن أحيط بهم ، ولا يوجد طريقة في الدنيا يمكن أن يجعلهم في مرتبة أهل البيت إلا نظرية عدالة كل الصحابة بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي ، فهي

---

(١) يمكنك الرجوع إلى: ٩٣/١٢ وما فوق من كنز العمال ، فقد روى عن أكثر أهل الحديث .

تساوي بين من أسلم من قبل الفتح وقاتل ، وبين من أسلم بعد الفتح . تساوي بين القاتل والمقتول ، والمحاصر والممحاصر ، وبين المهاجر والطريق ، وبين المؤمن والمنافق ، وتعطيهم جميعاً نفس الصفة (العدالة) !

فعلي بن أبي طالب من أهل البيت وصحابي ، ومعاوية بن أبي سفيان صاحبي . هذا عادل وهذا عادل ، هذا مجتهد وهذا مجتهد ، هذا في الجنة وهذا في الجنة ، وكلاهما متزه عن الكذب . علي أول من أسلم ، وولي الله بالنصل ، وحامل لواء النبي في كل معاركه ، وبطل الإسلام في كل موقعه ، هو تماماً كمعاوية الذي حارب وأبوه الإسلام في كل الواقع ، وأسلاماً بعد ما أحيط بهما !

العدالة الوضعية ترفض هذا التكيف ، ومن باب أولى أن ترفضه عدالة السماء الله فرق بين الإثنين، ونبيه ﷺ فرق بينهما، والأعمال فرقت، فمن أمرنا بمساواتهما؟ وما هو الدليل عليه غير نظرية عدالة الصحابة؟ تلك النظرية التي وجدت أصلاً للقضاء على الفوارق بين المتقدمين والمتاخرين ، بين المجاهدين والقاعددين ، بين الأولين والآخرين . فما وجدت نظرية عدالة الصحابة وما خلعت صفة العدالة على الجميع إلا لغایات منافسة العدالة للطهارة التي اختص الله بها أهل بيته ﷺ .

### مثال من الواقع

عليٌّ عميد أهل البيت بالنصل ، وولي الأمة بالنصل ، وأول من أسلم بالنصل ، ومجاراة للذين يكرهون أن يكون الأول هو ثانٍ من أسلم بالنصل ، والحق معه يدور حيث دار بالنصل ، وموالاته موالة الله بالنصل ، ومعاداته معاداة الله بالنصل ، وهو صاحبي باعتراف كل الذين أسسوا نظرية عدالة الصحابة، وهو مبشر بالجنة . فإذا كان علي صاحبياً ، فلماذا فرضتم لعنه فوق كل المنابر وفي كل الأمصار

الإسلامية ؟ ولماذا لعنتهم وشتمتهم فعلاً ؟ ألسنتم أنتم الذين حددتم عقوبة من يشتم الصحابي فقلتم: إنه زنديق، لا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلى عليه ؟ أم أن عدالة كل الصحابة ت عمل لصالح الجميع إلا لصالح علي وأهل بيته ؟ حيث تعطل عندهم ولا تعمل ولا تخلع عليهم صفة العدالة ؟

### مثال آخر من الواقع

الحسن بن علي والحسين بن علي سيدا شباب أهل الجنة ، وريحانة النبي من هذه الأمة ، وهما ابنا رسول الله بالنصل ، فقد جعل الله ذرية كلنبي من صلبه وجعل ذرية النبي من صلب علي ، وهما صحابيان ، ومن العدول لأنهما صحابيان ومن غير الجائز الإنقصاص من صحابي أو شتمه أو طعنه ، ومن يفعل ذلك فهو زنديق لا يؤاكل ولا يشارب ولا يصلى عليه... إلخ .

فما بالكم بمن سمووا الصحابي الحسن بن علي ؟ وما هو حكمكم بمن قتل الحسين وحرم عليه وعلى أهل بيته أن يشربوا من ماء الفرات ، وهو حلال للوحش والطير والحيوان وحتى للكلاب ؟ ألا يعتبر القتل إنقصاصاً ؟  
ما رأيكم بمن يقتل ذرية محمد كلها ويسلبها مداعها وهي ميتة ، ويسبى نساءهم ، وهم من الصحابة ؟!

### تساؤل واستغراب

الذين سموا الحسن صحابة بالمعنيين اللغوي والإصطلاحي ، والذين قتلوا علياً صحابة ، والذين قتلوا الحسين صحابة ، والذين أبادوا ذرية النبي في كربلاء صحابة والذين لعنوا علياً وشتموه ومن والاه صحابة ، والذين لم يقبلوا شهادة من يحب علياً صحابة . الحسن بن علي المسموم من العدول ، لأنه من الصحابة ،

والذين سموه عدول لأنهم من الصحابة ، والحسين بن علي من العدول لأنه صاحبي ، والذين قتلواه من العدول لأنهم من الصحابة ، وذرية محمد التي قتلت في كربلاء عدول لأنهم صحابة، والذين قتلواهم عدول لأنهم صحابة .  
 السَّامُ (الذي ارتكب جريمة القتل بالسم) ، والمسموم وهو الضحية ، كلاهما في الجنة لأنهما صحابة وعدول ، والقاتل والمقتول في الجنة ومن العدول ، والسالب والمسلوب في الجنة ومن العدول . هذه المساواة تشكل استهتاراً بالعقل البشري ومظهراً من مظاهر العبودية المخجلة للتقليد !

### أدت الرسالة

نظريّة عدالة الصحابة أدت الرسالة تماماً ! فعلى كمعاوية ، فكلاهما صحابي وهما من العدول ، وكلاهما في الجنة وكلاهما على الحق ، والمتصر منهما هو ولی الأمة ، والعامل الذي انتصر أحدهما على الآخر هو عام الجماعة !

### النقابل بالحماية

من آذى أهل البيت فقد آذى النبي ، ويقابلها من آذى صحابياً فقد آذى النبي ومن أبغض أهل بيت محمد فهو في النار ، ومن أبغض صحابياً على الإطلاق فهو في النار . وزيادة على الحماية المخصصة لأهل البيت ، فمن انتقص صحابياً فهو زنديق ويجب أن يعزل فلا يؤكل ولا يشارب ولا يصلى عليه ، إنما ينبذ كجيفة ميتة ! فنظريّة عدالة الصحابة أعطت الصحابة الحماية المقررة لأهل البيت وزيادة !

### في مجال البيان

القرآن هو الثقل الأكبر ، وأهل بيت محمد هم الثقل الأصغر ، والهداية لا تدرك إلا بالتمسك بالثقلين ، والضلال لا يمكن تجنبها إلا بالتمسك بهما . هذا بالنص الشرعي القاطع وأهل البيت هم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها

غرق بالنص الشرعي القاطع . وهم باب حطة من دخله غفر له بالنص الشرعي القاطع . وهم أمان لهذه الأمة . النجوم أمان لأهل الأرض ، وأهل بيته عليه السلام أمان لأمته من الإختلاف ، بالنص الشرعي القاطع ، والأمة بدونهم كالحمار إذا كسر صلبه ! وعميدهم يبين للناس ما اختلفوا فيه من بعد وفاة النبي بالنص الشرعي .<sup>(١)</sup>

### أمثلة ما تعطيه النظرية لكل الصحابة

( مثل أصحابي في أمتي كالملح في الطعام ، فلا يصلح الطعام إلا بالملح ) ! ورد هذا الحديث في الإستيعاب على هامش الإصابة في تمييز الصحابة ( ٧ / ١ ) . وانظر إلى الحديث رقم ٣٣٧٩٢ ( ٢٢ / ١٢ ) من كنز العمال حيث جاء فيه بالحرف: «فريش صلاح الناس ولا يصلح الناس إلا بهم، ولا يعطى إلا عليهم كما أن الطعام لا يصلح إلا بالملح » ! نقله عن ابن عدي في الكامل عن عائشة . وانظر الحديث ٣٨٠٧ ( ٢٥ / ١٢ ): «أمان لأهل الأرض من الغرق القریش ، وأمان الأرض من الإختلاف الموالاة لقریش ، قریش أهل الله فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب صاروا حزب إبليس » ! وروى الترمذی وابن حبان كما ذكر ابن حجر في الإصابة / ١٩ ، أن الرسول صلوات الله عليه قال: ( الله الله في أصحابي لا تخدوهم غرضاً ، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فبغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه ).<sup>(٢)</sup>

### نصوص للتدارس

أ- قال صلوات الله عليه: « يا علي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك فقد فارقني ».<sup>(٣)</sup>

(١) سأتأتي توثيقات إضافية لذلك في باب المرجعية والقيادة السياسية .

(٢) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر / ١٩ .

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه / ١٢٤٣ ، وصححه على طريق الشيخين .

وقال: «من آذى علياً فقد آذاني»<sup>(١)</sup>

وقال: «من أحب علياً فقد أحبني ، ومن أبغض علياً فقد أبغضني»<sup>(٢)</sup>

وقال لعلي مرة: «حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله ، وعدوك عدوي وعدوی عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدي»

وقال: «طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك»<sup>(٣)</sup>

وقال: «أوصى من آمن بي وصدقني بولادة علي بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبه أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ، ومن أبغضه أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله». <sup>(٤)</sup>

ب - قال: ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتى من الإختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من قبائل العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس»<sup>(٥)</sup> وانظر إلى قوله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتى»<sup>(٦)</sup>

### تساؤلات

ماذا يكون الموقف لو أن صاحبها أبغض علياً أو آذاه ، أو أن علياً أبغض صاحبها أو آذاه فمن نتبع ومن هو المحق ومن هو المبطل؟ ماذا يكون الموقف لو أن قريشاً قالت: نحن أمان لهذه الأمة ، وقال أهل البيت: نحن أمان لهذه الأمة، فمن نصدق؟ ماذا يكون الموقف لو أن قسماً من الأمة اتبعوا قريشاً ، وقسماً آخر

(١) أخرجه الحاكم في: ١٣٠/٣ ، من المستدرك .

(٢) أخرجه الحاكم في: ١٣٠/٣ ، من المستدرك .

(٣) راجع الحديث ١٥٥:٦/٢٥٧٦ من الكتز ، وأخرجه الطبراني .

(٤) سأوقي ذلك في باب القيادة السياسية .

(٥) سأوقي ذلك في باب القيادة السياسية .

اتبعوا أهل البيت ؟ وكل فريق زعم أنه على الحق ، فمن الذي على الحق في الحق والحقيقة ؟

أنظر إلى الحديث المكذوب على رسول الله ﷺ وهو: أصحابي كالنجوم بأيهم افتديت . الذي يقول ابن تيمية فيه: « وحديث أصحابي كالنجوم ضعفه أئمة الحديث فلا حجة فيه » ! فلو أن مجموعة من الصحابة وقفوا مع علي ، ومجموعة أخرى وقفوا مع معاوية ، ومجموعة ثالثة اعتبرت الفريقين ، ومجموعة رابعة تربصت لترى من يغلب فتفق معه ، فهل يعقل شرعاً وعقلاً أن من يتبع أي مجموعة من هذه المجموعات الأربع هو محق ؟ فمن يكون المبطل إذا ؟!

ماذا يكون الموقف لو أن صاحبياً قال: إن الحق عندي هنا في الشرق ، وبين نفس الوقت قال صاحبي آخر: إن الحق عندي في الغرب ، ثم قال ثالث: إن الحق عندي هنا في الشمال ، وقال رابع: إن الحق عندي هنا في الجنوب ، وقال خامس: إن الحق عندي هنا في زاوية ٤٥ شمال ... الخ. وانقسمت الأمة ٧٣ فرقة كما أخبرنا النبي وبيد كل فرقة ذريعة ، فهل يعقل بالشرع والعقل أن يكونوا كلهم على الحق ؟ إنه لا يوجد إلا حق واحد ! وإن الفرق جريمة والوحدة قربة من الله ، فهل يعقل أن يفرق النبي أمه ؟!

### تلقين الحجة بالواسطة

قال النبي لعلي: « أنت تؤدي عنِّي وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي »<sup>(١)</sup> وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم: « إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: الأول: النص ، والثاني: فتوى الصحابة ، وإن الأحناف والحنابلة قد ذهبوا إلى تخصيص الكتاب بعمل الصحابي ، لأن الصحابي العالم لا يترك العمل

(١) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد ، وأورده أبو نعيم في حلية الأولياء .

بعموم الكتاب إلا لدليل ، فيكون عمله على خلاف عموم الكتاب دليلاً على التخصيص ، قوله بمنزلة عمله<sup>(١)</sup> لاحظ: (وقوله بمنزلة عمله) ! فقول الصحابي يُخصص عموم القرآن ويقييد مطلقاته ، كأنه وحْيٌ من السماء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ! إن نظرية عدالة الصحابة أعطت الصحابة ما لم يعطه الشرع لأئمَّة أهل البيت !

قال ابن خلدون: «إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان مختصاً بالحاملين للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهة ومحكمه ، وسائر أداته بما تلقوه من النبي ﷺ أو من سمعه منهم ومن عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك القراء أي الذين يقرؤون الكتاب ، لأن العرب كانوا أممَّة أمية ، فاختص من كان قارئاً للكتاب بهذا الاسم لقرباته يومئذ ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة ». وعن محمد بن أبي سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: «كان الذين يفتون على عهد رسول الله ثلاثة نفر من المهاجرين وثلاثة نفر من الأنصار: عمر وعثمان وعلي وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت ». وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه: «أن أبو Bakr الصديق كان إذا نزل به أمر يريد مشاورة أهل الرأي دعا رجالاً من المهاجرين والأنصار ، دعا عمر وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت ، وكل هؤلاء كان يفتني في خلافة أبي بكر ، وإنما تصير فتوى الناس إلى هؤلاء ، فمضى أبو بكر على ذلك ، ثم ولَى عمر فكان يدعوه هؤلاء النفر ». <sup>(٢)</sup>

(١) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعرف الدوالبي .

(٢) راجع طبقات ابن سعد: ٤/٦٨، وآراء علماء المسلمين في التقدمة والصحابة وصيانة القرآن الكريم /٥٠ وما فوق .

### التوسيعة في التفقة

أنت تلاحظ أن نظرية عدالة كل الصحابة نسفت كل الأعراف التي اعتمدت زمن أبي بكر وعمر ، وخرجت عن كل المفاهيم المألوفة في عهده عليه السلام ، وأعطت الفرصة لكل صاحبي على الإطلاق وبالمعنى اللغوي والإصطلاحي ليدللي بدلوه في كل مسألة من المسائل ، ومن حق المجتهد والباحث عن جواب السؤال المطروح أن يأخذ برأي أي واحد من هؤلاء الصحابة . كيف لا وكلهم عدول وكلهم من أهل الجنة ولا يجوز عليهم الكذب ! فاختلطت الأمور ، وصار المتقدم كالتأخر ، والطريق كالماهر ، فكلهم ينعم بصفة العدالة ، ولا ثريب عليه ، ولا معقب لقوله حسب الإطار العام لنظرية عدالة كل الصحابة . وما يروي عنهم وتثبت صحة نسبته إليهم ، فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل ، لأنه قد صدر عن عدول بإمكانهم أن يخصوا العام من القرآن ، وأن يقيدوا المطلق منه . ومن هنا كانت الجهود منصبة بالدرجة الأولى على درس حياة الرواية دون الصحابة ، فإذا توافرت في الراوي صفة الصدق وتحققت نسبة النص إلى الصاحبي فهذا النص حق ، لأنه صادر عن صاحبي من العدول وكفى .

### ووضعوا قيداً على الرواية من حيث المبدأ

يمكن لأحد الرواية أن يتسيّع لأبي بكر أو لعمر أو لعثمان أو لسعد ، أو لأي صاحبي على الإطلاق ، فهذا لا يخدش بصدقه وأمانته ، ولا يكون محلّ للشبهة ، إنما الشبهة تقع على من يوالى علياً وأهل البيت ويتشيّع لهم ، فمن المحال أن يكون ثقة وتحتّل روایته ، وإذا اجتمع عدة رواة كلهم ثقات وبينهم رجل يحب أهل البيت ويتشيّع لهم ، فيترك الحديث كله ، لأنهم لا يقبلون إلا روایة الثقة ، والثقة والتسيّع لأهل بيته محمد عليه السلام لا يجتمعان ! قال أبو عمرو بن عبد البر: «

روينا عن محمد بن وضاح قال: سألت يحيى بن معين عن الشافعي (محمد بن إدريس الشافعي) فقال: ليس بثقة). ويحيى بن معين هذا من كبار أئمة الجرح والتعديل الذين جعلوا قولهم في الرجال حجة قاطعة ! فتصور أن الشافعي صاحب المذهب ليس بثقة بنظر ابن معين ، لأن فيه بعض التشيع لأهل البيت . وقد أدرك الذهبي أن هذا غير معقول فقال: وكلام ابن معين في الشافعي إنما كان من فلاتات اللسان بالهوى والعصبية .

والإمام جعفر بن محمد الصادق أستاذ أصحاب المذاهب الأربع ، وصاحب مدرسة تخرج منها أربعة آلاف فقيه ومحدث ، وهو صاحب مذهب أهل البيت الكرام ، وعلم شامخ من أعلام النبوة ، وثقة أبو حاتم والنسائي ، إلا أن البخاري لم يبحج به كأنه ليس ثقة ، مع أن البخاري روى لمروان بن الحكم !

قال يحيى بن معين: وقيل له في سعيد بن خالد العجلاني حين وثقه (شيعي) قال: «وشييعي ثقة»؟ إنه يستغرب أن يتشرع رجال لأهل البيت ويكون ثقة !

أما من لا يواليهم ولا يشايعهم فهو ثقة ، قال العجلاني في عمر بن سعد بن أبي وقاص قائد الجيش الذي قتل الحسين وأهل البيت في كربلاء: هوتابعٍ ثقة روى عنه الناس ! وقال العجلاني كذلك في عمران بن حطان: ثقة ! وعمران هذا مدح ابن ملجم لعنه الله ، وابن ملجم هو قاتل الإمام علي . يقول عمران في مدح ابن ملجم: يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ عند الله رضواناً !

## **الباب الثالث : المرجعية**



## الفصل الأول

### المرجعية

يبدو واضحاً أن نظرية عدالة الصحابة أوجدت مرجعية واقعية تركت بصماتها على الحياة الفقهية والسياسية الإسلامية ، وصارت بحكم النقل والتقليد كأنها هي المرجعية الشرعية التي حددتها الله تعالى وبينها رسوله ﷺ !

أما المرجعية الشرعية نفسها فأصبحت غريبة لكثره تناسيها وإبراز المرجعية البديلة لها ، وظن بعض الناس - وإن بعض الظن إثم - أن المرجعية الشرعية هي غير شرعية ، وأن المرجعية البديلة هي الشرعية !

وفي سبيل بيان الحقائق الشرعية المجردة ، لابد من إفراد هذه الناحية .

### ما معنى المرجعية

تعني المرجعية تلك الجهة المختصة ببيان أحكام وقواعد العقيدة الإسلامية الإلهية لا على سبيل الإفتراض والتخمين ، إنما على سبيل الجزم واليقين ، بحيث يكون بيانها هذا عين المقصود الإلهي من هذه الأحكام ، وبالتالي يتقبل الإنسان المؤمن بيان تلك المرجعية على أنه حقيقة إيمانية أو عقلية ، تصلح كمنطلق فكري أو كقاعدة يبني فوقها ، أو كطريق يسار عليها . فالنبي في حياته هو المرجع لكل المسلمين في أمور عقيدتهم ، قوله الفصل لأنه هو الأعلم بأحكام العقيدة . وعميد أهل بيت النبوة ، الإمام ، بعد وفاة النبي ، هو المرجع حسب رأي الشيعة لأنه الأعلم بأحكام العقيدة . والصحابة مجتمعين ومنفردین هم المرجع أو

المراجع بعد وفاة النبي لبيان أحكام العقيدة ، حسب رأي السنة ، وكلهم عدول ومن أهل الجنة وهم الشهود الذين نقلوا لنا هذا الدين<sup>(١)</sup> فالإقتداء بأي واحد منهم يقود للهداية حتماً . وبموت الصحابة يكون المرجع هو الحاكم ، ينظر بالأراء والإجتهادات المطروحة أمامه ثم يختار منها ما يريد . وهذه الإجتهادات هي أقوال سابقة للصحابة في مسائل طرحت في أزمانهم ، وبعدهم المرجع هو الحاكم ، أيُّ حاكم لأن المسلمين مع من غالب!<sup>(٢)</sup> نحن مع من غالب!<sup>(٣)</sup> وهذا قول مشهور للصحابي عبد الله بن عمر ، وهذا رأي أهل السنة ، فكل غالب هو المرجع ، وهو يجتهد بنفسه حتى ولو لم يكن مجتهداً ، أو ينصب من شاء من المشايخ فيجتهد له ، أو يأخذ برأي من شاء من المجتهدين حتى لو لم يكونوا مجتهدين ، كما سرني !

### تلازم المرجعية مع العقيدة

تلازم المرجعية مع العقيدة وترتبط معها ارتباطاً عضوياً ، فالمرجعية تنهل من العقيدة ، فلا عقيدة بدون مرجعية ولا مرجعية إلا في عقيدة ، لأن المهمة الأساسية للمرجعية بيان العقيدة الإلهية . فالنبي يبين هذه العقيدة بعين البيان الذي يريد الله تعالى ، والمرجع بعد النبي بعينها بعين هذا البيان .

فالعقيدة الإلهية حددت معاني الأقوال والأفعال ، والأهداف ووسائل بلوغها ، ونظمت العلاقات بين المؤمنين بها على كل الأصعدة . فيكون دور المرجع منحصرأ ببيان العقيدة بياناً كاملاً ، وتكييفها على الواقع المستجد . فالمرجع هو

(١) راجع الإصابة في تمييز الصحابة ، وبها مشها الاستيعاب لابن عبد البر/٥ وما فوق.

(٢) راجع نظام الحكم للقاسمي/٢٤٤-٢٤٥.

(٣) راجع نظام الحكم للقاسمي/٢٤٤-٢٤٥.

المسؤول عن ترجمة نصوص وقواعد وغایات تلك العقيدة من النظر إلى التطبيق . ومن الكلمة إلى الحركة على صعيدي الدعوة والدولة معاً .

في بيان النبي للعقيدة الإلهية هو جزء منها لأنهنبي ، وبيان علي أو الحسن أو الحسين أو زين العابدين أو جعفر الصادق ، أو أي إمام هو في الأقل سوابق دستورية لمن يريد أن يلتقي عمله مع المقصود الإلهي ، يلزم المؤمنين ولا يجوز مخالفته شرعا ، لأنه الإمام الشرعي القائم مقام النبي وطاعته هي طاعة للنبي .

### المرجعية اختصاص وعمل فني تماماً

فالعقيدة هي السفينة ، والمرجع القبطان . والعقيدة هي المخططات الالازمة لمشروع الإنقاذ الإلهي ، والمرجع هو المهندس الذي يتولى عملية توضيح وشرح هذه المخططات وبيانها وترجمتها مرحلياً إلى واقع مادي ملموس ومحسوس . فالمرجع معلم البناء ، ومن الجنون تحضير المواد الأولية الالازمة للبناء والشروع بالبناء ، دون مشورة وعلم المهندس أو معلم البناء .

وعلى صعيد العقيدة الإسلامية يجب أن يكون المرجع أعلم أهل زمانه بها ، وأكثرهم إخلاصاً لها ، وأكثرهم اعتصاماً بالله ، وأفضلهم وأنسبهم لقيادة ، لأن المرجع هو الحكم ، والناطق بالحكم الإلهي ، وما تتبناه عين المقصود الإلهي .

### تعددية المراجع

لا يوجد في العقيدة الإلهية الواحدة إلا مرجع واحد ، فالنبي هو المرجع الأعلى لكل ما يتعلق بالإسلام . والنبي موسى هو المرجع الأعلى في زمانه ، وهارون مرجع مرتبط بموسى وتتابع له . وهكذا عيسى هو المرجع في كل الأمور المتعلقة بالديانة المسيحية ، لأن تعدد المراجع في العقيدة الواحدة يؤدي بصورة

حتمية لفسخ العقيدة وتفرق أتباعها .

فالمرجعية في الإسلام هي مرجعية واحدة ، وهي اختصاص ، ومن أعظم ضرورات الدين ، فإذا انعدمت يركب كل مسلم رأسه ، أو ترکب كل مجموعة من المسلمين رأسها ، وتعتقد لكثره ممارستها للخطأ أن الحق معها ، وتتفرق الكلمة ، ويتشتت شمل الأمة ، ولا يلهمها ثانية إلا مرجع واحد تعتبر كلمته حقيقة عقلية وإيمانية يتقبلها المسلمون برضي . وهذه السبيل الوحيدة لتوحيد المسلمين .

### الفارق بين العقيدة والمرجعية

هو الفارق بين الدعوة وبين الداعية ، فالدعوة المحمدية تقوم على أساسين: القرآن الكريم والسنة المطهرة بفروعها الثلاثة: القول والفعل والتقرير ، وهذه خاصية لمحمد ﷺ . فالعقيدة هي القرآن الكريم وبيانه المتمثل بقول الرسول ﷺ و فعله وتقريره ، والشخص المبين جزء لا يتجزأ من العقيدة ، والوثوق به وموالاته والتسليم بصحة فهمه للدين جزء لا يتجزأ من الدين . لذلك قوله فصل في كل أمر من الأمور لأنه الأعلم والأفهم بالعقيدة والأفضل والأنسب لقيادة أتباعها . إن العقيدة بناء فكري ، أو إن شئت فقل شخص اعتباري قائم بذاته ، وإن المرجع هو المعيّر عن موقف هذا الشخص الاعتباري من القضايا المطروحة . ولنك أن نقول: إن العقيدة هي الصيدلية الكبرى التي تحوي العلاج الشافي من كل داء ، وإن المرجع هو الطبيب والصيدلاني الذي يشخص المرض ويصرف العلاج اللازم المناسب تماماً لهذا المرض من الصيدلية الكبرى ، وهي العقيدة .

### تجذير الحكم من وجود المرجعية

إذا أوحى الله تبارك وتعالى الى كل إنسان وجراه إلى الخير جرأ ، وخصص له

ملكاً من السماء يرافقه وينعم به ، فلا يستحق الأجر لأن مكره على الفعل أو مكره على الامتناع عنه . والأمر الذي يتناسب مع نظرية الإبتلاء الإلهية أن يعطى الإنسان القدرة على التمييز بين الحق والباطل بعد أن يبينه له الله ، ويُعطي القدرة على فعل الحق وفعل الباطل والمباح والحلال والحرام ، بإرادته وحرفيته ورضاه .  
 هنا فقط يستحق الإنسان المكلف الثواب إذا أصاب والعقاب إذا أخطأ .

تلك هي الأرضية التي انطلقت منها الرسالات الإلهية إلى بني البشر ، وفكرة المرجعية كضرورة من ضروراتها ، فدارت فكرة الرسالة الإلهية حول محورين: ١. رسول يبلغ الرسالة وهو مرجعها الأرضي . ٢. رسالة ذات مضمون يتعدى تبليغها بدون رسول أو مرجع . وهي معدة من قبل الله كمشروع هداية . فالله تعالى هو المرجع الأعلى للرسول في كل ما يتعلق بالرسالة وبيانها .

فالخطوة الأولى هي اختيار الرسول أو المرجع ، والخطوة الثانية إفهام الرسول مضامين هذه الرسالة الإلهية (العقيدة) . والخطوة الثالثة قيام الرسول بتبليغ هذه الرسالة لأصحابها وبيانها كاملاً ، ورصد ردة فعلهم عليها ليكون هو الشاهد . تلك حقيقة لا يجادل بها إلا جاهل ، فقد كان الرسول أي رسول هو المرجع لمن اتبعه ليوضح لهم مضامين الرسالة وكيف تحول من النصوص النظرية إلى التطبيق العملي ، وكيف تنفذ على الوجه الذي يرضى الله تعالى .

وإذا مات الرسول فإن العقيدة باقية بالضرورة ما دام لها أتباع ، ولزم بالضرورة وجود مرجع لها يقوم بدور البيان والشهادة . ومقتضى عملية الإبتلاء أن يكون للعقيدة الواحدة مرجع واحد ليقوم بقيادة مسيرة قافلة الإيمان ، سواء على مستوى الدعوى أو مستوى الدولة ، إن نجحت المرجعية بتحويل الدعوة إلى دولته .

### المرجعية أكبر من أن تنكر

قلت في مقال نشر في عدد جريدة اللواء الأردنية رقم ٩٥٥ تاريخ ١٧ صفر عام ١٤١٢ هـ ما يلي: «الأحزاب الدينية العربية لاتجهل أن الرسالات الإلهية لبني البشر لم تتوقف طوال تاريخ الجنس البشري على الأرض ، فهل تتفضل الأحزاب الدينية العربية مشكورة وأماجورة ، فتبين للمسلمين متى أرسل الله رسالة بدون رسول؟ ومتى خصهم بعقيدة من دون مرجع؟ معكم الدنيا طولاً وعرضاً ، فوقاً وتحتاً من لدن آدم حتى محمد ﷺ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا بإذن الله ، فقد آن الأوان أن تتركوا التقليد الأعمى وأن تتقووا الله في دينكم وأنفسكم ، وفي أمتك وفي الجنس البشري الذي يعلق ضميره كبير الآمال على دينكم لينقذه العالم من براثن المادية المقرفة إلى رحابة التكيف الإلهي للأحداث والآحكام .

كل عقيدة إلهية أو وضعية لها مرجع بالضرورة ، لأن المرجع عنصر أساسي لكل دعوة وكل تجمع بشري وكل عقيدة وكل دولة ، فالأسرة لها مرجع والدولة لها مرجع والنظام لها مرجع . والعقيدة الإسلامية لها مرجع هو رسول الله ، وبعد موته ﷺ بنيت هذه العقيدة المرجعية من بعده ، لأن المرجعية ضرورة من ضرورات الحياة والرسالات . وإن سبب كل المصائب التي حلت بال المسلمين يعود في جوهره إلى استبعاد المرجعية الشرعية التي عينها الله ، والتمسك بالمرجعية البديلة التي فرضتها الغلبة واستكان الناس لها بحكم التقليد» .

سيقول البعض - وخاصة الأحزاب الدينية العربية - إن علماء المسلمين هم المرجع بالمعنى الذي تقصده ، وال الخليفة هو مرجع المراجع ، فهو يتبنى الرأي الذي يراه مناسباً من هذه الآراء خلال فترة حكمه !! إذن هم يعترفون بأن الحاكم هو المرجع وأنه خليفة النبي ﷺ ! فهل يتعقل إنسان أن الله تعالى جعل خلافة النبي ﷺ ومرجعيته مشاععاً مباحاً لكل من غلب بالسيف ، مهما كانت صفاته !

## الفصل الثاني

### العقيدة

تعني العقيدة عموماً مجموعة الأفكار والقواعد والمبادئ والقيم المترابطة والمتكاملة ، التي تقدم تصوراً للوجود لما هو كائن ولما ينبغي أن يكون . بغض النظر عن صحة هذا التصور أو فساده ، وشموليته أو محدوديته ، وكماله أو قصوره . ومن الطبيعي أن كل عقيدة بهذا المفهوم تدعي القدرة على سياسة حياة معتقداتها وتقديم الحلول الناجعة لمشكلاتهم ، واستشراف المستقبل الأفضل لهم ، وتعتمل تلك العقيدة في نفوس معتقداتها وتحرك إرادتهم حتى يقدموها كمذهب سياسي له الجاهزية لإثبات دعوى قدرتها من خلال سلطة تسوس الجماعة وفق تصورات تلك العقيدة ، لأن المذهب السياسي هو البرنامج السياسي المتكامل الذي تقدمه تلك العقيدة ، وهو بمثابة إعلان عن جاهزية فكر ومبادئ هذه العقيدة لوضع موضع المحك والتطبيق . وبهذا المفهوم فإن الرأسمالية التحريرية عقيدة وإن الماركسية الشيوعية عقيدة .

### نوعاً للعقائد ، وصناعة العقائد

عرفت البشرية نوعين من العقائد: ١ - عقائد إلهية من صنع الله . ٢ - عقائد وضعية من صنع فرد أو مجموعة من الأفراد . أو أقل من تجميع فرد أو أفراد . ومن يعمق بالموضوع يكتشف أن بإمكان الإنسان أن يفهم صلاح العقيدة أو طلاحتها ، لكنه عاجز عن صنع عقيدة صحيحة ، فهو بطبيعته غير مؤهل لايجادها ،

بل لو أن الجنس البشري اجتمع كله على صعيد واحد لما استطاع أن يصنع عقيدة صحيحة ويقينية ، وبالتالي فإيجاد العقيدة الصحيحة أمر فوق مستوى البشر وطاقتهم لأنه يتطلب معرفة يقينية بماضي الجنس البشري وبتفاصيل تجاربه ، ومعرفة يقينية بالفطرة الإنسانية وحاجات الإنسان ودوافعه وميوله ، بالإضافة إلى المعرفة اليقينية بالمستقبل الذي سيشهد زمنياً نجاح أو فشل هذه العقيدة أو تلك .  
ويتطلب أخيراً معرفة بالكون المحيط بالإنسان معرفة يقينية !

وهذه المعارف لا يدعها فرد ولا جماعة ، ولا الجنس البشري كله ! فالعقيدة التي يضعها بشر ستنهار عاجلاً أم آجلاً لسبب بسيط هو أن الإنسان غير مؤهل بطبيعة لإيجاد عقيدة ، والعقيدة اليقينية التي تصلح أن تكون أساساً دائماً للسلطة هي العقيدة التي وضعها الله الخالق ، وهي عقيدة الإسلام التي كانت بالفعل أساس السلطة لدولة الرسول محمد ﷺ .

### لامتحن عقيدة الإسلام

١ - على الصعيد العملي: الإسلام هو الإنقياد التام لله جل وعلا في كل شأن من شؤون الحياتين الدنيا والآخرة ، بحيث يكون عمل الإنسان وعمل الجماعة المسلمة وعمل الدولة المسلمة على كافة الأصعدة ، خاصعاً لموازين الأوامر والنواهي الإلهية المحددة ، ومتوجهًا لتحقيق غاياتها الشرعية ، ونعني بالعمل: الحركة المضبوطة بالفكرة الشرعية والنية الشرعية .

٢ - على الصعيد النظري: تعني العقيدة الإسلامية مجموعة القواعد والأحكام والمبادئ والأوامر والنواهي والمعلومات العامة والتفصيلية ، التي أنزلها الله تبارك وتعالى على نبيه محمد ﷺ وقام النبي ببيانها للناس نظرياً عبر دعوة وعبر دولة . ثم وضعها موضع التطبيق من خلال دعوة قادها بنفسه ودولة ترأسها بنفسه .

فالعقيدة تشمل ما أنزله الله وأوحاه إلى نبيه ، وتشمل قول النبي وفعله وتقريره . وهذه العقيدة بمجملها تبين كيف وجدت الحياة ، ولماذا ، وكيف تنتهي ، ومتى ، وما هي مآلاتها؟ وتنظم العلاقات بين الأحياء على الإطلاق ، علاقات الكائنات الحية مع الخالق ومع بعضها ومع الكون الضروري لوجودها والمسخر لخدمتها ، وتبيّن كيفية انتهاء دورة الحياة كلها ، والدورة الحياتية لكل كائن حي مخلوق ، وتكشف عن وجود حياة أخرى هي بمثابة قاعة محاكمة لكل الذين مرروا بدورة الحياة الدنيا وهي بمثابة نتيجة يأخذ المصيب أجره كاملاً ويلقي المخطئ عقابه . وهذه العقيدة سجلٌ حافل بتاريخخلق عامة ولل الجنس البشري خاصة ، حفظت تجاربهم بموضوعية تصل إلى درجة التصوير الفني المشاهد صوتاً وشكلأً وحركة ظاهراً وباطناً . وهي نظام للفرد كفرد ، وللمجتمع كمجتمع ، وللسُّلْطَةُ كسلطة ، ولل الجنس البشري كله ، تنظم حياة كل واحد منهم على انفراد ، وتنظم علاقاتهم مع بعضهم ، وعلاقاتهم مع خالقهم ، وعلاقاتهم مع العالم المحيط بهم ، وترفهم جميعاً بدعة ، وتعزز الدعوة بدولة ، وتعزز الدولة بأهداف ومثل علياً . وهذه العقيدة غائية بمعنى أنها تحدد الأهداف ، فلكل قاعدة من قواعدها هدف وجدت من أجله ورصدت عليه ، وللفرد هدف وللمجتمع هدف ، وللسُّلْطَةُ هدف ولل الجنس البشري هدف .. وهذه الأهداف كلها تصب في مكان واحد هو نفس الهدف العام للإسلام ، وهي أهداف محددة (معيرة) بشكل تعكس طوعياً كامل الطاقة الكامنة في ذات الفرد وذات الجماعة وذات السلطة وذات الجنس البشري والكائنات المحيطة بهم والمسخرة لخدمتهم ، كامل الطاقة لا زيادة ولا نقصان ، لأن الشئ لا يملك إلا طاقته . ولم تكتف العقيدة الإسلامية بتحديد الأهداف ، إنما حددت الوسائل والسبل والطرق ، الازمة

لتحقيق هذه الأهداف ، وبيتها على وجه يزيل كل غموض .

### التصور اليقيني

يعنى أن الإسلام كعقيدة يقدم تصوراً يقينياً شاملاً يقوم على الجزم واليقين . ويغطي بالكامل ساحة الأهداف والوسائل العامة والخاصة وكافة نواحي الحياة ، وعلى كافة الأصعدة الفردية والجماعية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية والدولية.. إلخ . وهذا التصور بمثابة مخططات عامة وتفصيلية دقيقة لما هو كائن ومستقبل هذا الكائن وما ينبغي أن يكون عليه في دائرة الأمانة التي تحول إلى واقع ، بحيث تقودك هذه المخططات درجة درجة خطوة خطوة حتى تصل بك إلى الغاية الشرعية من أقصر الطرق وبأقل التكاليف ، وفي كل أمر من الأمور .

عندئذ تكون العقيدة هي القائدة والوجهة ، وهي منبع الشرعية ، وتستقر كبنية فكرية كاملة ، وتدعم هذا الاستقرار القناعة الذاتية والرضا بهذه العقيدة القائمة على الجزم واليقين ، بعكس العقائد الوضعية التي تقوم على الإفتراض والتخمين والتي ستنهار في النهاية عاجلاً أم آجلاً .

### المنظومة الحقوقية الإلهية

يعنى أن العقيدة الإسلامية هي مجموعة القواعد والأحكام والمبادئ والأوامر والنواهي والمعلومات العامة والتفصيلية ، التي أنزلها الله تبارك وتعالى على عبده محمد ﷺ، وقام هذا النبي ﷺ ببيانها للناس عبر دعوة قادها بنفسه ، وعبر دولة ترأسها بنفسه . فالمنزل من عند الله والمبين من رسول الله بالقول والفعل والتقرير يشكل منظومة حقوقية إلهية ، هي بمثابة القانون النافذ الصالح لكل زمان . ومنظر هذه المجموعة ومبنيتها بعد وفاة النبي هو المرجع الشرعي .

### الفصل الثالث

#### من هو المختص بتعيين المرجعية؟

قلنا: إن هذا المرجع يجب أن يكون بالضرورة الأعلم بهذه العقيدة والأكثر فهماً لها والأكثر إخلاصاً لها ، لا على سبيل الإفتراض والتخمين إنما على سبيل الجزم واليقين . وتلك أمور خفية لا يعلمها العلم اليقيني إلا الله العالم بالسر وأخفى ، ومن هنا اختص تعالى بتعيين هذه المرجعية . وتلك حقيقة لا يجادل فيها إلا جاهل .

وهذه الصفات مجتمعة أعلنت العناية الإلهية أنها متوفرة في كل الأنبياء الذين اختارهم الله وحده عبر التاريخ البشري ، ولم يحفل باعترافات المعارضين: **وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٌ... أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبَيِّنُ** . لأن هذه الاعتراضات تنبع من الإفتراض والتخمين ، بينما الحكم الإلهي باختيار هؤلاء الأنبياء وتعيينهم مراجع عَلَيْهِمُ الْكَفَلَةُ قائم على الجزم واليقين بأنهم الأعلم والأفهم والأنسب لبيان العقيدة الإلهية وقيادة سفينة الإسلام والولاية . والخلاصة أن الله جلت قدرته هو المختص بتعيين المراجع التي تولت بيان العقائد الإلهية طوال التاريخ ، لأنه وحده الذي يعلم المؤهلين لبيان هذه العقائد ، ولم يصادف في التاريخ البشري كله أن ترك تعيينهم إلى أهواء الناس أو آرائهم .

## ما هي المهام والوظائف المناطة بالمرجع الذي عينه الله؟

لا خلاف بأن الرسول ﷺ مراجع ، عينهم الله كلهم بلا استثناء ، فما هي المهام والوظائف المناطة بهؤلاء المراجع الكرام ؟

١ - البيان: وتوضيح العقيدة الإلهية توضيحاً كاملاً، من صميم مهمة كل مرجع على الصعيدين النظري والعملي كما حددت لمحمد ﷺ ولدعوة الإسلام . فالمرجع يبين القاعدة الإلهية نظرياً كما تلقاها من الله بالضبط بلا زيادة ولا نقصان ، ثم يقوم بترجمتها من عالم النظر إلى الحركة والتطبيق ، فيكون البيان كاملاً من الوجهين النظرية والتطبيقية . فهو الذي يُكَيِّفُ النص على الواقعه بنفس التكييف الإلهي ، ويتأكد أن النص حق الغاية من وجوده على كل واقعة .

٢ - تحديد دائرة الشرعية والمشروعية: وهو من مختصات النبي المرجع ، فهو يبين ما أنزله الله تعالى باللفظ والمعنى معاً كالتوراة والإنجيل والقرآن ، أو بالمعنى كالحديث القدسي ، وهو يبيّنه بشقيه النظري والعملي ، فالعقيدة الإلهية والبيان وجهان لعملة واحدة يتعدّر فهم أحدهما بدون الآخر .

٣ - الولاية على الأتباع: ومن مهام النبي المرجع أن يكون الوالي والإمام على أتباع العقيدة ، يصرف أمورهم ويسوسهم وفق أحكام وقواعد العقيدة الإلهية . فمحمد ﷺ هو المرجع الديني لأتباعه وهو الوالي والإمام الزمني لهؤلاء الأتباع . فولايته دينية و زمنية معاً ، فهو نفسه قاد الدعوة ، وهو نفسه ترأس الدولة ، وهو نفسه الذي أنزل عليه الذكر ، وبينه وطبقه .

٤ - منع حدوث الضلال: في عهد النبي يتحقق الهدى وتحتفي الضلالة ،  
بتوفر ركنين: ركن عقائدي حقوقي ، وهو اتباع المنظومة الحقوقية للعقيدة الإلهية  
وركن شخصي هو الولاية والإمامية للنبي المرجع بحيث يسوس أتباعه ويطبق  
عليهم العقيدة الإلهية بنفس الفهم والكيفية التي يتلقاها من الله تعالى .

والمحافظة على وحدة هذين الركنين ضمانة لسيادة الهدى والشرعية ، وأي  
خلل تطبيقي فيهما أو بأحدهما يؤدي حتماً إلى الضلالة ، لأن الركن الشخصي  
 تماماً كالركن العقائدي وهو معاً صفة واحدة . فلا يمكن لشخص أن يؤمن  
 بالعقيدة الإلهية ويرفض ولية محمد ، لأن الولاية جزء لا يتجزأ من العقيدة ،  
 وأي محاولة للتجزئة تدخل صاحبها بالضلالة بحجم تلك المحاولة .

٥ - سفينة نجاة: النبي المرجع سفينة نجاة ، من يركب معه فقد نجا ، ومن  
يختلف عنه أو يركب بأي سفينة أخرى يغرق لا محالة .

٦ - النبي المرجع باب للمغفرة: من دخله غفر الله له ومن أبي بقي حاملاً  
 لأوزاره .

٧ - النبي المرجع يقود أتباعه للهدى: فمن يتبعه ويطيعه فقد أطاع الله ، لأن  
 طاعة النبي طاعة الله وطاعة الله هي الهدى ، ومن يعص الله فقد ضل ضلالاً بعيداً .

٨ - النبي المرجع أمان للأمة المؤمنة ومانع للخلاف: فعندما تتبع الأمة النبي  
 المرجع تسلك طريق مأمونة تماماً لا يتعثر بها أحد . وبغياب هذه المرجعية يقع  
 الخلاف ويختفي الأمان ويضيع الناس فيتبعون (كل ناعق) ويميلون مع كل ريح .  
 فوجود مرجع يفهم بيقين القواعد الإلهية عصمة للأمة وتذكرة أمان للجميع .

**٩ - مضافاً إلى أن المرجع: ثقل لأتباعه يتمسكون به ، فلا يسقطون ولا يضيعون . وأنه المرجع والقدوة في العلم والتقوى والإلتزام والحكم ، والنموذج المتحرك للرباني المتمسك بالعقيدة الإلهية ، وأنه يقوم بتكييف الجهود وتنسيق الطاقات المؤمنة لتعظيم الهدایة على الجنس البشري كله .**

### المرجعية خلال حياة النبي ﷺ

تمثل طاعة الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ، والذي يعرف كنه الأوامر والنواهي هو رسول الله ﷺ ، فطاعة الرسول عملياً هي طاعة الله ومعصيته معصية الله . وقد تأكّدت هذه الحقيقة في القرآن الكريم تسعة مرات ، لأنّ الرسول هو القيم على هذا الدين ، وهو العالم بأسراره ، المطلع على خفاياه ، والقادر على تخصيص العام من أحكامه ، وبيان المعنى المطلوب إن تعددت المعانى في النص الواحد .

وبالتالي فإن المرجعية أثناء حياته محصورة به وحده ، لأن الله عصمه واصطفاه لهذه الغاية ، ولا يمكن لأحد من أتباعه أن يفهم أوامر الله ونواهيه كما فهمها الرسول بالتمام ، لأن الرسول مميز وهو الأعلم والأفهم والأفضل ليرجع إليه أتباعه . ولا أحد يخالف هذه الحقيقة لأنها إيمانية وعقلية معاً .

### المرجعية بعد وفاة النبي - قراءة أولية للواقع

قبل أن ينتقل الرسول إلى جوار ربه اكتمل الدين وتمت النعمة ، وترسخت العقيدة ، وطبقت الأحكام ، وقام نظام الدولة وترأسها النبي ﷺ مدة عشر سنين . لكن طبيعة الإسلام كآخر دين ، وطبيعة قواعده المتعمقة ، ومهمته الملقاة

على عاتق المسلمين في هداية الجنس البشري ، تقتضي بالضرورة وجود مرجعية بعد وفاة الرسول ﷺ . وهذا أمر من البداهة بحيث أنه لا يحتاج إلى دليل لولا التقليد الأعمى والتسليم بالواقع ، و(فطرة) أغلبية الناس بإطاعة الغالب .

### الحاجة لمرجعية بعد وفاة النبي

رأينا أن كل نبي على الإطلاق مرجع بالضرورة ، كلفه الله تعالى بمهام ووظائف وسيد الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ قاد الدعوة إلى الله فنجحت دعوته ، وأسفرت عن دولة طبقت قواعد العقيدة الإلهية بياناً كاملاً نظرياً وعملياً ، وأعلن الله أنه قد أكمل للMuslimين دينهم وأتم عليهم نعمته . وخير النبي فاختار ما عند الله ولم يفاجئه الموت ، إنما مرض ثم انتقل إلى جوار ربه تاركاً دعوة قائمة ودولة ماثلة ، وديننا يباهي به الدنيا ، وقرآننا : **تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ** ، على الإطلاق .

فمن هو المرجع من بعده الذي تكفل الله به لبيان القرآن لكل أجيال الأمة فقال: **إِنَّ عَلَيْنَا جَمِيعَهُ وَقُرْآنَهُ.. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ؟ ومن الذي سيقوم بـ الوظائف التي كان يقوم بها؟ من الذي يبين للناس أحكام العقيدة الإلهية؟ ومن الذي يحدد دائرة الشرعية والمشروعية؟ من هو ولی الأمة ورکن مجدها القائم مقامه؟ من هو سفينة النجاة؟ من هو باب المغفرة؟ من هو الأمان المخلص لهذه الأمة؟ من هو مثلها الأعلى بعده؟ من الذي يقود موكب المؤمنين لتحرير سكان العالم وانتشالهم من الظلمات إلى النور؟

## تساؤلات تحتاج إلى أجوبة

إذا قال المسلمون إن النبي ﷺ لم يعين المرجع من بعده ، ولم يحدد من الذي سيقوم بوظائفه ، ومن سيبين للناس مفاهيم العقيدة وأحكامها ، ويقود معركة تحرير البشرية وإنقاذها.. فإن قولهم هذا ينقض كمال الدين وتمام النعمة لأن هذه الأمور من صلب الدين ومن صميم النعمة ، ومن المحال أن تغفلها العقيدة الإلهية !

ولو أصرروا على ذلك لوجدوا أن العقيدة الإلهية تتحدى إصرارهم هذا وتعييه ولا تقره ، ويكتفي بذلك بيان القرآن لهدف الإسلام: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ . بل إن هذا الإصرار يتعارض مع المنطق والعقل وأساسيات الحياة ، فضلاً عن تناقضه الصارخ مع قواعد العقيدة الإلهية وهدفها .



## الفصل الرابع

### مواقف المسلمين من المرجعية بعد وفاة النبي

انقسم المسلمون حول المرجعية بعد وفاة النبي ﷺ إلى قسمين ، وكل قسم يزعم أنه على الحق العبين:

١ - **التاريخيون**: وهم الذين سوّغوا ماجرى واعتبروه شرعاً من كل الوجه ، وبشكل خاص عهد الخلفاء الراشدين ، ويعرفون بأهل السنة ، واصطلاح التسنن وأهل السنة نشأ في العهد الأموي في زمن معاوية حيث انتصرت القوة على الشرعية واستقر الأمر نهائياً لمن غالب ، ودانت الأكثريّة الساحقة لهذا الغالب ، فسمي ذلك العام بعام الجماعة ، وسمي الذين دانوا لمن غالب بالجماعة وهم حزب الدولة ، فهم وإن اختلفوا معها في بعض المواقف إلا أن علامتهم موالية الدولة لأن بيدها الأرزاق تعطيها لهم وتمنعها عن يوالى غيرها ، ومن جهة ثانية فإنهم قد اعتبروا الدولة رمزاً لوحدة المسلمين .

٢ - **الشرعيون**: وهم الذين عارضوا ماجرى واعتبروه غير شرعي ، مع اختلاف بحجم المعارضة ونسبة الخروج على الشرعية . فعصر الخلفاء الراشدين عصر ذهبي بالنسبة لعصر بنى أمية ولا مجال للمقارنة بين العصرين : وعصر بنى العباس

أكثر سوءاً من العصر الأموي . و هؤلاء يعتقدون أن العقيدة الإلهية عين المرجع بعد وفاة النبي ﷺ وأن الله لم يترك الأمر سدى ، وأن المرجع المعين شرعاً بعد وفاة النبي هو علي بن أبي طالب علیه السلام ، وقد رتب الشرع طريقة تعين المرجعية بنص كل مرجع على الذي يليه . ويعرفون بالشيعة ، وقد نشأ التشيع في زمن النبي وصار الشيعة حزب المعارضة ، وطوردوا من قبل الحكام طوال العهددين الأموي والعباسي خاصّة ، وحرموا من كافة حقوقهم ولم تقبل شهاداتهم ، وشطبت أسماؤهم من دواوين العطاء ولاحقتهم لعنة الحكام طول التاريخ . وسنورد حجج الفريقين .

### رأي أهل السنة أن النبي ترك الأمة بدون خلف ولا مرتجعية

يقول أهل السنة إن النبي ترك الأمة بدون خلف ولا مرتجعية ، ولم يبين للمسلمين الإمام أو الولي الذي سيخلفه من بعده ويقوم بوظائفه الدنيوية والأخروية ومنها المرجعية من بعده . واستدلوا على ذلك برد الخليفة عمر بن الخطاب على الذين أشاروا عليه أن يستخلف من بعده على المسلمين فقال: «إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني ، يعني أبا بكر ، وإن أدع فقد ودع من هو خير مني» يعني النبي ﷺ .<sup>(١)</sup> كما استدلوا على ذلك بقول السيدة أم المؤمنين عائشة بأن النبي «مات بين سحرها ونحرها ورأسه على فخذها ، ولو أنه قد أوصى لسمعته»! ومن هنا انكر بخاري ومسلم الوصية بهذا الشأن مستندين إلى قولها وقول عمر .

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢٣/٢ ، والطبرى: ٣٤/٣ ومروج الذهب للمسعودى: ٣٥٣/٢ .

ومن المؤكد حسب رأيهم أن النبي إذا بين هذا الإمام والمرجعية من بعده فإنه قطعاً ليس علياً بن أبي طالب كما تزعم الشيعة ، لأنه لو كان علياً لما كان من المعقول أن يتتجاهل الصحابة الكرام بيان النبي هذا ويوالوا غيره ! لأنهم عدول ومن أهل الجنة ومن يشك بترتيب الخلفاء (أبي بكر وعمر وعثمان وعلي) فقد أزرى على ١٢ ألف صحابي !<sup>(١)</sup> والت نتيجة عندهم أن النبي ترك الإمامة ومرجعية الدين للMuslimين أنفسهم لأن خلافة النبي شأن من شؤون المسلمين ، والإمامية والمرجعية تتبعان رئاسة الدولة .

### تلاشى عملية ترك الأمة بدون مرجع

وقد اكتشف أهل السنة أن ترك الإمام للأمة بدون أن يسمى ولیاً للعهد من بعده خطر ماحق ما بعده خطر ، وأنه يضر بمصلحة المسلمين والإسلام ! انظر إلى قول السيدة عائشة مخاطبه عبدالله بن عمر: «يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع ، إستخلف عليهم ، ولا تدعهم بعده هملاً ، فإنني أخشى عليهم الفتنة» فأتى عبد الله فأعلم الخليفة بما قالت أم المؤمنين<sup>(٢)</sup> وقد أصابت أم المؤمنين لأن ترك الأمة بدون راع ولا مرجعية يؤدي للفتنة ويترك الناس هملاً.

وقد تلاشت عملية ترك الأمة بدون مرجع فأخذ الخليفة يعين ولی عهد يتولى أمور المسلمين من بعده ، لأن الإمام أو الخليفة أو رئيس الدولة الإسلامية كائناً من كان هو ولی الأمة والأمين عليها ينظر للأمة في حال حياته ، وينظر لها بعد مماته ، ويقيم لها من يتولى أمورها كما كان هو يتولاها ، ويتحققون بنظره لهم في

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٨/١ وما فوق ..

(٢) الإمامة والسياسة / ٢٣ .

ذلك كما وثقوا به في ما قبل ، وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده . إذ وقع بعهد أبي بكر لعمر . وكذلك عهد عمر في الشورى إلى الستة...<sup>(١)</sup> وقد شرعت ولادة العهد بسبب فعل أبي بكر وعمر وعدم معارضته الصحابة لهما مما جعلها وليدة الإجماع ، والإجماع سند شرعي كما يرى ابن خلدون ، وذلك حرصاً على وحدة المسلمين ومصلحتهم وهروباً من الفتنة ، حتى لا تبقى أمة محمد هملاً بغير راع على حد تعبير عائشة أم المؤمنين<sup>(٢)</sup> وتجنبًا لللوم على حد تعبير عبد الله بن عمر بن الخطاب .<sup>(٣)</sup> ويبدو أن الإمام الوحيد برأي أهل السنة الذي لم يسم خليفته ، ولم يتخذ وليناً للعهد هو رسول الله ﷺ ! فهو بالمفهوم عند ابن خلدون: ينظر للناس عند حياته ولا ينظر لهم بعد وفاته ، يعكس بقية الخلفاء أو رؤساء الدول الذين ينظرون لشعبهم بعد وفاتهم!<sup>(٤)</sup> والخلاصة أن الصحابة الكرام اكتشفوا أن ترك الأمة دون بيان المرجع والإمام وولي العهد دمار محقق ، وأن الوصية والتسمية أفضل لمصلحة المسلمين فشرعواها أو هكذا صوروا . لكن قولهم هذا تدفعه النصوص القاطعة ، وخلو الدين من هذا الأمر الجوهرى ينافق كماله وتمام النعمة ، خاصة وأن الرسول قد خير واختار الموت ، ومرض قبل الموت وعرف أنه ميت في مرضه ذاك ، وقد قذف الله في قلبه محبة هذه الأمة وجعله بالمؤمنين رؤوفاً رحيمًا ، وأخبر أنه الله أطلعه على مستقبلها والأخطار المحيطة بها بعده ، فهل من الممكن عقلًا أن

(١) مقدمة ابن خلدون/ ٢١٠ دار الفكر.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة/ ٢٣.

(٣) مروج الذهب للمسعودي: ٣٥٣/٢.

(٤) مقدمة ابن خلدون/ ٢١٠ دار الفكر.

يموت دون أن يبين للناس من هو المرجع من بعده؟ ومن هو خليفته؟ كيف تفوته هكذا أمور فتلافاها أبو بكر وهو ليس نبياً، وعمر وهو ليس نبياً؟ وتحس بخطورتها عائشة أم المؤمنين وهي امرأة وليست نبياً فتحض عمر على الإستخلاف وتقول إستخلف عليهم ولا تدعهم بعدي هملاً!! هذا أمر غير وارد ولا يصح قطعاً ، بالرغم من تقديرنا للواقع الذي ساد ! لقد تثبت أهل السنة بكل شئ ليبرروا الواقع الذي حدث ! تشتبوا بالنص ، وعند ما خذلهم النص تشتبوا بالإفتراض ، وعند ما انهار الإفتراض تشتبوا بالشوري وعندما انهارت الشوري تشتبوا بالرأفة بالمسلمين والحرص على مصلحتهم ومستقبلهم حتى لا يتركوا هملاً وبلا راع ! ثم استقروا بعد طول ترحال على مبدأ أن الإمام القائم أو الخليفة القائم هو الذي يسمى من يليه، أي يحدد للأمة الشخص الذي عليها أن تباعه!<sup>(١)</sup>

### المرجع بعد وفاة النبي ﷺ عند أهل السنة

رئيس الدولة القائم هو المرجع الديني والدنيوي معاً عند السنة ، كيف لا وهو خليفة رسول الله فما كان الرسول يقوم به يقوم به الخليفة ، فهو ينظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهם ، وهو ولهم والأمين عليهم ينظر لهم ذلك في حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ، ويقيم لهم من يتولى أمرهم كما كان يتولاها ، ويتحققون بنظره لهم في ذلك كما وثقوا به فيما قبل<sup>(٢)</sup> فالحاكم عندهم يملك كافة الإختصاصات التي كان يختص بها النبي والصلاحيات المخولة له كإمام وكولي

(١) استعرضنا في النظام السياسي في الإسلام نظريات أهل السنة ونقدناها نقداً علمياً ٨/ وما فوق .

(٢) مقدمة ابن خلدون دار الفكر ٢١٠/ .

للأمة . وقد أفردنا فصلاً في كتاب النظام السياسي لهذه الإختصاصات<sup>(١)</sup> ونقلنا قول صاحب كتاب نظام الحكم المرحوم ظافر القاسمي حيث قال: «إن اختصاصات الخليفة تشمل جميع الشؤون الداخلية والخارجية والعسكرية ، وإن أعباءه تقع عليه وحده وإنه إذا فرض شيئاً منها فإن ذلك لا يسقط حقه الأصيل بممارستها»<sup>(٢)</sup> وقد حاول الإمام الماوردي أن يحدد هذه الإختصاصات على الصفحتين ١٥ و ١٦ من الأحكام ، ولخصنا هذه المحاولة في كتابنا النظام السياسي / ١٩٤ . والمرجعية الدينية تابعة بالضرورة لرئيس الدولة ، لأن رئيس الدولة هو خليفة النبي والنبي كان المرجع الديني والدنيوي معاً ، فما كان يمارسه النبي يمارسه الخليفة ، بل هناك أمور دخلت باختصاصهم وقالوا بأن النبي نفسه لم يمارسها وهي ولادة العهد ! فالنبي ترك الأمة بدون راع وبدون ولی وبدون مرجع وبدون إمام برأيهم ، ثم قام أبو بكر بمباذه منه وتشجيع من أكابر الصحابة باتخاذ عمر ولیاً لعهده وتوليته خليفة من بعده ، ثم جاء عمر فعهد لستة ، ومن يدقق بالعهد يكتشف أنه عهد عملياً لعثمان لأن عثمان كان يعرف بالرديف والرديف بلسان العرب هو الرجل الذي بعد الرجل ، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد زعيمهم!<sup>(٣)</sup> وقد أعطى عمر حق النقض لابن عوف وهو صهر عثمان ، فوصيته تؤدي حتماً لاستخلاف عثمان .

لقد سن أبو بكر وعمر مبدأ أن الخليفة هو المرجع وصاحب الحق بتولية الخليفة الذي يليه ، ونسج الخلفاء على منوالهما ، وقد صور هذا الأمر كأنه حق

(١) النظام السياسي / ١٨٧ .

(٢) راجع نظام الحكم للأستاذ ظافر القاسمي / ٣٥٣ .

(٣) راجع نظام الحكم للأستاذ ظافر القاسمي وقد نقلها عن الطبرى / ١٩٧ - ١٩٨ .

لل الخليفة القائم ، وفهم علماء أهل السنة ذلك ومنهم ابن خلدون إذ يقول بالحرف:  
 «إن الإمام ينظر للناس في حال حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد وفاته»!<sup>(١)</sup>

### الحاكم القائم هو المرجع عند أهل السنة

أهل السنة يعتبرون الخليفة الذي يتولى رئاسة الدولة هو المرجع في كل الأمور الدينية والدنوية ! فأبو بكر هو المرجع الأعلى في زمانه ، وعمر هو المرجع الأعلى في زمانه ، وعثمان ومعاوية ويزيد ومروان بن الحكم... إلخ. كل واحد منهم المرجع الأعلى في زمانه ، وكذا خلفاء بنى العباس وبنى عثمان . فالعبرة بالمرجعية الفعلية هو الغلبة ، والحاكم الغالب على الأمة هو ولها وإمامها ومرجعها في كافة الشؤون الدينية والدنوية . قال أبو يعلى: «روي عن الإمام أحمد مادل على أن الخلافة ثبتت بالغلبة والقهر ، ولا تفتقر إلى العقد» فقال في رواية عبدوس بن مالك العطار: «ومن غلب بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برأً كان أم فاجرًا» .

وقال في روايه أبي الحارث في الإمام يخرج عليه: «من يطلب الملك فيكون مع هؤلاء قوم ومع هذا قوم ( تكون الجماعة مع من غالب)» وذلك إعمالاً لقاعدة الشرعية التي وضعها عبدالله بن عمر بن الخطاب عندما صلى بأهل المدينة يوم الحرة وقال للناس: «نحن مع من غالب والناس يبايعون الغالب»<sup>(٢)</sup> ألا ترى كيف انتهت الأمور واقعياً بالنظام السياسي الإسلامي إلى أنه يجب

(١) المقدمة لابن خلدون .

(٢) نظام الحكم للقاسمي .

على الأمة أن تباعي الغالب بغض النظر عن دينه وصفاته وموقف الشرع منه !

## من الذي يقوم مقام الحاكم في المرجعية

مادام الحاكم حياً وغالباً فهو المرجع الأعلى للأمة في كافة شؤونها الدينية والدنيوية . وقبل أن يموت ولو كان في النزع الأخير يعين للأمة إماماً وولياً ومرجعاً لها من بعده ، وهو أهل لذلك ومحول به ! فهو ولهم والأمين عليهم يقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو يتولاها ، وقد فعل ذلك أبو بكر لعمر بمحضر من الصحابة فأجازوه وأوجبوا على أنفسهم طاعة عمر<sup>(١)</sup> . ونضيف: أن تولية معاوية ليزيد تمت بمحضر من بقي من الصحابة ، وعندما يعين الحاكم خليفةه ومرجعية الأمة من بعده فعلى الأمة أن تباعته ، ومن يعارض فهو مفسد في الأرض .

وصلاحيات الخليفة في تعين من يخلفه مطلقة لا راد لها وهي معللة بأنه  
موضع ثقة على حد تعبير ابن خلدون: «أبو بكر على فراش الموت عهد إلى  
عمر وقال لكاتب عهده عثمان: لو كتبت لك لكتت أهلاً لها»<sup>(٢)</sup>  
ثم ها هو عمر وهو على فراش الموت أيضاً يفكر بأمر المسلمين ويقلب الأمر  
على وجوهه المختلفة ، ويبحث عن الرجل الذي يستطيع أن يقوم مقامه فيقول «  
لو كان أبو عبيدة حياً وليته واستخلفته ، ولو أدركت خالد بن الوليد استخلفته  
ولوليه ، ولو أدركت سالماً مولى أبي حذيفة لاستخلفته»<sup>(٣)</sup> وبالمناسبة إذا كانت

(١) مقدمة ابن خلدون / دار الفكر

(٢) راجم ٤٢٩:٣ من تاريخ الطبرى وص ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي .

(٣) راجع مرض عمر وموته في تاريخ الطبرى ، وطبقات ابن سعد . وراجع ١٥ من الإمامة والسياسة .

خلافة سالم جائزة وهو الذي لم يعرف له نسب في العرب ، فكيف لا تكون جائزة خلافة الأنصار أليسوا أقرب عرقياً لرسول الله ؟ ثم ألم يحتاج الثلاثة الذين حضروا السقيفة بأنهم أولى من الأنصار لأنهم أهل النبي وعشيرته . ثم ماذا تبقى من قاعدة: الأئمة من قريش ؟ ثم كيف أن معاذ بن جبل من الأنصار وكان لا يجوز تولية الأنصار يوم السقيفة ، فجازت تولية معاذ الأنصاري فيما بعد ؟ ثم إن خالداً قاتل الإسلام بكل فنون القتال حتى أسلم ، وعليٌّ قاتل مع الإسلام بكل فنون القتال ، فبأي مبدأ يقدم خالد على علي ؟ !

وقيل لعمر: «استخلف عبد الله بن عمر» فرفض عمر ذلك لسبب بسيط جداً وهو أن عبد الله بن عمر عجز عن طلاق امرأته ، كما قال عمر<sup>(١)</sup> وتصور بربك أن عمر فكر أخيراً بأن يعهد بالخلافة لعلي بن أبي طالب عليه السلام ولكن رهقته غشية لا ترى أن صلاحياته بتسميةولي عهده في نظر أهل السنة صلاحيات مطلقة ؟! والنتيجة: أن ولادة العهد أصبحت مشروعة في نظر علماء السنة بسبب عهد أبي بكر لعمر وعهد عمر عملياً لعثمان . وأصبح العهد هو الطريقة المتبعة في تولية الخليفة عند الأمويين والعباسيين والعثمانيين إلى الولد أو أحد أفراد الأسرة<sup>(٢)</sup>. وتعليلهم بأنهم حريصون على مصلحة الإسلام والمسلمين (أكثر من النبي ﷺ)!

### المرجعية الجماعية عند أهل السنة

بحلول العهد الأموي تكونت المقاطع الأساسية لنظرية عدالة كل الصحابة ، فأصبح الصحابة جميعاً وبدون استثناء وبدون مقدمات عدولاً ، وكلهم من أهل

(١) على سبيل المثال شرح النهج: ٦٤/١ ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

(٢) على سبيل المثال شرح النهج: ٦٤/١ ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام .

الجنة ولا يدخل أحد منهم النار<sup>(١)</sup> ولا يجوز عليهم الكذب ، وتحولوا المراجع دينية كل واحد منهم مرجع قائم بذاته ومستقل عن سواه ، وإن أخذت من أي واحد منهم جاز . فرأى أبي بكر شرع له قوة أن يوقف نص القرآن ويخصصه ! لأنه صاحبي بالدرجة الأولى من العدول . وكذلك رأى عمر وكذلك رأى أي صاحبي ! فلدي أهل السنة مرجعية جماعية ، وكل واحد من الصحابة بلا استثناء مرجع قائم بذاته متزه ممتنع عليه الكذب ينطق بالحق المبين لأنه من أهل الجنة . ومن يشك بهؤلاء المراجع جميعاً أو بأي واحد منهم فهو زنديق لا ينبغي أن يؤكل أو يشارب أو يصلى عليه !

وبعد أن انتقل الصحابة كلهم إلى جوار ربهم حل محلهم التابعون ، وبانتقال التابعين إلى جوار ربهم حل محلهم العلماء من أهل السنة ، والأحزاب التي تكونت عندهم . يقول أبو حنيفة: «إذا لم أجده في كتاب الله ولا في سنة رسول الله أخذت بقول أصحابه ، فإذا اختلفت آراؤهم في حكم الواقعه الواحدة أخذت بقول من شئت وادع من شئت»<sup>(٢)</sup> وجاء في أعلام الموقعين لابن القيم «إن أصول الأحكام عند الإمام أحمد خمسة: الأول النص ، والثاني فتوى الصحابة ، فعمل الصحابي على خلاف عموم القرآن دليل على التخصيص وقول الصحابي بمنزله عمله»<sup>(٣)</sup> وتقدير قول ابن خلدون: «إن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بنسخه ومتناوشه ومتتشابهه ومحكمه وسائر أدله بما تلقوه من النبي ﷺ أو من

(١) نقلنا تعريف ابن حجر الذي أجمع عليه أهل السنة وحللناه في الباب الأول من هذا البحث .

(٢) راجع المستصفى للغزالى ١٣٥ - ١٣٦ وآراء علماء المسلمين للسيد الرضاوى ٨٧ .

(٣) راجع المدخل إلى علم أصول الفقه لمعرف الدوالى وراجع آراء علماء المسلمين ٨٧ /

سمعه منهم ومن عليتهم وكانوا يسمون القراء أي الذين يقرأون الكتاب ، لأن العرب كانوا أمة أمية فاختص من كان قارئاً للكتاب بهذا الإسم لغرابته يومئذ ، وبقي الأمر كذلك صدر الملة»<sup>(١)</sup>

### كيف تعمل المراجع عند أهل السنة

بعد وفاة النبي وفي زمن الخلفاء الراشدين كان الخليفة هو المرجع الأعلى للMuslimين، فهو صحابي ومن العدول ، وهو الخليفة ، يسأل من يشاء من الصحابة ويأخذ برأيه هو ، أو برأي من يشاء . وغالباً ما كان يسأل أبو بكر وعمر القراء كعلي وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل.. لكنهم لم يبرروها بفكرة عدالة الصحابة التي طرحتها الأمويون وروجوا لها ، وكانت أدوار الأكثريّة الساحقة من الصحابة في المرجعية محدودة جداً ، بمعنى أنهم لم يكونوا مراجع عملياً .

ولم يختلف الأمر كثيراً في العهد الأموي ، فمعاوية بوصفه صحابي ومن العدول أصبح المرجع الأعلى للMuslimين ، وأخذ يمارس مرجعيته كما مارسها من سبقة بالخلافة ، فله أن يسأل من يشاء ويأخذ برأي من يشاء ، وقد روّج فكرة عدالة كل الصحابة لأنها تجعله من أهل الجنة ، وتبررت له الجلوس محل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، مع أنه الطلاق ابن الطلاق ، وبررت له أن يتمتع بنفس الصالحيات بوصفه خليفة !

أما طلاب العلوم في كل عصر ، فهم أحجار بقبول ما يرونـه من آراء الصحابة في المسألة الواحدة إذا تعددت . وكذلك الأمر مع التابعين ، ومع علماء المسلمين بعد التابعين ، ثم تتكرر الحالة فيما يتصل بالأحزاب .

(١) طبقات ابن سعد: ٤/٦٨٠ ، وراجع آراء علماء المسلمين ٥٠٧ وما فوق .

وبعد زوال الخلافة الإسلامية أصبح كل عالم من علماء أهل السنة مرجعاً قائماً بذاته ، يفتى لنفسه ولأتباعه ، وأصبح كل حزب من الأحزاب العربية مرجعاً قائماً بذاته ، ومهمنته منصبة على إثبات أنه على الحق ، وتكثيف الجهد وتكييف النصوص ، ليستحوذ وحده على السلطة في أي مصر يتواجد فيه .



## الفصل الخامس

### المرجعية البديلة

اجتهد البعض في مورد النصوص الشرعية (مع أنه لا إجتهاد في مورد النص) وقادهم هذا الإجتهاد إلى نتيجة أن المرجعية الشرعية التي عينتها العقيدة الإلهية ليست في مصلحة الإسلام وال المسلمين ، لاعتقادهم أن هذه النصوص هي من التحليل العقلي للنبي ﷺ وليست أوامر إلهية ، وأن النبي عندما وضع مرتکزات هذا التحليل كان لا يعرف توجهات الرأي العام الإسلامي ، وأنه يرفض رفضاً قاطعاً أن يجمع لبني هاشم النبوة والخلافة ! وعزّ على هذا البعض أن يواجهوا النبي صراحة بما في نفوسهم ، وتلاحقت الأحداث سريعاً ووضعت المرجعية البديلة على عجل ، وتصور الذين وضعوها أنهم يحسنون صنعاً ، ويخدمون الإسلام والنبي بفعلتهم هذه ، وتصوروا أنهم وحدهم الذين أنماطت بهم العناية الإلهية أمر التخطيط لبناء مستقبل الإسلام ، لأنه برأيهم لا يوجد في صفوف المسلمين من هو أكثر أهلية منهم للقيام بهذا العمل الخطير ، فحزموا أمرهم وشرعوا بترجمة ما بيته !

### الشرع بوضع معالم المرجعية البديلة

النبي على فراش الموت ، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته ، وأكثر ما كان يأتي جبريل في مرضه . النبي على علم بمستقبل هذه الأمة ، وقد أدى دوره

كاماًً وبلغ رسالات ربه ، وبين لهم كل شئ على الإطلاق . وهو على علم تام بما يجري حوله ، ومدرك أنه السكون الذي يسبق الانفجار ، فينسف الشرعية السياسية والمرجعية . وينسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتعطل المولد الأساسي للدعوة والدولة .

ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة ، ولا يقعده شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة . وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة ، بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها ، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تهتدي وحتى لا تضل ، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تربص بها ، وتنتظر موت النبي ﷺ لتفتح أشداقها فتعكر صفو الإسلام ، وتعيق حركته وتغير مساره .

### المواجهة الصادحة

النبي على فراش المرض ، وببيته المبارك يغص بأكابر الصحابة ، وقد أصرَّ على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام فقال النبي: « قربوا أكتب لكم كتاباً لن تضلووا بعده أبداً ». ما هو الخطأ بهذا العرض النبوى؟ من يرفض التأمين ضد الضلال؟ ولماذا؟ ولمصلحة من؟

ثم إن من حق أي مسلم أن يوصي ، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل موته والذين يسمعون قوله أحرار فيما بعد ياعمال هذا القول أو إبطاله ، هذا إذا افترضنا أن محمد ﷺ مجرد مسلم عادي ، وليس نبياً وقائداً للأمة .

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب وجه كلامه للحضور وقال: « إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن . حسينا كتاب الله» !

فاختلَفُوا الحاضرون ، فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ، ومنهم من يقول القول ما قاله عمر . فلما أكثروا اللغو والإختلاف عند النبي قال لهم رسول الله: قوموا عنِي<sup>(١)</sup>

وفي رواية ثانية أن الرسول ﷺ عندما قال: «إثونني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . تنازعوا ولا ينبغي عند النبي تنازع ، فقالوا: هجر رسول الله ! قال النبي: دعوني فالذى أنا فيه خير مما تدعوني إليه»<sup>(٢)</sup>

وفي رواية ثالثة قال النبي ﷺ: «إثونني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . فقالوا: إن رسول الله يهجر»<sup>(٣)</sup>

وفي رواية رابعة للبخاري أن النبي قال: «إثونني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلَفوا وأكثروا اللغط . قال النبي: قوموا عنِي ولا ينبغي عندِي التنازع»<sup>(٤)</sup>

رواية بلفظ خامس للبخاري ، قال النبي: «إثونني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . فتنازعوا ولا ينبغي عندِي تنازع ، فقالوا: ما شأنه أهجر ؟ إستفهموه ! فذهبوا يرددون عليه . فقال: دعوني فالذى أنا فيه خير مما تدعوني إليه»<sup>(٥)</sup>

رواية بلفظ سادس للبخاري ، قال النبي ﷺ: «إثونني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً . فتنازعوا ولا ينبغي عندِي تنازع فقالوا: ماله أهجر؟

(١) صحيح بخاري كتاب المرضي باب قول البريسي: قوموا عنِي: ٩٧٧ وصحِّح مسلم آخر كتاب الوصبة: ٧٥٥ وشرح النووي: ٩٥/١١ ومسند الإمام أحمد: ٣٥٧/٤ ح ٢٩٩٢ وشرح النهج لابن أبي الحميد: ٥١٦.

(٢) راجع صحيح بخاري: ٣١/٤ وصحِّح مسلم: ١٦٣ ومسند الإمام أحمد: ٢٢٢ و ٢٨٧/٣ .

(٣) راجع مسلم: ١٦٢ وج: ٩٤/١١-٩٥ بشرح النووي ومسند أحمد: ٣٥٥/١ والطبرى: ١٩٣/٢ ولابن الأثير: ٣٢٠ .

(٤) راجع صحيح بخاري: ٣٧/١ .

(٥) راجع صحيح بخاري: ١٣٧/٥ والطبرى: ١٩٢/٣-١٩٣ .

إستفهموه ! فقال النبي: ذروني فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه<sup>(١)</sup>  
 روایة بلفظ سبع للبخاري قال النبي: «هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده . قال  
 عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم القرآن فحسبنا كتاب الله . واختلف أهل البيت  
 واختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لن تضلوا بعده ، ومنهم  
 من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والإختلاف عند النبي قال: قوموا عنِّي<sup>(٢)</sup>  
 وفي روایة أن عمر بن الخطاب قال: إن النبي يهجر...»<sup>(٣)</sup> وقد اعترف الفاروق  
 أنه صدَّ النبي ﷺ عن كتابة الكتاب حتى لا يجعل الأمر على<sup>(٤)</sup>

### تحليل المواجهة

أطراف المواجهة: الطرف الأول: هو محمد رسول الله وخاتم النبیین ﷺ وإمام  
 الدولة (رئيسها) . الطرف الثاني: هو عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ، ووزير  
 من أبرز وزراء دولة النبي ، وال الخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد .

مكان المواجهة: بيت النبي ﷺ .

شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم .

### النتائج الأولية للمواجهة

١- الإنقسام: إن الحاضرين قد انقسموا إلى قسمين: قسم يؤيد الفاروق فيما  
 ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول ﷺ وبين كتابة ما يريد . وحجة هذا الفريق

(١) صحيح بخاري: ١٣٢/٢ و: ٦٥/٤ و: ٦٦..

(٢) صحيح بخاري: ١٦١/٨ .

(٣) راجع تذكرة الخواص لسبط الجوزي الحنفي/٦٢ وسر العالمين في الدارين لأبي حامد الغزالى/٢١.

(٤) شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد: ١١٣/٣ .

أن الفاروق من كبار الصحابة وأحد وزراء النبي وهو مشفق على الإسلام ، وأن النبي مريض وبالتالي فلا داعي لازعاجه بكتابه هذا الكتاب . ثم إن القرآن وحده يكفي فهو التأمين ضد الضلال ، ولا داعي لأي كتاب آخر يكتب النبي .

وقسم يرفض المواجهة أصلاً بين التابع والمتبوع ، وبين النبي ومصدق به ، وبين رسول يتلقى تعليماته من الله ومجتهد يعمل بما يوحيه له اجتهاده ، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت وواحد من وزرائه .

ويرى هذا القسم أن تناح الفرصة للنبي ليقول ما يريد ، ولكتابة ما يريد ، لأنه النبي وما زال نبياً حتى يتوفاه الله ، وأنه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ويحل رئيس آخر محله .

ثم على الأقل لأنه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره ، ومن حقه أن يقول ما يشاء وأن يكتب ما يشاء.

ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته ، فهو صاحب البيت ، ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته .

٢ - بروز قوة هائلة جديدة: بُرُزَ الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين في مواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه<sup>(١)</sup> واستطاع أن يحرك الأحداث بعد ذلك وأن يقودها بكفاءة ! فالفاروق كان يعيش في صميم الأحداث ويتبعها متابعة دقيقة ، دقيقة بدقة . كما ظهر منه في صلح الحديبية ، وفيفتح مكة ، وفي حنين .

وبعد ظهوره في مرض النبي ﷺ كقوة هائلة وزعيم أوحد لبطون قريش ،

(١) راجع مراجع يوم الرزية في مصادر الحديث ، وكيف أجمعت على أن الفاروق هو الذي قال حسناً كتاب الله .

كان له في داخل السقيفة الدور الأعظم ، فلو أراد لكان هو الخليفة . وبعد السقيفة وبمبايعة النفر الحاضرين لأبي بكر الصديق ، قاد نفسه عملية إتمام البيعة ، وصاح بالمهاجرين أن يقوموا فيبايعوا ، فنهض عثمان ومن معه من بنى أمية فبايعوا الصديق .

وعمر بن الخطاب نفسه هو الذي نظم الذين بايعوا أبا بكر في السقيفة وجهز منهم سرية ، وأخرج علياً ومن معه من بيت فاطمة الزهراء ليبايعوا الصديق <sup>(١)</sup> وهو نفسه الذي أحضر الحطب وهم بإحراء بيت فاطمة إن لم يخرج المعتصمون به <sup>(٢)</sup> وهو نفسه الذي هدد علياً بالقتل إن لم يبايع <sup>(٣)</sup> وهو نفسه الذي أشار على أبي بكر الصديق بأن يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات ليضمن ولاءه <sup>(٤)</sup> وأشار عليه بأن يعين يزيد بن أبي سفيان قائداً لجيش الشام <sup>(٥)</sup> وهو القوة الهائلة التي صنعت الاستقرار للدولة أبي بكر ، ولم يطل بقاء الصديق في الحكم طويلاً فانتقل إلى جوار ربه ، وورث عمر دولة آمنة مستقرة ، وانتقلت إليه السلطة بيسر وسهولة وبدون معارضة ، وكان الانتقال خطوة طبيعية تتبع خطوة...  
وعاجلاً أم آجلاً سيكتشف الباحثون أن للفاروق قدرة هائلة على التخطيط والتنظير ما توفرت لأحد قط من أقرانه ! <sup>(٦)</sup> فقد قام بدور الهيئة الأساسية لعصر ما بعد النبوة ، ورتب كل شئ لمستقبل الحكم في الإسلام ، فلن يجمع الهاشميون

(١) على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قيبة/٥ وما فوق .

(٢) مراجع التحرير الذي ذكرناها أكثر من مرة ، وكتاب خلفيات مأساة الزهراء للسيد جعفر مرتضى .

(٣) الإمامة والسياسة ١٣/ .

(٤) شرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد: ٣٠٧/١-٣٠٦/١ تحقيق حسن تميم مكتبة الحياة .

(٥) تاريخ الطبرى: ٢٠٩/٣- ٢١٠ و تاريخ الحكم للفاسى ١٥٢/ .

(٦) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٢٤/٣. وشرح النهج لعلامة المعتزلة ابن أبي الحديد: ١٠٧/٣ .

الخلافة والنبوة أبداً ، وستكون الخلافة تداولًا في غيرهم ، وحقاً خالصاً لمن غلب بغض النظر عن شرعية أو عدم شرعية وسائل الغلبة !

### ٣ - بروز فكرة التغلب وترجيع التابع على المتبوع: نبت بهذه المواجهة

فكرة التغلب وترجيع التابع على المتبوع ، أو المساواة بين التابع والمتبوع ، وخلق حالة من الشبهات والحيرة مع من يكون الصواب هل هو مع التابع أو مع المتبوع؟ فحجة الفاروق أن النبي قد اشتد به الوجع ، وكتابة الكتاب بمثل هذه الحالة قد تشكل خطراً . وشائع الفاروق بذلك مجموعة من الصحابة ، وهذا شك .

وحجة الطرف الآخر أن محمداً ما زال نبياً وسيبقى نبياً حتى تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها ، وأنه لا ينطق عن الهوى وهذا يقين . فترك اليقين إلى الشك غير معقول والمرض ليس مانعاً من القول .

### حاديثن مشابهتان

الأولى: لقد مرض الصديق واشتد به الوجع كما يجمع على ذلك كل أتباع الملة . فلما تم لأبي بكر ما أراد من المشورة دعا عثمان خالياً - أي وحده - وقال له: «أكتب أما بعد» ثم أغمي عليه من شدة الوجع فكتب عثمان: «إفاني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً» فلما أفاق أبو بكر من إغمائه قال لعثمان: «إقرأ علىي» فقرأ عليه ما كتب فقال أبو بكر: «أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتلت نفسي في غشيتي؟ قال عثمان: نعم ، قال أبو بكر: جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله» وأقرها أبو بكر<sup>(١)</sup> تلك حقيقة بالإجماع .

الثانية: مرض عمر نفسه فقال طيبه: «لا أرى أن تمسي ، فما كنت فاعلاً فافعل»

(١) تاريخ الطبرى: ٤٢٩/٣ و ١٧٦ من نظام الحكم للقاسى و ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزى و ٨٥/٢ من تاريخ ابن خلدون ، وصفحة ١٢٠ من كتابنا النظام السياسى فى الإسلام .

فقال لابنه عبد الله: «ناولني الكتف فمحاها ، وقال من شدة الوجع : والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع». وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله فقال لابنه: «ضع خدي بالأرض» فلم يفعل فلحظة وقال: «ضع خدي بالأرض لا أم لك ! الويل لعمر وألم عمر إن لم يغفر الله لعمر» .<sup>(١)</sup>

وبالرغم من شدة وجع أبي بكر فقد أوصى وكتب ما أراد ، وبالرغم من شدة وجع عمر فقد أوصى وكتب ما أراد ، ورتب أمر الشورى واطمأن أن عثمان سيكون الخليفة وأنه لن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة ! ونفذت بدقة وصيحة الإثنين وسمح لهما بقولها ، وسمح لهما بالتوجيه بالرغم من اشتداد الوجع بكل واحد منهم . وسبب شرعية قولهما أنه عندما كتب كل منهما وصيته كان ما زال رسمياً على رأس عمله (خليفة للمسلمين) ومن حقه أن يمارس عمله ، ما دام حياً أو لم يعزل !

تلك حقيقة مُسلَّم بها بالإجماع ، قوله واحداً لا خلاف عليه . فكيف يسمح لأبي بكر ولعمر بالتوصية وكتابة ما يريدان مع أن المرض قد اشتد بكل واحد منهم أكثر من اشتداده برسول الله ، ويحال بين الرسول ﷺ وبين كتابة ما أراد؟! ألا يحق لمحمد ﷺ ما يحق لأبي بكر وعمر رضي الله عنهم؟ هذا مع الإفتراض أن محمدأً على قدم المساواة مع أبي بكر وعمر ، وهو افتراض مرفوض شكلاً وموضوعاً ، لأن محمد ﷺ نبي مرسل من الله وإمام ، بينما أبو بكر وعمر من الأتباع ومحمد يوحى إليه ، وقد أكد وقال أكثر من مرة إن أكثر ما كان يأتيه الوحي ، كان يأتيه وهو مريض<sup>(٢)</sup> والله تعالى يقول: «وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ

(١) الإمامة والسياسة/ ٢١-٢٢ وصفحة ١٢٠-١٢١ من كتابنا النظام السياسي على سبيل المثال .

(٢) الطبقات لابن سعد: ١٩٣/٢ .

وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَتَهُوا» ويقول: «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى» «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» .

فكيف يتحول بظرفة عين من كانت هذه صفاته وملكاته إلى رجل حاشاله  
أن يهجر؟! ولا يؤمن على كتابة وصية !!

ومع أن هذه حقائق دامغة لا قوة في الأرض تستطيع أن تنكرها أو تدافع عنها ومع أن هذه الواقعية نسفت مستقبل الإسلام كله ، وكانت هي البذرة التي انطلقت منها كل المأساة والنكبات التي حلت بال المسلمين ، إلا أن أهل السنة يتتجاهلونها تماماً ولا يفكرون بها إلا أنها مجرد قصة .

وهكذا عملياً رجح قول التابع على قول المتبوع ، فأصبح التابع مرجعاً والمتبوع متفرجاً ، وتم للتابع ما أراد وغلبت مشيئته واستقطب الناس لها ، فوجدت واقعياً فكرة الغلبة وأثمرت ، واعتبرت الغلبة فيما بعد مبدأ شرعاً ، وأجيزة للأمة أن تترسخ على الصراع بين متغاليين ثم تقف في النهاية مع الغالب مهما كانت صفاته ومهما كان دينه <sup>(١)</sup> فطعم المتبوع بالتالي ، وتقدم المفضول على الأفضل . ومن هنا فلا ينبغي أن ندهش إذا رأينا معاوية بن أبي سفيان يعتلي سدة الخلافة وهو الطلاق ابن الطلاق ومن المؤلفة قلوبهم ، وينازع بالخلافة أول من أسلم ومن هو ولد الله بالنص ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة بالنص ، ويحاول أن يقنع المسلمين بأنه أفضل من علي وأصلح للأمة منه ! ولا ينبغي أن ندهش إذا وجدنا في عصور الإسلام من يقول هذا مجتهد وهذا مجتهد وكلاهما في الجنة . ولا ينبغي أن ندهش عند ما يطالب مروان بن الحكم بالخلافة ، وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظوراً عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وأبي بكر

(١) نظام الحكم للقاسمي ٣٤٤-٣٤٥ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ١٥٣.

وعمر ، حتى تولى الخلافة عثمان فأدخله معززاً مكرماً ، واتخذ ابنه مروان رئيساً لوزرائه وزوجاً لابنته !

لقد تداعت الفوارق بين التابع والمتبوع ، وبين المتقدم عند الله وفي الإسلام والمتأخر في موازين الله والإسلام ! فالوليد بن عقبة يتأمر على الحسين بن علي ! والوليد يعظ المسلمين ويجب على الحسين أن يسمع موعظته ! والوليد يصلّي بالناس صلاة الصبح أربعاً وهو سكران ويسألهم كانوا يرغبون بالزيادة ، وبعد ذلك فإنه لا حرج أن يكون هذا الرجل إماماً للحسين بن علي بن أبي طالب وأميراً عليه ، ومرجعاً ، يمكن للحسين إذا أراد أن يسأله في أمور دينه ودنياه !!

#### ٤ - ظفر الغالب ونجاجه

أصبح الغالب - أي غالب وأياً كانت صفاتـه - هو الظافر وهو سيد الموقف ، وهو إمام المسلمين ورئيس دولتهم ، ومرجعهم في كل الأمور الدينية والدنوية ، وهو الحائز لكل وسائل القوة ، بيده السيطرة الكاملة على كل موارد الدولة ، يعطي من يشاء ويمتنع العطاء عنمن يشاء ، لا رقيب عليه إلا الله ومقدار دينه . وهو القائد العام لجيوش الإسلام يستعملها لتحقيق الأمئـنـ الخارجي والداخلي ولتطويـعـ الرعـيةـ رغبةً ورهـبةـ ، وهو المسيطر سيطرة تامة على وسائل الإعلام ، فلو شاء جعل الأبيض أسود ، ولو شاء جعل الأسود أبيض ، ويمكنه بسيطرته على وسائل الإعلام أن يجعل القزم عملاقاً ، وأن يتحول العملاق إلى قزم ، ويتحول مؤيدوه إلى واجهة له بيدـهمـ الحلـ والعـقدـ ، ومع الأـيـامـ يـصـبـحـواـ مـراـجـعـ !ـ فـهـمـ يـتـبـنـونـ وجـهـةـ نـظـرـ الغـالـبـ ويـسـتـعـمـلـونـ وـسـائـلـهـ بـالـمـرـجـعـيـةـ ،ـ فـهـمـ سـادـاتـ المـجـتمـعـ ،ـ وـهـمـ الفـرـاقـ الدـمـلـلـةـ ،ـ وـإـذـاـ سـارـ مـعـهـمـ أـيـ وـاحـدـ قـادـوـهـ إـلـىـ نـقـطـةـ الـإـرـتكـازـ وـمـحـورـ

الهداية أي عين ما يراه الغالب . وقد عزف العامة على ذات الوتر واتحدت الأمة على هذه الشاكلة ، وكلما مضت سنة ترسخت وتوطدت ، وكلما مر عقد ضربت جذورها في الأرض ، وأصبحت رأياً عاماً وقناعة ، وعقيدة سياسية ، ثم دينية !

#### ٥ - عزل العترة الطاهرة

بهذا المناخ نادت العترة الطاهرة بالشرعية ، وقالت إن لها حقاً وهي تطالب به ولكن الناس يحولون بينها وبين حقها الشرعي . كانت معارضة أبي الحسن لأبي بكر معارضة متحضرة وشرعية ومنطقية جداً ، بشهادة بشير بن سعد أول من بايع أبي بكر حيث قال عندما سمع حجة الإمام: « لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان »<sup>(١)</sup>

ولكن تبقى السلطة سلطة ، والمعارضة معارضة ، ولا يمكن بالفطرة للسلطة بأي مقياس أن تثق سياسياً بالمعارضة ولا أن تسلم للمعارضة مكتسباتها . ولكن لأن فاطمة بنت محمد بجانب الإمام علي ، فقد رئي عدم قتلها بالرغم من أنه هدد بالقتل إن لم يبايع ، ورئي عدم إكرابه على البيعة تقديراً لفاطمة .

ولم تتخذ أية إجراءات فعالة ضد الإمام وزوجته الزهراء عندما كانوا يطوفان ليلاً في مجالس الأنصار ويسألان النصرة ، فكان الأنصار يقولون: « يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به ! فيقول علي: أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفعه وأخرج أنازع الناس سلطانه ؟ فتقول فاطمة: ماصنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه وطالبهم » وتقول لهم: « وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذرآ ؟ ! »<sup>(٢)</sup>

(١) الإمامة والسياسة ١٢/ على سبيل المثال .

(٢) الخصال للصدوق ١٧٣/ .

وأدرك الإمام أن الأمة قد غدرت به كما يبيّن رسول الله ﷺ.

وكانت النتيجة عزل الإمام بعد وفاة فاطمة وعزل شيعته . وتجلت الرغبة بعزل الإمام حتى عن بنى هاشم بمحاولة السلطة اجتذاب العباس إليها بإغرائه ببعض الأمر له ولعقبه لكن العباس رفض ذلك !<sup>(١)</sup>

وبالمعيار الموضوعي ، فإنه إذا قدر للشخص العادي أن يختار بين السلطة وبين خصومها ، فإنه سيختار جانب السلطة لأنها هي الجانب الأقوى ، خاصة وإن معارضات أهل البيت تتبع ، وكاد حبل الود أن ينقطع نهائياً بينهم وبين السلطة عندما هم عمر بإحرق بيت فاطمة على من فيه ، ولكن الله سلم .<sup>(٢)</sup>

وقد بلغ الأمر بالسلطة أنها (اقتنعت) بأنه لا يجوز لبني هاشم أن يجمعوا مع النبوة الخلافة ، وذلك لمنع الإجحاف الهاشمي ! وآمنت السلطة بأن قريشاً قد اهتدت عندما أخذت بهذا المبدأ<sup>(٣)</sup> والأهم من ذلك أنها وضعت شرطاً بأنه لا يجوز أن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وأمانة ، وقد نفذ هذا الشرط بدقة في عهدي أبي بكر وعمر ، وكان عمر يحرص على أن لا يتولى أعماله أي مؤيد لهم<sup>(٤)</sup>. وهكذا عزل علي وعزلت شيعته وتعايش الإمام مع الشيدين وتعايشت شيعته ، وقدم أهل البيت في زملئهما على الجميع في العطایا ، فكانوا يبدؤون بآل محمد ثم ببقية الناس ، وآمن الإمام وأهل البيت وشيعتهم على أرواحهم وأموالهم ، وكانا الشيختان يستشيران الإمام ويرجعان إليه أحياناً . وبعد فترة من استلام عثمان للخلافة ، بدأ الصحابة يتراجعون من حوله ، وبدأ

(١) الإمامة والسياسة / ١٥-١٦ .

(٢) راجع مراجع التحقيق .

(٣) الكامل لابن الأثير: ٢٤٧٣ حوادث سنة ٢٣ وشرح النهج ، وكتابنا النظام السياسي في الإسلام ١٤٩١ وما فوق .

(٤) مروج الذهب: ٣٥٣/٢ .

الأمويون ينزوون في بلاطه ، فانقضى الصحابة جمِيعاً من حوله والتُّفَّ الأمويون عليه وغص بهم بلاطه ، ولم يأت الأمويون بجديد ، فـآل البيت وشيعتهم الذين حرموا الأعمال في زمن الشِّيخين لا يمكن أن يتولوها في زمن عثمان ، ولأن الإمام وشيعته لا يمكن أن يسكنوا على أخطاء بنى أمية وهم حاشية عثمان وعماله ، اعتبروا أن أمر أهل البيت بالمعروف ونهيهم عن المنكر معارضة للأمويين كقبيلة . فلذلك ضاقوا ذرعاً بعلي وبشيعته ، وترامت هذه المعارضه مع ترکات الماضي بين الهاشميين والأمويين ، وما زالت تكبر وتکبر حتى حدثت المواجهة المسلحة بين الأمويين برئاسة معاوية والي الشام وبين الأمة برئاسة إمامها ووليها علي ، وانتصرت القوة على الشرعية وتوج معاوية ملكاً حقيقةً على الأمة وسمى العام بعام الجماعة . وبدأ معاوية عهداً جديداً لمطاردة آل محمد مليء بالدم والدم ، فأبىدوا إلا من كتب له الحياة ، وفرضت مسبتهم وشتمهم في الأمصار ، ورددت الأمة المسبات والشتائم وراء الحكام ، وطوردت شيعة آل محمد ، ولم يجيزوا لأحد منهم شهادة ، ومحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأسقطوا عطاءهم ورزقهم !<sup>(١)</sup>.

### طاقم المرجعية الجديدة

الخليفة الغالب كائناً من كان ، هو المرجع للأمة في كل شؤونها الدنيوية والأخروية بدلاً من ولی الأمة وعميد أهل بيت النبوة . والصحابة الكرام كلهم المرجعية الجماعية للأمة لأنهم عدول ومن أهل الجنة ، وهم البديل لأهل بيت النبوة المطهرين بالنص ، فأهل البيت عارضوا والصحابة والوا .

وإذا انقرض جيل الصحابة يأتي التابعون فيكونون هم المرجعية الجماعية التي

---

(١) تاريخ ابن عساكر: ٤٠٧٣ و معاوية في الميزان للعقاد ١٦٧ وشيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ١٨٠.

تساعد الخليفة مرجع الأمة الأعلى ، فإذا انقرض جيلهم يأتي تابعوا التابعين . ثم يأتي بعدهم العلماء ، فالعلماء ورثة الأنبياء وهم يقومون بدور المرجعية بالتعاون مع الحكام . وبالتالي فإن وجود أهل البيت ثانوي جداً أمام هذا الطاقم .

### أثر المعارضـة

تحولت توجهات الأكثـرية وأفعالها إلى قناعات عامة ترسخت في الأذهان واستقرت نهائـياً ، وضـاق صدرها بمن يعارضـها وتم عزلـها والتـضييق عليهـ ، والتـقليل من شأنـه والـتشهـير بهـ ، واعتـباره خارـجاً علىـ الجـمـاعـةـ وـمـتـولـياًـ غـيرـ سـبـيلـ المؤـمنـينـ اـشـوـهـتـ سـمعـةـ المـعـارـضـينـ ، وـحـرـفـتـ وجـهـاتـ نـظـرـهـمـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ تـهـمـةـ الـكـفـرـ أـخـفـ منـ تـهـمـةـ التـشـيـعـ لـأـهـلـ الـبـيـتـ !ـ فـمـنـ يـكـفـرـ بـالـهـ وـيـرـتـدـ عنـ دـيـنـهـ يـسـتـابـ ،ـ فـإـذـاـ عـادـ عنـ كـفـرـهـ وـلـوـ بـلـسـانـهـ قـابـلـوهـ بـالـترـحـابـ ،ـ أـمـاـ المـتـشـيـعـ لـأـهـلـ الـبـيـتـ فـلـاـ تـوـبـةـ لـهـ ،ـ وـمـوـالـةـ الـكـافـرـيـنـ أـهـوـنـ مـنـ مـوـالـةـ آـلـ مـحـمـدـ !ـ وـقـدـ تـحـولـتـ هـذـهـ القـنـاعـاتـ إـلـىـ تـرـكـةـ تـرـثـهـاـ الـأـمـةـ كـمـاـ تـرـثـ الـمـتـاعـ ،ـ فـقـدـ وـرـثـتـ كـمـاـ أـرـثـ الـمـتـاعـ عنـ آـبـائـيـ وـأـجـدـادـيـ أـنـ الشـيـعـةـ كـفـارـ ،ـ لـأـنـهـمـ يـؤـلـهـونـ عـلـيـاـ وـلـأـنـهـمـ يـطـعـنـونـ بـالـصـحـابـةـ الـكـرـامـ وـلـأـنـهـمـ...ـ إـلـخـ.ـ وـوـرـثـتـ هـذـهـ الـأـفـكـارـ لـأـوـلـادـيـ ،ـ لـكـنـ لـأـنـاـ وـلـأـجـدـادـيـ وـلـأـبـائـيـ وـلـأـوـلـادـيـ سـمـعـواـ وـجـهـةـ نـظرـ الشـيـعـةـ وـلـاـ تـأـكـدـنـاـ مـنـ صـحـةـ هـذـهـ التـهـمـ !ـ وـلـيـسـ بـأـيـدـيـنـاـ أـيـ دـلـيلـ عـلـىـ صـحـتـهـاـ سـوـىـ التـقـلـيدـ !ـ وـكـلـ مـاـ نـعـرـفـ بـالـتـقـلـيدـ أـنـ الشـيـعـةـ هـمـ أـعـدـاءـ الـأـمـةـ ،ـ وـحـتـىـ عـلـمـاءـ أـهـلـ الـسـنـةـ الـمـعـاصـرـيـنـ الـذـيـنـ يـدـرـسـونـ عـلـمـاءـ الـفـدـ فيـ الـجـامـعـاتـ،ـ لـاـ يـعـرـفـونـ مـعـنـيـ التـشـيـعـ وـلـاـ مـتـىـ نـشـأـ وـلـاـ كـيـفـ ،ـ وـإـنـ عـرـضـواـ وـجـهـةـ نـظرـ الشـيـعـةـ فـإـنـهـمـ يـنـقـلـونـهـاـ بـالـحـرـفـ عـنـ أـعـدـاءـ الشـيـعـةـ ،ـ فـالـخـصـمـ هـوـ الرـاوـيـ وـهـوـ الـحـكـمـ وـهـوـ الـقـاضـيـ !ـ مـعـ أـنـ الـخـلـافـ فـيـ حـقـيقـتـهـ خـلـافـ سـيـاسـيـ ،ـ وـمـعـ أـنـ الشـيـعـةـ يـأـخـذـونـ الـإـسـلـامـ عـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ ،ـ وـمـذـهـبـ أـهـلـ الـبـيـتـ هـوـ مـذـهـبـ مـحـمـدـصلـوةـ اللـهـ عـلـىـهـ وـبـرـهـ وـسـلـامـ عـلـىـهــ .ـ وـفـتـنـةـ النـاجـيـةـ هـيـ الـفـتـنـةـ الـتـيـ تـهـنـدـيـ بـهـادـهـمـ .

## الفصل السادس

### من هو المرجع بعد وفاة النبي ﷺ؟

أ - ضرورة المرجعية: يقول الشيعة: ليس صحيحاً أن النبي ﷺ ترك هذه الأمة بدون ولی ولا مرجع ، لأن الولاية والمرجعية أمر جوهری لا غنى للأمة عنه في زمان ، والقول بترك الأمة بدون ولی ومرجع ينافض كمال الدين وتمام النعمة وشمول البيان لكل شئ «بياناً لكل شئ» ! فكيف يكون التبoul شيئاً ويبين النبي للناس كيف يتبولون ، ولا تكون الولاية والمرجعية شيئاً ويتركها دون بيان؟! وبالتناوب ، فإن عدم بيان النبي للولاية والمرجعية ينافض رحمه ورأفته بهذه الأمة وحرصه على مستقبلها ، لأن الله قدف في قلبه الكبير المحبة والرحمة والرأفة بأمته كما هو ثابت في القرآن الكريم، فمن يقوم بوظائفه الدينية والدنيوية من بعده؟ ومن يبين القرآن؟ ومن يحدد دائرة الشرعية؟ ومن هو سفينة النجاة للأمة؟ ومن يقود الناس للهداى؟ فهذه اختصاصات فنية كالطب والهندسة وعلم الذرة ، وأمور لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الأعلم بالعقيدة والأفضل والأنسب للمرجعية ، وصفاته لا يعلمها على وجه الجزم واليقين إلا الله تعالى ومن المحال بالشرع والعقل أن يتركها لأهواء الناس .

وأكبر دليل على ضرورتها أن الذين أنكروها وأنكروا بيان النبي لها عادوا وأوجدوا ولاية وضعية أعطوها لمن غالب بعد أن قتل مئات الآلاف من أبناء الأمة في سبيل تحقيق غلبتهم وإمرتهم بالقوة .

ب - البيان الإلهي للمرجعية: الله تبارك وتعالى هو الذي أنزل القرآن كرسالة

إلهيّة لبني البشر ، وعقيدة إلهيّة تقدم لهم تصوّراً يقينياً لحركة كل شئ ، وتنظم أمور دينهم ودنياهم في حياتهم الدنيا ، وتكتشف لهم المعالم الأساسية لحياتهم الآخرة ، وترتبط حياتين برباط عضوي محكم ، وأنزل الله هذا الكتاب على عبده محمد ﷺ ليبيّنه للناس بياناً نظريّاً وعمليّاً في الدعوة والدولة معاً ، فقد النبى الدعوة بنفسه وترأس الدولة بنفسه . وخلال مرحلتي الدعوة والدولة بين العقيدة بياناً كاملاً . فمحمد هو المرجع في بيان العقيدة لأنّه الأعلم بها والأفهم لأحكامها والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع وتطبيق أحكام العقيدة عليهم . فلا أحد في الدنيا ينوب عن محمد بهذه المهمة ، ولا أحد يغنى ويُسد مسده أثناء حياته المباركة ، وصاحب الإختصاص بانتداب محمد لهذه المهمة هو الله ، لأنّه لا أحد يعرف على وجه الجزم واليقين الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادتهم وتطبيق أحكام العقيدة عليهم ، إلا الله ، لذلك حصر بنفسه حق اختيار هذا المرجع والولي ، وطرحه أمام البشر وشهادته بأنه الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ، وحوله صلاحية بيان العقيدة للناس ، وصلاحية المرجعية والحكم بين الناس على ضوء أحكام هذا الدين . فإذا قبلت الأمة المرجعية التي قدمها الله وبأيته بالرضا ، يصبح المرجع والولي هو محمد . ولأن الدعوة مستمرة إلى يوم الدين ، والدولة المؤمنة تدعم دعوة الإيمان ، ولأن الغاية هداية البشرية كلها ، ولأن محمداً بشر يموت لا محالة ، ولأن الله وحده هو الذي يعلم على وجه الجزم واليقين من هو من أتباع محمد الأعلم والأفهم بالعقيدة ، والأفضل بين الأتباع في ذلك الزمان ، والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع ، فإنه أيضاً قد اختص بتقديم الولي والمرجع بعد وفاة محمد ، فإذا بايعت الأمة وقبلت بمن قدمه الله ولها ورجعاً لها فقد اهتدت ، وإذا لم تبايعه الأمة

حدثت عملية انفكاك بين الولاية وبين المرجعية ، فيكون الحاكم شخصاً والمرجع شخصاً آخر ، ومع الأيام يستحوذ الحاكم على الحكم والمرجعية .

فالحسين بن علي بن أبي طالب إمام بالنص ، وولي بالنص ، ومرجع بالنص والقدوة في زمانه بالنص . لكن الأمة رغبةً أو رهبةً بايعت يزيد بن معاوية ، فأصبح هو الحاكم ، وتم الفصل بين الولاية والمرجعية . لأن المرجعية تابعة للولاية فلن يهنا الحاكم قبل أن يجرد المرجع من اختصاصه ليجمع بيده الولاية والمرجعية ، ولا وسيلة لتجريد الحسين من مرجعيته إلا بقتله ، فقتله يزيد !

والخلاصة: أن المختص ببيان الإمام أو الولي والمرجع هو الله تعالى ، لأنه وحده يعلم من هو الأعلم والأفهم بأحكام العقيدة ، والأفضل والأنسب للقيادة وفق أحكام الإسلام ، وأنه تعالى قد اختار للأمة الإسلامية وليها ومرجعها قبل أن ينتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وأمر نبيه ﷺ بإعلان ذلك فأعلنه أمام مائة ألف مسلم في حجة الوداع ، وتكرر إعلانه لهذا الأمر الإلهي عشرات المرات ، ولكن الأمة بايعت غير هذا الولي والمرجع ، فحدثت عملية الإنفكاك بين الولاية أي الحكم وبين المرجعية ، ثم زحف الحكام وجروا الولي في كل زمان من المرجعية ، وجمعوا بأيديهم كحكام الولاية والمرجعية معاً بسند الغلبة .

جـ- من هو هذا الولي والمرجع الذي عينه الله؟ تقول الشيعة إنه الإمام علي بن أبي طالب ﷺ فقد اختاره الله ليختلف نبيه بالولاية والمرجعية ، وكلف الله نبيه بأن يعلن هذا الإختيار الإلهي فأعلنه النبي أمام مائة ألف مسلم في حجة الوداع ، كما أعلن الله تعالى إمامية الحسن من بعده ، وإمامية الحسين من بعد الحسن ، ورتب الأمور بحيث يعين كل واحد من الأئمة من سبقه بنصه عليه ، ووصلوا إلى اثنى عشر إماماً ، والإمام الثاني عشر هو المهدي ﷺ وهو الحاكم الشرعي في عصرنا

والحاكم العادل إنما هو نائب للإمام الشرعي حتى يظهره الله تعالى .

د- ما هو سبب عداء أهل السنة للشيعة؟ طالما أن أهل الشيعة على حق ، فلماذا عادهم أهل السنة ؟ لأن ما تقول به الشيعة يسحب البساط من تحت أقدام الحكم ويزيّل مبرر وجودهم ويخلق المبرر لأعداء الحكم بأن يحلوا محلهم ! ولأن الحكم يسيطرُون على موارد الدولة ويتصرفون بها كما يشاؤون ، وتحت إمرتهم جيوش تتناقضُ رواتبها منهم ، ولأنهم يسيطرون على وسائل الإعلام !

ولأن الشيعة كانوا حزب معارض طوال التاريخ ، لذلك نقم منهم الحكم وطاردوهم وصوروهم كأنهم شياطين وعصاة وخارجون على إجماع الأمة ، ولم يكن أمم الأكثريّة الساحقة من الأمة بديل سوى مجازاة الحكم ، ولأن الشيعة لم تتع لهم الفرصة لعرض وجهة نظرهم بحرية ، فقد قام الحكم بعرض وجهات نظر الشيعة بشكل محرف ومزور ، وتناقل أعداء الشيعة وجهة نظرهم نيابة عنهم بشكل ينفر الناس من الشيعة جيلاً بعد جيل . واستقرت مزاعم الحكم عن الشيعة كأنها حقيقة ، وأكثر الناس يعتبرونها حقيقة لكثره ما نقلت إليهم وتداولوها .

هـ- الدليل الشرعي على تعين الله للمرجعية: الأول: آية الولاية وهي الآية ٥٥

من سورة المائدَة: إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَذْنَانَ الصَّلَاةِ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ .

وقد نزلت هذه الآية في علي عليهما السلام حين تصدق بخاتمه وهو راكع في صلاته . وتفسيرها مفصل في تفسير الثعلبي على سبيل المثال ، وعندما رأى النبي ﷺ عليةما وهو يتصدق بخاتمه أثناء رکوعه في الصلاة ، دعا ربه بالدعاء الذي دعا فيه موسى ربه: « واجعل لي وزيراً من أهلي... أشدّ به أذري » قال أبو ذر: « فو الله ما

أتم الرسول ﷺ دعاءه حتى نزل عليه جبريل ومعه آية الولاية». <sup>(١)</sup> وبالفعل فقد نصب النبي ﷺ علياً مرجعاً وخليفة بعده في جمع ضم مائة ألف مسلم في غدير خم ، وذلك عندما نزل عليه جبريل بعد مضي خمس ساعات من النهار فقال: « يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك: يا أباها الرَّسُولُ بَلَغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَةَ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» وقد نزلت هذه الآية يوم الغدير<sup>(٢)</sup> . وبعد أن نصبه الرسول نزلت الآية: **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيْنًا**<sup>(٣)</sup> . وتقدم عمر بن الخطاب من على وقال

(١) نقل هذا الإجماع غير واحد كالإمام القوشجي في مبحث الإمامة من شرح التجريد . وراجع تفسير الإمام النيسابوري التعلي على الذي قال عنه ابن خلكان إنه أوحد زمانه في علم التفسير . وعلى سبيل المثال شواهد التزيل للحسكاني: ١٦١/١ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي ٣١١ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي ٢٢٨/٢٥٠ ، وذخائر العقبي لمحب الدين الطبرى الشافعى ٨٨/١٠٢ والمناقب للخوازمى الحنفى ١٨٧/١ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر الشافعى: ٤٠٩/٢ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ١٠٨/١ و١٢٣ والدر المثور للسيوطى: ٢٩٣/٢ وفتح القدير للشوكانى ج ٥٣/٢ ، والتسهيل لعلوم التزيل للكلبى ١٨١ والكتاف للزمخري: ٦٤٩/١ وتفسير الطبرى: ٢٨٨/٦ - ٢٨٩ ، وزاد المسير لابن الجوزى الحنفى: ٣٨٣/٢ وتفسير القرطبي: ٢١٦/٦ ، والتفسير المنير لمعالم التزيل: ٢١٠/١ وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٥١/٣ وأسباب التزول للواحدى ١٤٨ ، ولباب المنقول للسيوطى بهامش تفسير الجلالين ٢١٣ وتذكرة الخواص لبط الجوزى الحنفى ١٨/١ و٢٠٨ وتفسير الرازى: ٢٠/١٢ و٢٦ وتفسير ابن كثير: ٧١/٢ ... وهنالك ٣٦ مرجعاً لم تذكر .

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعى: ٨٦/٢ وفتح البيان في مقاصد القرآن: ٦٣/٣ وشواهد التزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت للحاكم الحسكونى: ١٨٧/١ وأسباب التزول للواحدى ١١٥ والدر المثور للسيوطى الشافعى: ٢٩٨/٢ وفتح القدير للشوكانى: ٦٠/٢ وتفسير الفخر الرازى الشافعى: ٥٠/١٢ ومطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى: ٤٤/١ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكى ٢٥ وبيانع المودة ١٢٠ والمملل والنحل للشهرستاني الشافعى: ١٦٣/١ وفرائد السقطين للحموينى: ١٥٨/١ ، وعدمة القاري: ٥٨/٨ وروح المعانى للألوسى: ٣٤٨/٢ والمنار لمحمد عبد: ٤٦٣/٦ ... إلخ .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام علي: ٧٥/٢ والمناقب لابن المغازلى الشافعى ١٩ وشواهد التزيل للحسكاني الحنفى: ١٥٧/١ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى: ٢٩٠/٨ والدر المثور للسيوطى الشافعى: ٢٥٩/٢

له مداعبًا: «بغ بغ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم»<sup>(١)</sup>  
وصار يوم الغدير عيداً لل المسلمين من يومها.<sup>(٢)</sup>

وقد بلغ حديث الغدير مرتبة التواتر عن طريق علماء أهل السنة، وألفت فيه المؤلفات، منها كتاب الولاية لابن حجر الطبرى، وكتاب الولاية لأبي العباس بن أحمد بن عقدة المتوفى ٣٣٣هـ، وكتاب من روى حديث غدير خم لأبي بكر الجصabi المتوفى ٣٥٥هـ. والدارقطنى المتوفى ٣٨٥هـ له جزء في طريق حديث الغدير، وكتاب الدرایة في حديث الولاية لأبي سعد السجستاني المتوفى ٤٧٧هـ، وكتاب دعاء الهدأة إلى أداء حق المروأة لأبي القاسم عبید الله الحنفي المتوفى ٤٩٠هـ. وقد روى حديث الغدير من الصحابة ١١٦ صحابيًّا ورواه ٨٤ من التابعين، ورواه كل علماء أهل السنة، وأخرجوه في كتبهم على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم من القرن الثاني الهجري حتى القرن الرابع عشر، وذكر منهم الأميني ٣٦٠ عالماً في كتابه الغدير.

و- نموذج من إعلان يوم الغدير: قال الطبراني في المعجم الكبير إن حذيفة بن أسد الغفارى الصحايبى الجليل قال: «لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع انتهى بأصحابه إلى شجيرات بالبطحاء متقاربات فأمرهم أن ينزلوا ثم بعث إليها

والإقان للسيوطى الشافعى: ٣١/١ والمناقب للخوارزمي الحنفى: ٤٧/١ وبنایع المودة للقندوزي الحنفى: ١١٥ وفرائد السبطين للحموينى: ٧٢/١ و٧٤ و٢٥ تاريخ اليعقوبى: ٥٥/٦ ووروح المعانى: ٥٥/٦، والنهاية لابن كثير: ٢١٣/٥ ...

(١) راجع تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي لابن عساكر الشافعى: ٧٥/٢ ح ٥٧٥ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلى ١٨٧ والمناقب للخوارزمي ٩٤، وتاريخ بغداد: ٢٩٠/٨ و شواهد التزيل: ١٥٨/١ ح ٢١٣، وسر العالمين لأبي حامد الغزالى ٢١، وإحقاق الحق: ٢٥٦/٦ والغدير للأميني: ١٣٢/١ و فرائد السبطين: ١/١ ... إلخ.

(٢) وقد نقله العلامة الأميني في كتاب الغدير: ٢٦٧/١ عن الآثار الباقية للبیرونی ٣٣٤. وراجع مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى: ٤٤/١ و وفیات الأعیان لابن خلکان: ٦٠/١ و ٢٢٣/٢ في ترجمة المستنصر العبدى.

فَقُلْمَ ما تحتهن من الشوك وعمد إليهن فصلى تحتهن ، ثم قام فقال: يا أيها الناس إني قد أنبأني اللطيف الخير أنه لم يعمرنبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله ، وإنني لأظن أنني يوشك أن أدعى فأجيب ، وإنني مسؤول وإنكم مسؤولون ، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت ، فجزاك الله خيراً . فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق وناره حق ، وأن الموت حق ، وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا بلى نشهد بذلك قال: اللهم اشهد . ثم قال: أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا يعني علياً رضي الله عنه مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . <sup>(١)</sup> ثم قال: أيها الناس إني فرطكم وإنكم واردون علي الحوض ، حوض أعرض ما بين بصرى وصنائع ، فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، وإني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين ، فانتظروا كيف تختلفون فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه يبد الله وطرفه بأيديكم ، فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي ، فإنه قد نبأني اللطيف الخير أنهما لا ينقضيان ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض» <sup>(٢)</sup>

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥٤٨ ح ٥٠/٢ و ٥٥٠ والمناقب للخوارزمي الحنفي ٩٤ و مسند الإمام أحمد بن حنبل ٢٨١/٤ والفصل المهمة لابن الصباغ المالكي ٢٤ والحاوي للفتاوى للسيوطى ١٢٢/١ و ذخائر العقى للطبرى ٦٧ وفضائل الخمسة ٣٥٠/١ وتاريخ الإسلام للذهبي ١٩٧/٢ وعلم الكتاب لخواجه الحنفي ١٦٦١ ونظم درر السلطين للزرندى الحنفى ١٠٩ ، وينابيع المودة للقندوزي الحنفى ٣٠١ و ٣١ و ٢٤٩ و تفسير الفخر الرازى الشافعى ٦٣/٣ وتذكرة الخواص لسبط الجوزي ٢٩ و مشكاة المصايب ٢٤٦/٣ وعقبات الأنوار ٢٨٥/١ وفرائد السلطين للحموينى ٧٧/١ والمراجعات تحقيق حسين راضى ١٧٧/٢ .

(٢) أخرجه الطرани في المعجم الكبير ، راجع الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي الشافعى ٢٥ وقد صحح الحديث وراجع مجمع الروايد للهيثمي الشافعى ١٦٤/٦ وترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق الشافعى ٤٥/٢ وراجع كنز العمال ١٦٨/١ والغدير للأبنى ٢٦/١ وعقبات الأنوار ٣١٣٢/١٢ و ١٥٦/١ ونادر الأصول للحكيم الترمذى الشافعى ٢٨٩ ، وينابيع المودة للقندوزي الحنفى ٣٧ .

ز- التأكيد الشرعي على ولاته على: قال النبي ﷺ: «أنت ولبي في الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup> «أنت ولبي كل مؤمن بعدي». وقال: «من كنت ولية فإن علياً ولية»، وقال: «إن لعلي أكثر من الجارية التي أخذ إني ولهم بعدي». وقال مرتاً: «إنك ولبي كل مؤمن بعدي» . وقال: «من كنت مولاه فهذا على مولاه» وقال: «من كنت ولية فهو ولية» . وقال: «من كنت مولاه فهذا على مولاه» وقال: «إنك ولبي المؤمنين بعدي»<sup>(٢)</sup> وقال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي» . وهذا الحديث من أصح الآثار ، وقد رواه أصحاب السنن<sup>(٣)</sup>.

(١) وقد صرخ الذهبي بصحته في تلخيص المستدرك ٢٦ ، وابن حجر في الصواعق باب ١٦/١٢ وأخرجه مسلم في فضائل علي ٢٤:٢ من صحيحه ، والحاكم ١٠٩:٣ من مستدركه ، وابن حجر في باب ١٠٧/١١ من صواعقه وقال أخرجه الإمام أحمد وصححه ، وأخرجه صاحب الجمع بين الصحيحين في فضائل علي ، وفي غزوة تبوك في صحيح بخاري: ٥٨/٢ و صحيح مسلم: ٣٢٣/٢ و ٢٨:١ و ١٠٩:٢ من مسند الإمام أحمد و ١٧٢ و ١٧٥ و ٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ١٨٥ و ١:١ من المسند و ٣٣١ و ٣٣٩ و ٢٦٩ و ٤٣٨:٦ و ٢٦٩ من المسند و ٣٢٣ من المسند والصواعق المحرقة باب ١٠٧/١١ وفصل ٢ باب ٧٢/٩ . والسيوطى في تاريخ الخلفاء وذكر أن الطبراني أخرجه والبزار في مسنه وراجع ٦٥ من تاريخ الخلفاء ، وأخرجه الترمذى كما يدل الحديث ٢٥٠٤ ، وراجع ١٥٢/٦ من الكتز ، وأورده ابن عبد البر في أحوال علي من الاستيعاب.

(٢) الثاني في خصائص علي عليهما السلام وأحمد بن حنبل في مسنه ٤٣٨:٤ والحاكم في مستدركه ١١١:٣ والذهبى في تلخيص المستدرك . وراجع المراجعات ١٦٣ - ١٦٤ وكتابنا النظام السياسى فى الإسلام الباب الأول.

(٣) نذكر على سبيل المثال: البخارى: ١٢٩/٥ و مسلم: ٣٦٠/٢ و مسند أحمد: ٥٠٣ بمسند صحيح و ٥٦:٥ و ٥٧ و ٦٦ و سenn ابن ماجة: ٤٢:١ و ٢٠٨:٤ من صحيح بخاري و ١٠٩:٣ من المستدرك للحاكم و ١٠٤:٣ من تاريخ الطبرى و ١ من تاريخ ابن عساكر حدث ٣٠ و ١٢٥ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و رواه بأكثر من مائة روایة ، وأنساب الأشراف للبلادى: ١٠٦:٢ والإصابة لابن حجر: ٥٠٧/٢ و ٥٠٩ ، والإستيعاب بهامش الإصابة: ٣٤:٣ و ٣٥ و خصائص علي عليهما السلام للنسائى ٧٧ و ٧٨ ، ومناقب علي عليهما السلام المغازلى ، وحلية الأولياء: ١٩٤٧ ، والمناقب للخوارزمى ٦٠/١ ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ١٦٧ ، وينابيع المودة للقندوزى ٣٥/١ ، وأسد الغابة: ٨/٢ ، ونظم درر السعطين للزرندى ٩٥ ، وكفاية الطالب للكنجى ٢٨١ ، وشرح النهج لابن أبي الحميد: ٤٩٥/٢ ، والممعجم الصغير للطبرانى: ٢٢/٢ و ٥٤ ، ومجمع الزوائد: ١٠٩/٩ ، وكتنز العمال: ١٣٩/١٥ ، والعقد الفريد لابن عبد ربه: ٣١١/٤ ، وجامع الأخوة لابن الأثير: ٤٦٨/٩ ، ومشكاة المصايح: ٢٤٢/٣ ، والجامع الصغير للسيوطى: ٥٦/٢ .... إلخ .

## **الباب الرابع: القيادة والسياسة**



## الفصل الأول

### ضوابط حركة المجتمع

#### ١ - ضوابط حركة المجتمع

تسير حركة أي مجتمع سياسي ومنها المجتمع الإسلامي ، وفق ضابطين:

الأول: العقيدة أو المنظومة الحقوقية الإلهية ، وهي القانون النافذ في المجتمع وهي مخطوطات عامة وتفصيلية لحركة المجتمع الإسلامي في كل مجالات الحياة بالحال والمال ، وإن شئت فقل إنها الصيدلية الكبرى التي تحوي العلاج الشافي من كل داء أصاب المجتمع الإسلامي أو سيصيبه . وهي معدة ومصاغة لتغطي حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة والعالم كله ، وتنظيم علاقات المجتمع وقيادته إلى التعاون والإنسجام وتحقيق حاجاته المادية والروحية.

والضابط الثاني: القيادة السياسية المنبثقة عن هذه العقيدة ، فهي الجهة المخولة بإبقاء حركة المجتمع الإسلامي دائماً وفق أحكام هذه المنظومة الحقوقية . وهو بمثابة المهندس الذي استوعب المخطوطات العامة والتفصيلية للعقيدة الإلهية ، وبمثابة الطبيب والصيدلاني الذي يشخص المرض ويصف العلاج ويقدمه لك ، ويتبعك وأنت تتناوله حتى يتم الشفاء .

وهو المنظر للمنظومة الحقوقية الإلهية والمشرف العام على تطبيقها ، والمرجع

لفهم أحکامها ومراميها ، لأنَّه الأعلم بها والأفهم لقواعدها وغاياتها ، والأفضل من بين أتباعها والأنسب من بين كلِّ الموجودين لقيادة اتباع هذه العقيدة .

وهو المبين لها بتبلیغها بالضبط كما تلقاها من ربِّه وترجمتها من النص إلى الحركة . وهو المبشر للمخلصين للعقيدة ، والمنذر للمعاندين لها ، والداعية إلى الله والسراج المنير الذي ينير درب المجتمع في مسيرته .

## ٢- الترابط والتكميل بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية

العقيدة الإلهية قائمة على ركينين أساسين ، أولهما كتاب الله المنزل ، وثانيهما نبي الله المرسل ، فمحمد ﷺ هو القيادة السياسية المخولة بقيادة الدعوة والدولة والإيمان بقيادته السياسية وولايته جزء من الإيمان بالعقيدة الإلهية وأصل من أصولها وكذا الإيمان بقيادة طالوت السياسية كان جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الإلهية النافذة آنذاك ، وكذلك الإيمان بقيادة داود ، وسليمان عليهما السلام .

ويؤكّد هذا الترابط العضوي والتكميل المحتوم أنَّ الله سبحانه وتعالى طوال التاريخ البشري لم يرسل رسالة إلى بني البشر بدون رسول ، ولم ينزل كتاباً إلا على عبد ، ليبيان للمؤمنين أحکامه ويقودهم وفقها . ولو كان مجدياً فك الترابط بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية ، أو بين الكتاب والعبد ، لأرسل الله نسخاً من كل الكتب السماوية إلى كل إنسان بالغ ، وكلفه بفهمها والعمل بها ، ولما كانت هنالك حاجة لإرسال عشرات الآلاف من الأنبياء والرسل والمهديين .

فالقيادة السياسية بمثابة الهيئة التأسيسية ، فهي المختصة ببيان العقيدة وقيادة الأتباع وعمليات البيان والقيادة عمليات فنية تماماً كالطلب أو علم الذرة أو علم الهندسة ، ومن المستحيل أن ترك لأهواننا واجتهداتنا .

### ٣- مؤهلات القيادة السياسية الإسلامية الشرعية

أول ولی وقائد سياسي للأمة الإسلامية هو محمد ﷺ ، فهو القدوة وهو المثال الذي يقاس عليه ، والذين تولوا الولاية والقيادة والمرجعية من بعده تولوها بوصفهم خلفاء للنبي . فالمؤهلات العلمية للنبي كولي وكقائد سياسي وكمرجع للأمة هي أنه أعلم أهل زمانه بالعقيدة الإلهية ، وأفهم أهل زمانه بأحكامها ، وأفضل الموجودين من أتباعها ، وأنسبهم لقيادة ولايتها ومرجعيتها . وأي قيادة وولاية ومرجعية تأتي من بعده يجب أن تكون لها نفس المؤهلات ، فالولي القائد المرجع بعده يجب بالضرورة أن يكون: ١ - الأعلم بالعقيدة . ٢ - الأفهم بأحكامها . ٣ - أفضل الموجودين من أتباعها . ٤ - أنسب هؤلاء الأتباع لقيادة الأمة . وهذه معايير موضوعية لكل من أراد الحق وجانب الهوى . فمن مصلحة كل المؤمنين أن يقودهم صاحب هذه الصفات ولا مصلحة لأحد منهم أن يتولى من لم تكن هذه صفاته .

ولا يوجد في الدنيا فرد أو جماعة أو أمة ، تستطيع أن تؤكد لنا على وجه الجزم واليقين أن هذا أو ذاك فيه هذه الصفات ، لأن إمكانياتهم وطاقاتهم العقلية والفطرية والعلمية لا تمكّنهم من ذلك ، فهم لا يعرفون إلا الظاهر وأما البواطن فهم يجهلونها ، وإذا اجتهدوا وحاولوا أن يبحثوا عن الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ، فالنتائج التي يتوصّلون إليها تقوم على الفرض والتخيّل ، والمطلب الحقيقي للجميع ليس الفرض والتخيّل ، إنما الجزم واليقين.

إذاً ، المختص بإعطاء المعلومات اليقينية القائمة على الجزم واليقين هو الله جل وعلا ، فهو نفسه الذي قدم لنا محمداً وأكّد لنا أنه الأعلم والأفهم والأفضل

والأُنْسَبُ وَهُوَ صَاحِبُ الْعِيْدَةِ وَالْأَحْرَصُ عَلَى مَصْلِحَتِهَا ، وَالْمَعْنَى تَامًا بِأَنْ يَقُولُ لَنَا مِنْ تَوْفِيرِ فِيهِ هَذِهِ الصَّفَاتِ فِي كُلِّ زَمْنٍ بَعْدَ وَفَاتَ النَّبِيِّ وَهَنْتَ قَوْمٌ السَّاعَةِ . وَمِنْذِ الْيَوْمِ الَّذِي شَرَعَ فِيهِ مُحَمَّدٌ صلوات الله عليه بِالدُّعَوَةِ شَرَعَ بِأَمْرِ رَبِّهِ بِإِعْدَادِ هَذَا الَّذِي سَيَتَولِي الْوَلَايَةُ وَالْقِيَادَةُ وَالْمَرْجِعِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَبَيْنَ الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَتَمُّ بِهَا عَمَلِيَّةُ اسْتِكْشافِ مَنْ كَانَتْ هَذِهِ صَفَاتُهُ .

#### ٤- القبول بالتكيف الإلهي

إِذَا قَبَلَتِ الْأُمَّةُ بِالْتَّكِيْفِ الإِلَهِيِّ ، وَوَافَقَتْ عَلَى أَنْ فَلَانًا هُوَ الْأَعْلَمُ وَالْأَفْضَلُ وَالْأَفْهَمُ وَالْأَنْسَبُ ، فَإِنَّهَا تَعْبُرُ عَنْ قَبُولِهَا بِالْمَبَايِعَةِ فَتَتَفَقَّدُ إِرَادَتِهَا مَعَ إِرَادَةِ اللَّهِ ، وَغَایَتِهَا مَعَ غَايَةِ اللَّهِ ، فَيَكُونُ فَلَانُ هَذَا مَعِينًا مِنَ اللَّهِ وَمَقْبُولًا مِنَ الْأُمَّةِ ، فَيَسْتَمدُ شَرْعَيْهِ وَجُودَهُ كُولِيًّا وَكَفَائِدَ مِنْ مُصْدَرَيْنِ: الْأُولُّ اللَّهُ الَّذِي كَيْفَ صَفَاتَهُ وَعَيْنَهُ عَلَى أَسَاسِهَا ، وَالْمَصْدَرُ الثَّانِي: الْأُمَّةُ الَّتِي قَبَلَتْ بِالْتَّكِيْفِ الإِلَهِيِّ فَبَايَعَتْهُ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ وَقَبَلَتْ بِهِ وَلِيًّا وَقَائِدًا وَمَرْجِعًا . وَبِهَذِهِ الْحَالَةِ تَسْتَقِيمُ أَمْوَارُ الْأُمَّةِ وَعَقِيدَتُهَا وَقِيَادَتُهَا السِّيَاسِيَّةِ ، وَيَقْطُفُ الْجَمِيعُ أَحْلَى الثَّمَرَاتِ وَأَطْبَيْهَا وَتَشَقُّ الدُّعَوَةُ وَالْوَلَايَةُ طَرِيقَهُمَا إِلَى اللَّهِ بِيْسِرٍ وَرَخَاءٍ وَرِيحِ مَوَاتِيَّةٍ وَيَتَفَيَّأُ الْجَمِيعُ فِي ظَلَالِ النِّعْمَةِ الإِلَهِيَّةِ .

#### ٥- رفض التكيف الإلهي

إِذَا لَمْ تَقْبُلِ الْأُمَّةُ التَّكِيْفَ الإِلَهِيَّ بِأَنْ فَلَانًا هُوَ الْأَعْلَمُ وَالْأَفْهَمُ وَالْأَفْضَلُ وَالْأَنْسَبُ لِقِيَادَتِهَا ، وَاجْتَهَدَتْ أَوْ هَكَذَا خَيَلَ إِلَيْهَا بِأَنْ فَلَانًا هُوَ الْأَنْسَبُ لِخَلَافَةِ النَّبِيِّ مِنْ فَلَانَ ، فَمَعْنَى ذَلِكَ رَفْضُ التَّكِيْفِ الإِلَهِيِّ الْقَائِمِ عَلَى الْجُزْمِ وَالْيَقِينِ وَاسْتِبْدَالُهُ بِتَكْيِيفٍ بَشَرِيٍّ قَائِمٍ عَلَى الْفَرْضِ وَالْتَّخَمِينِ . وَهَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ ( الرَّفْضُ

والاستبدال ) لا تغير من الحقيقة شيئاً . وبما أن الولاية والقيادة والمرجعية اختصاص ، وحيث أن الشخص البديل غير مؤهل لهذا الإختصاص ، فتحدث تبعاً لذلك انهيارات متلاحقة تتوالى حتى تعصف بالأمة وتفرقها بعد وحدة وتذلها بعد عزة ، وتخرج رويداً رويداً من دائرة المنظومة الحقوقية الإلهية إلى دائرة العقل أو دائرة الفرض ، أو دائرة الشهوة ، أو مزيج من هذه الدوائر مجتمعة ، وتتوقف العقيدة عن العطاء ويحل غضب الله بالأمة ، ولا يزول إلا بإعادة الأمور إلى نصابها ، ووضع القيادة التي كيفها الله وعينها .

ومن الطبيعي أن الله لا يكره المريض على تناول العلاج ، ولا يجرّ الضال على سلوك طريق الهدى ، إنما يقدم العلاج ويرغب به المريض ، ويبين طريق الهدى للضال ويشجعه على السير فيه ، فإذا رفض المريض مع سبق الإصرار فهو المفرط بحق نفسه ، وإذا رفض الضال طريق الهدى فجنايته على نفسه ، وعلى الذين ساروا خلفه . وهذه حال الذين رفضوا العقائد الإلهية ، أو كانوا على استعداد للنظر في العقائد الإلهية لكنهم غير مستعدين لموالة الرسل !

### أشكال رفض التكليف الإلهي

١ - الشكل الأول: رفض العقيدة الإلهية كقانون نافذ للأمة ، ورفض موالة الذي عينه الله ، وهذا الرفض يدخل صاحبه الكفر من أوسع الأبواب ، والعياذ بالله.

٢- الشكل الثاني: القبول بالعقيدة الإلهية وعدم القبول بولاية القيادة السياسية كإيمانبني إسرائيل بنبيهم ، ورفضهم موالة طالوت لأنه ليس الأحق بالقيادة حسب رأيهم ، فبين الله سبحانه وتعالى لهم أنه زاده بسطة في العلم والجسم

وَدُعْمِهِ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَبَلُوهُ مُكْرَهِينَ ، وَانْتَهَى الرَّفْضُ إِلَى الْقَبُولِ .

٣- الشكل الثالث: الإيمان بالعقيدة الإلهية وعدم القبول بولاية القيادة السياسية بتأويل مفاده أن الله لم يعين هذه القيادة إنما عينها النبي ﷺ حسب إجتهاده كبشر ، وأنه لا يخرج من مخالفة هذا الإجتهاد ، لأن الذي اختاره النبي من بنى هاشم ، وقد أعطى الله الهاشميّن النبوة ، فالأفضل لمصلحة الجميع أن يهنا الهاشميون بالنبوة وأن يتولى الخلافة غيرهم ! أضعف إلى ذلك أن الذي اختاره النبي فيه دعاية ، وعنه زهو بنفسه وما زال فتى ، وهنالك من هو أسن منه وهم مشيخة قريش .

لهذه الأسباب آمنوا بالعقيدة الإلهية ورفضوا موالة الرجل الذي كيفه الله وعيته الرسول خليفة من بعده . وهذا ما حدث لعلي بن أبي طالب .

○ ○

## الفصل الثاني

### القيادة السياسية

#### ١ - الإعداد الإلهي لخلافة النبي قبل أن يلد آدم

شاء الله تعالى أن يكون النبي العربي خاتم الأنبياء عليه السلام، وأن يكون دين الإسلام آخر الديانات السماوية ، وأن يتولى هذا النبي بيان هذا الدين عبر دعوة يقودها بنفسه تتمخض عن دولة الإيمان التي ترأسها بنفسه عليه السلام .

ومن خلال مرحلتي الدعوة والدولة تمَّ بيان الإسلام نظرياً ، وتحول النظر إلى التطبيق واتضحت أدق خفاياه وأبرز معالمه ، وقد كان البيان المحمدي تصويراً فنياً بطيئاً مصحوباً بالصورة والصوت والحركة . وقد قضت مشيئة الله أن ينطلق النبي والى جانبه خليفة وأن يكونا معاً، ثم يختار النبي عليه السلام ما عند الله ويسلم الراية لولي عهده وخليفته ، فينطلق على نفس البصيرة ، ويتبع نفس الطريق .

تلك هي الصورة الزاهية التي رسمتها العناية الإلهية وعرضتها على شاشة أذهان الذين آمنوا ، وتمنت عليهم لو عملوا على تفيذها طوعاً وبدون إكراه ، لأن الصلة بين النبي وولي عهده تصلح أن تكون مناراً لنمط الأخوة الإيمانية ، وأسلوب تبعية الخط الإيماني . يقول النبي عليه السلام كما روى الإمام ابن حبّيل: «كنت أنا وعلى نوراً بين يدي الله عزّ وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما

خلق آدم قسم ذلك فيه وجعله جزئين فجزء أنا وجزء عليٰ<sup>(١)</sup> فالله تعالى هو الذي خلق النورين وسيَرِهما معاً ثم وزع الأدوار بينهما . والله تعالى هو الذي أطْلَع إلى أهل الأرض فاختار منها رجلين أحدهما النبي ﷺ والآخر الولي .<sup>(٢)</sup>

### قبيل الدعوة

مات والد النبي ﷺ وهو في بطن أمه ، فكفله جده عبد المطلب ، ثم مات جد النبي فكفله عمّه أبو طالب ، فأبو طالب عم النبي الشقيق ووالد الخليفة والولي من بعده . ويُشَبِّه النبي ويترعرع ويتزوج أمراً فاضلة ميسورة الحال وهي خديجة بنت خويلد ، ويكون لنفسه بيتاً ويستقل ، فـأَلْهَمَ الله أن يأخذ أحد أطفال عمّه ليربيه وشاءت العناية الإلهية أن يكون هذا الطفل هو عليٰ وال الخليفة والولي فيما بعد ، ونما الصبي ، وترعرع في كنف ابن عمّه ولم يفارقه حتى اختص الله محمدًا بالنبوة ثم لازمه حتى انتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه .

### ٢ - بعد النبوة

تَبَيَّنَ النبي ﷺ يوم الإثنين وأسلم عليٰ يوم الثلاثاء ، وتَابَعَ الفتى التصاقه بالنبيٰ ولم يفارقه قط ، كانا في مكة معاً وفي المدينة ، وسكنَا في بيت واحد طوال حياة النبي . فكان محمد ﷺ هو الذي جاء بالصدق وعليٰ هو الذي صدق به ، فنزل

(١) رواه أحمد في مسنده وفي فضائل عليٰ ، وصاحب الفردوس وزاد فيه: ( ثم انتقلت حتى صرت في عبد المطلب فكان لي النبوة ولعلي الوصية ) وراجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحميد: ٢٥٢/٣ وما فوق .

(٢) راجع على سبيل المثال: المستدرك للحاكم: ١٢٩/٣ ، وترجمة عليٰ من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٤٩/١ و تاريخ بغداد: ١٩٥/٤ وكنز العمال: ٣٩١/٦ و ٩٥/١٥ وكفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٢٩٧... إلخ .

فيهما قوله تعالى: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ».<sup>(١)</sup>  
 فما جادل النبي ولا عانده ، إنما كان الصديق لكل أقواله طوال حياته . كان  
 فارسه الأول في كل حروبها ، ومن هنا سمي الصديق الأكبر بالنص الشرعي  
 والفاروق الأعظم بالنص الشرعي<sup>(٢)</sup> .

قال عليه الله يصف علاقته بالنبي ﷺ في تلك الفترة: «وضعني في حجره وأنا ولد،  
 يضمني إلى صدره ، ويكتفني فراشه ، ويسمني جسده ، ويشمني عرقه ، وكان  
 يمضغ الشئ ثم يلقمنيه... وما وجد لي كذبة في قول أو خطلة في فعل ، وكانت أتبعه  
 اتباع الفضيل إثر أمره ، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علمًا ، ويأمرني بالإقتداء به ،  
 وكانت في حراء فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد يومنذا في الإسلام غير  
 رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة».<sup>(٣)</sup>  
 وسئل قثم بن العباس: «كيف ورث علي رسول الله دونكم؟ فقال: كان أولنا  
 لحوقاً به وأشدنا به لصوقاً».<sup>(٤)</sup>

(١) شواهد التزيل للحسكاني: ١٢٠/٢ ومناقب علي لابن المغازلي ٣٦٩ وكفاية الطالب للكنجي الشافعى/ ٢٣٣  
 والدر المثور: ٣٢٨/٥ وتفسير القرطبي: ٢٥٦/١٥ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ٤١٨/٢.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ٧٧/١ ومجمع الزوائد: ١٠٢/٩ وكفاية الطالب ١٨٧  
 والإصابة: ١٧١/٤ والاستيعاب بهامش الإصابة: ١٧٠/٤ والغاية: ٢٨٧/٥ وميزان الاعتدال: ٤١٧/٢ وفرائد السمعطين:  
 ٣٩/١ وذخائر العقى للطبرى ٥٦٧ والغدير للأمينى: ٣١٣/٢ ومنتخب الكتز بهامش مسند الإمام أحمد: ٥/٣٣  
 والسيره الحلبية: ١/٣٨٠ وشرح النهج لابن أبي الحميد: ٣٦١/٣ .

(٣) راجع التصوف والتشيع لهاشم معروف الحنفي ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام/ ٧٥-٧٦ .

(٤) أخرجه الصياغ المقدسي في المختار وابن جرير في تهذيب الآثار ح ٦١٥٥ من أحاديث الكتز: ٤٠٨٦ ،  
 وأخرجه النسائي في ١٨٧ من الخصائص ، وابن أبي الحميد: ٢٥٥/٣ ، وراجع: ١٥٩/١ من مسند الإمام أحمد .

### ٣- إعلان الخلافة بعد النبوة

لما نزلت آية: «وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبَينَ» قال النبي ﷺ في اجتماعه ببني هاشم: «يا بني عبد المطلب ، إنني والله ما أعلم شاباً في العرب قد جاء قومه بأفضل مما جنتكم به . إنني قد جنتكم بخير الدنيا والأخرة ، وقد أمرني ربِّي أن أدعوكم ، فأياكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي خليفتني فيكم بعدِي ؟ قال علي: فأحجم القوم منها جميعاً وقلت وإنِي لأحدثهم سناً: أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتني فيكم فاسمعوا له وأطعوا... إلخ.»<sup>(١)</sup>

هذا نص شرعى بأن علياً بن أبي طالب قد عينه الرسول ﷺ وصيًّا وخليفة من أول بعثته ، والسنة النبوية القول والفعل والتقرير جزء من العقيدة الإلهية ، ولم يرد ما يشير إلى نسخ هذا النص . وهو حديث صحيح ، صححه ابن جرير وأبو جعفر الإسكافي إذ أرسلا صحته إرسال المسلمين كما يقول الإمام العاملي في مراجعاته ، وهو واضح المعاني ولا يمكن تأويله . فكيف تؤول الواضحات ؟!  
ومن الطبيعي أن النبي لم يقل ما قاله في اجتماع بني عبد المطلب (الأقربين) من تلقاء نفسه ، إنما كان بأمر من ربه ، لأن النبي يتبع ما يوحى إليه ، ومن غير المعقول أن يعين النبي ولِي عهده وال الخليفة من بعده بدون أمر ربه !

(١) تاريخ الطبرى: ٢١٧/٢ . تفسير الطبرى: ٧٥/١٩ . لباب التأويل للبغدادى الشهير بالخازن: ١٢٧/٥ . تفسير البغوى الفراتى: ١٢٧/٥ . على هامش تفسير الخازن . تفسير ابن كثير: ٧٧٤/٣ . سيرة ابن كثير: ٤٥٨/١ عن اليهقى في الدلائل . الكامل لابن الأثير: ٦٢/٢ و ٦٣ . شرح النهج لابن أبي الحديد: ٢١٠/١٣ و ٢٤٤ . السيرة الحلبية: ٣١١/١ . ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ١٢٥/١ . وأخرج بهدا المعنى الطحاوى والقباء المقدسى في المختار وسعيد بن منصور في السن وأحمد بن حنبل في مسنده والحاكم في مستدركه من خصائص النساني والذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته .

## ٤- الإعلان عن ولادة العهد والتوطيد للولي

١ - المنزلة: قال النبي لعلي على مسمع من المسلمين: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»<sup>(١)</sup> ففي هذا النص أعطى النبي لعلي كافة المنازل التي كانت لهارون ولم يستثن إلا النبوة ، واستثناء النبوة دليل على العموم كما يقول الإمام العاملي ومن أبرز المنازل التي كانت لهارون من موسى: وزارته وشد أزره ، وإشراكه في أمره ، وخلافته عنه ، وفرض طاعته على أمته ، بدليل قوله تعالى: «وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي . وَأَشْرِكْ فِي أُمْرِي . وَقُولَهُ تَعَالَى: «وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي» . وَقُولَهُ تَعَالَى مخاطبًا موسى: «فَدُّ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى» فعلي بحكم هذا النص خليفة النبي وولي عهده . وحديث المنزلة من أصح الآثار وقد بلغ من التواتر والشيوخ أن رواه حتى معاوية إمام الفئة الباغية ! وقد كرر النبي الإعلان عن هذه المنزلة عشرات المرات .

٢ - الأخوة: وحتى يحكم الشريعة الحلقة أخي الله بين النبي وبين علي وهذا شرف لم ينله غير علي ، ومرتبة لم يحصل عليها سواه ، وأعلن النبي هذه المؤاخاة<sup>(٢)</sup> قبل الهجرة وبعد الهجرة وقد أكد النبي هذه الأخوة عشرات المرات

(١) راجع على سبيل المثال صحيح بخاري: ١٢٩/٥ ومسلم: ٣٦٠/٢ والترمذى: ٣٠٤/٥ وصححه ومستند الإمام أحمد: ٥٠/٣ والمستدرک للحاکم: ١٠٩/٣ وتاريخ الطبری: ١٠٤/٣ وتاريخ دمشق: ٣٠/١.

(٢) تذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي: ٢٣ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٠٧/١ وكتز العمال: ٢٩٠/٦ والمناقب للخوارزمي: ٧ والقصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢١ والمستدرک للحاکم: ١٠٩/٣ وصحح الترمذى: ٣٠٠/٥ وأسد الغابة لابن الأثير: ٢٢١/٢ و: ١٣٧/٣ والإستيعاب بهامش الإصابة: ٣٥/٣ وطبقات ابن سعد: ٢٢٠/٣ ... إلخ فالذى يعرفه الجميع أن الرسول وعلى إخوة ، وأن أبا بكر وعمر إخوة .

في عشرات المناسبات حتى لا ينساها المسلمون<sup>(١)</sup> مثل قوله ﷺ: بشاره أنتي من ربى في أخي وابن عمي وابتي ، بأن الله زوج علياً فاطمة<sup>(٢)</sup> ولما زفت فاطمة إلى علي قال الرسول ﷺ: «يا أم أيمن أدعى لي أخي ، فقالت: هو أخوك وتُنكحه ؟ قال: نعم .<sup>(٣)</sup> وانظر إلى قوله ﷺ لعلي: «أنت أخي وصاحبِي ورفيقِي في الجنة» .<sup>(٤)</sup>

ومثل قوله لعلي: «وأما أنت يا علي فأخي ، وأبو ولدي ومني وإلي»<sup>(٥)</sup> وظل النبي يردد ويعلن هذه الأخوة طوال حياته ، ولما حضرته الوفاة قال: «أدعوا لي أخي»<sup>(٦)</sup> فدعوا علياً فقال له: أدن مني فدنا منه وأسنده إليه ، فلم يزل يكلمه حتى فاضت نفسه الزكية<sup>(٧)</sup> . من هنا فقد كان يقول: «أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب»<sup>(٨)</sup> ومن الأمور التي كان يعرفها العامة والخاصة أن علياً كان أخ النبي ، وأن أبو بكر كان أخ عمر ، وقد أوصى أبو بكر بالخلافة لأخيه عمر من بعد ، ونفذت وصيته .

### ٣ - الولاية: أعلن النبي لل المسلمين أن الولي بعده هو علي حيث قال له: «أنت

(١) ذكره أصحاب السنن في مسانيدهم وذكر الفخر الرازي في تفسيره: ١٨٩/٢ ، إذ جاء بالحديث القدسي: (أني آخيت بينه وبين محمد...) في حديث المبيت على الفراش .

(٢) المناقب للخوارزمي ٢٤٦ / مقتل الحسين للخوارزمي: ٦٠/١ وآسف الغابة: ٢٠٦/١ والصراع على المحرقة ١٧١ .

(٣) راجع خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ١١٥ وذخائر العقبي للطبراني ...

(٤) ذكره ابن عساكر في تاريخه: ١٢٢/١ ومنتخب الكنز بهامش مسند الإمام أحمد: ٤٦/٥ .

(٥) ذكره الخوارزمي .

(٦) الطبقات لابن سعد: ٢٦٣/٢ وقريب منه ما ذكره الخوارزمي في المناقب: ٢٩ .

(٧) ابن ماجة: ١/٤٤ وتأريخ الطبرى: ٣١٠/٢ والإستيعاب بهامش الإصابة: ٣٩/٣ والكامل: ٥٧/٢ وابن عساكر: ١٢٠/١ .

ولبي في الدنيا وفي الآخرة»<sup>(١)</sup> وقال له: «أنت ولبي كل مؤمن بعدي»<sup>(٢)</sup>  
وعندما بعثه لفتح اليمن ، فاصطفى عليٌّ لنفسه من الخمس جارية فأنكروا عليه  
وشكوه للرسول فقال ﷺ: «إن لم يلِي أكثر من الجارية التي أخذ إلهه ولبكم بعدي»<sup>(٣)</sup>  
وطالما أعلن النبي وكرر: «من كنت ولية فهو ولية ، ومن كنت مولاه فهذا على  
مولاه» . وقال وهب بن حمزة: سافرت مع عليٍّ فرأيت منه جفاء ، فقال لي  
النبي ﷺ: «لا تقولن هذا على ، فإنه ولبكم بعدي»<sup>(٤)</sup> .

وهذه النصوص وغيرها من الزيوع والانتشار بحيث أنها لا تخفي على أحد .  
فقول النبي ﷺ: «من كنت مولاه فهذا على مولاه» قاله أمم أكثر من مائة ألف  
كما سترى ، ولم يكتف النبي ﷺ بذلك فكانت أوامره واضحة بأهمية هذه  
الم الولاية وأثرها في الدنيا والآخرة ، وأن من يتولى عليها ويحبه هو تماماً كمن  
يتولى النبي ﷺ ويحبه ومن يبغضه كمن يبغض النبي ﷺ ! فقد خاطب أصحابه

(١) صرح الذهبي بصحته في تلخيص المستدرك وذكره ابن حجر في صواعقه باب ١٦/١٢ ومسلم في فضائل علي في صحيحه: ٢٤/٢ والحاكم في مستدركه ١٠٩/١ وابن حجر في صواعقه باب ١٠٧/١١ وقال إن أحمد أخرجه وصححه وراجع صحيح بخاري: ٥٨/٢ ومسلم: ٣٢٣/٢ و ١٠٩/٢ .

(٢) مسند الإمام أحمد: ٢٥/٥ بسند صحيح ، والاستيعاب بهامش الإصابة: ٢٨/٣ والإصابة: ٥٠٩/٢ وينابيع المودة ٥٥ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ٦٤ / ومستدرك الحاكم: ٣٤/٣ وتلخيص المستدرك للذهبي وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٨٤/١ ح ٤٩٠ ..الخ .

(٣) راجع صحيح الترمذى: ٢٩٦/٥ و خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٩٧ والمناقب للخوارزمي: ٩٢ والإصابة لابن حجر: ٥٠٩/٢ ونور الأبصار للشبلنجي ١٥٨ / وحلبة الأولياء: ٢٩٤/٦ وأسد الغابة: ٢٧/٤ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٨١/١ ومصابيح السنة للبغوي: ٢٧٥/٢ وجامع الأصول: ٤٧٠/٢ وكنز العمال: ١٢٤/١٥ وينابيع المودة للقندوزي: ٥٣ / وتذكرة الخواص لابن الجوزي: ٣٦ / والغدير: ٢١٦/٣ ومطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى: ٤٨/١ ، وراجع ١٣٤ من ملحق المراجعات تحقيق السيد حسين راضى .

(٤) الإصابة لابن حجر: ٦٤١/٣ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١/ ٣٨٥ ح ٤٩١ وينابيع المودة للقندوزي: ٥٥ والغدير للأبنى: ٢١٦/٣ و قريب منه في أسد الغابة: ٩٤/٥ ومجمع الزوائد: ١٠٩/٩ .

فائلاً» أوصي من آمن بي وصدقني بولايته علي بن أبي طالب ، فمن تولاه فقد تولاني ، ومن تولاني فقد تولى الله ، ومن أحبه فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل «<sup>(١)</sup> وقال لهم يوماً: اللهم من آمن بي وصدقني فليتول علي بن أبي طالب ، فإن ولاته ولايتي ، وولايتي ولاية الله تعالى»<sup>(٢)</sup> وأعلن النبي ﷺ: «من أراد أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة الخلود التي وعدني ربّي ، فليتول علياً بن أبي طالب ، فإنه لن يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلال»<sup>(٣)</sup>

##### ٥- تتابع الإعلان عن الولاية والتوطيد كان يجري بأمر الله

ولتوطيد ولاية علي نزلت آية الولاية: «إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَذْنِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّهُ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»<sup>(٤)</sup> وقد نزلت هذه الآية في أمير المؤمنين علیه السلام وهو راكع استجابة لدعوة الرسول ﷺ: «وَاجْعُلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي»<sup>(٥)</sup> .

(١) راجع ترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٩٣/٢ ومناقب علي لابن المغازلي الشافعي ٢٣٠/٢٧٧ و ٢٧٩ ومجمع الزوائد: ١٠٨/٩ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٢٨٢/٢ ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد: ٣٢/٥ وإحقاق الحق: ٤٣٤/٦، وفضائل الخمسة: ٢٠٢/١ وفرائد السمعطين: ٢٩١/١ وملحق المراجعات: ٢٩/١.

(٢) راجع ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ٩١/٢ ح ٥٩١.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٣٤٩/٤ - ٣٥٠ ، ومجمع الزوائد: ١٠٨/٩ وترجمة علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ٩٣/٢ وفضائل الخمسة: ٢١٣/٢ ، وإحقاق الحق: ١٠٨/٥ وفرائد السمعطين للحمويني: ٥٥/١.

(٤) سورة المائدة آية ٥٥-٥٦.

(٥) تفسير الطبرى: ٢٨٧/٦ ، وأسباب التزول للواحدى: ١٤٨ ، وشواهد التزيل: ١٦١/١ و ٢١٦ ، وعشرات المصادر.

## الولي هو السيد والإمام والقائد

قال النبي ﷺ لأصحابه: «أوحى الله إليّ في علي ثلثاً: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين وقائد الغر الم嫉لين»<sup>(١)</sup> وقال لهم مرة: «أوحى الله إليّ في علي أنه سيد المسلمين وولي المتقين وقائد الغر الم嫉لين»<sup>(٢)</sup> وقال له يوماً أمام أصحابه: «مرحباً بسيد المسلمين وإمام المتقين»<sup>(٣)</sup> وفي جلسة من جلساته مع أصحابه قال لهم: «أول من يدخل من هذا الباب إمام المتقين وسيد المسلمين ، ويعسوب الدين ، وخاتم الوصيين ، وقائد الغر الم嫉لين . فدخل علي فنهض النبي وعانقه».<sup>(٤)</sup>

وبين يوماً لأصحابه قائلاً: «إن الله عهد إليّ في علي عهداً فقلت: يا رب بيته لي ،

(١) المعجم الصغير للطبراني: ٨٨/٢ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي: ٦٥:٩٣ و ١٠٤ ح ١٤٦ و ١٤٧ ح ١٤٦ و المناقب للخوارزمي الحنفي: ٢٣٥ و درر السمعطين للزرندى الحنفى: ١١٤ و الفصول المهمة: ١٠٧ و مجمع الزوائد: ١٢١/٩ وأسد الغابة: ٦٩/١ و ١١٦/٣ و ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥٧/٢ و فضائل الخمسة: ١٠٠/٢ و بنيابع المودة: ٨١/١ و إحقاق الحق: ١١/٤ و فرائد السمعطين: ١٤٣/١ و ملحق المراجعات: ١٤١-١٤٢.

(٢) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٥٧/٢ ح ٧٧٢ والرياض النصرة: ٢٣٤/٢ و ذخائر العقى: ٧٠ و منتخب الكتز بهامش مسند أحمد: ٣٤/٥.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٦٦/١ و ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٤٠/٢ و كنز العمال: ١٥٧/١٥ و شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٧٠/٩ ونظم درر السمعطين: ١١٥ و مطالب المسؤول: ٤٦/١ و بنيابع المودة: ١٨١ و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ٥٥/٥ و فرائد السمعطين: ١٤١/١.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد: ١٦٩/٩، حلية الأولياء: ٦٣/١ و المناقب للخوارزمي: ٤٢ و ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٨٧/٢ ح ١٠٠٥ و مطالب المسؤول: ٦٠/١ و الميزان الذهبي: ٦٤/١ و كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٢١٢ و بنيابع المودة للفندوزي الحنفي: ٣١٣ و فضائل الخمسة: ٢٥٣/٢ و فرائد السمعطين: ١٤٥/١.

قال: إسمع: إن علياً رأية الهدى ، وإمام أولياني ، ونور من أطاعني<sup>(١)</sup> .  
 وخاطب النبي الأنصار قائلاً: « يا معاشر الأنصار ، ألا أدلكم على ما إن تمكتم  
 به لن تضلوا بعدي أبداً ، قالوا: بلـى يا رسول الله ، قال: هذا على فـأحـبـوه بـجـبي ،  
 وأكرـموـه بـكـرامـتي ، فإن جـبـرـيلـ أـمـرـنيـ بالـذـيـ قـلـتـ لـكـمـ عـنـ اللهـ عـزـ وجـلـ»<sup>(٢)</sup> .  
 وفي يوم من الأيام قال لمن حوله: «أدعـوـ لـيـ سـيدـ العـربـ عـلـيـاًـ» . فـقـالـتـ عـائـشـةـ:  
 أـلـستـ سـيدـ العـربـ ؟ـ فـقـالـ عـلـيـهـ السـلـامـ:ـ أناـ سـيدـ وـلـدـ آـدـمـ وـعـلـيـ سـيدـ العـربـ .ـ فـلـمـ جـاءـ  
 عـلـيـ أـرـسـلـ إـلـىـ الـأـنـصـارـ وـقـالـ لـهـمـ:ـ يـاـ مـعـاـشـ الـأـنـصـارـ أـلـاـ دـلـكـمـ ...ـ الـحـدـيـثـ السـابـقـ»<sup>(٣)</sup> .  
 وـقـالـ النـبـيـ لـعـلـيـ فـيـ جـمـعـ مـنـ أـصـحـابـهـ:ـ (ـالـنـظـرـ إـلـىـ وـجـهـكـ يـاـ عـلـيـ عـبـادـةـ .ـ أـنـتـ  
 سـيدـ فـيـ الدـنـيـاـ وـسـيدـ فـيـ الـآـخـرـةـ ،ـ مـنـ أـحـبـكـ أـحـبـنـيـ ،ـ وـحـبـبـيـ حـبـبـ اللـهـ ،ـ وـعـدـوكـ  
 عـدـوـيـ ،ـ وـعـدـوـيـ عـدـوـ اللـهـ ،ـ الـوـيـلـ لـمـنـ أـبـغـضـكـ»<sup>(٤)</sup> .

### ١- أـبـرـزـ المـؤـهـلـاتـ الـعـلـمـيـةـ لـلـوـلـيـ بـعـدـ النـبـيـ

قال النبي ﷺ لأصحابه موضحاً علم علي: «أنا مدينة العلم وعلى بابها ، ومن

(١) حلية الأولياء: ٦٧/١ وشرح النهج: ٦٧/٩ ومناقب الخوارزمي: ٢١٥/٢٢٠ ونظم درر السقطين ١١٤ وترجمة علي من تاريخ دمشق: ٦٧٢ ح ١٨٩/٢ ومناقب علي لابن المغازلي ٤٦/٧ وكفاية الطالب ٧٣ وينابيع المودة ٣١٢/١ ومطالب المسؤول: ٤٦/١ وإحقاق الحق: ١٦٨/٤ وفرائد السقطين: ١٤٤/١ و ١٥١.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحميد: ١٧٠/٩ وحلية الأولياء لأبي نعيم: ٦٣/١ وجمع الزوائد: ١٣٢/٩ وكفاية الطالب للكتجي الشافعي: ٢١٠/١ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ٣١٣ وكتز العمال: ١٢٦/١٥ والرياض النبرة: ٢٣٣/٢ وفضائل الخمسة: ٩٨/٢ ومطالب المسؤول لابن طلحة: ٦٠/١ ، وفرائد السقطين: ١٩٧/١ ح ١٥٤.

(٣) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء ، ونقله ابن أبي الحميد في شرح النهج: ٢٥١/٣ .

(٤) رواه أحمد في مسنده ، وكان ابن عباس يفسر هذا الحديث ويقول: إن من ينظر إليه يقول: سبحان الله ما أعلم هذا الفتى ، سبحان الله ما أشجع هذا الفتى ، سبحان الله ما أفحص هذا الفتى . وشرح النهج: ٢٥٣/٣ .

أراد العلم فليأت الباب»<sup>(١)</sup> وقال لهم مرة: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»<sup>(٢)</sup> وقال لهم ثالثة: «أنا مدينة الحكمة وعلي بابها»<sup>(٣)</sup> وقال لهم مرة رابعة: «علي باب علمي ومبين من بعدي لأمتى ما أرسلت به ، حبه إيمان وبغضه نفاق»<sup>(٤)</sup>. وقال لعلي أمم أصحابه: «أنت تبين لأمتى ما اختلفوا فيه بعدي»<sup>(٥)</sup> وكان النبي ﷺ يقول: «كفي وكف على في العدل سواء»<sup>(٦)</sup> وكان علي يقول: «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيمن نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت . إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً صادقاً ناطقاً»<sup>(٧)</sup> وكان يقول: «سلوني عن كتاب الله ، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، وفي سهل أم جبل»<sup>(٨)</sup> وقال الإمام أحمد: «ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله من الفضائل ما جاء لعلي»<sup>(٩)</sup> وقال ابن عباس: «ما نزل في أحد من

(١) مصادر هذا النص الشرعي لاتحصى نذكر منها على سبيل المثال: ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٦٤/٢ ح ٩٨٤-٩٩٧ وتاريخ الخلفاء للسيوطى /١٧٠/ ومقتل الحسين للخوارزمي: ٤٣/١ والإستيعاب بهامش الإصابة: ٣٨/٣ والميزان للذهبي: ١٥/١ والفتح الكبير للبهانى: ١٧٧/١ والجامع الصغير للسيوطى: ٩٣/١ ومنتخب الكتز بهامش مسند أحمد: ٣٠/٥ وشرح النهج لابن أبي الحميد: ٢١٩/٧ تحقيق محمد أبو الفضل ..... الخ.

(٢) ورد هذا النص بعشرات المراجع ، منها صحيح الترمذى: ٣٠١/١ ح ٣٨٠٧ وحلبة الأولياء: ٦٣/١ ومناقب علي لابن المغازلى: ٨٧ ح ١٢٩ وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار: ١٤٠/١ وذخائر العقى للطبرى: ٧/٧ والصواعق المحرقة لابن حجر: ١٢٠/١ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٥٩/٢ وفضائل الخمسة: ٢٤٨/٢ ومصابيح السنة للبغوى: ٢٧٥/٢ والجامع الصغير للسيوطى: ٩٣/١ ومنتخب الكتز: ٣٠/٥ ..... الخ .

(٣) مناقب علي لابن المغازلى: ٨٦/١ وفتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي: ٢٦/١ .

(٤) فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي: ١٨/١ والغدير للأميني: ٩٦/٣ .

(٥) ترجمة علي من تاريخ دمشق: ٤٨٨/٢ ح ١٠٠٨ و ١٠٠٩ ومقتل الحسين للخوارزمي: ٨٦/١ والمناقب للخوارزمي: ٢٣٦ وينابيع المودة للقندوزي: ١٨٢ ومنتخب الكتز: ٣٣/٥ ، وملحق المراجعات: ١٤٦ .

(٦) راجع الحديث: ١٥٣:٦/٢٥٣٩ من أحاديث الكتز .

(٧) راجع تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٨٥/١ .

(٨) تاريخ الخلفاء: ١٨٥/١ .

(٩) آخرجه الحاكم ١٠٧ من صحيحه ولم يتعقبه الذهبي .

كتاب الله ما نزل في علي» وقال مرة أخرى: «نزل في علي ٣٠٠ آية» وقال مرة ثالثة: «ما أنزل الله: يا أيها الذين آمنوا، إلا وعلى أميرها وشريفها». <sup>(١)</sup> ونخت بقوله ﷺ: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا على الحوض» <sup>(٢)</sup>. إن ولایة علي وخلافته للنبي قضية دينية وإيمانية من كل الوجوه، ها هو النبي ﷺ يقول لأصحابه: «علي بن أبي طالب بباب حطة ، من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً» <sup>(٣)</sup> وانظروا إلى النص الشرعي القاطع: «علي مني وأنا من علي ، ولا يؤديعني إلا أنا أو علي» <sup>(٤)</sup> وقوله ﷺ لعلي أمّام الصحابة: «يا علي من فارقني فقد فارق الله ومن فارقك يا علي فارقني» <sup>(٥)</sup> وقوله ﷺ: «أنا المنذر وعلي الهدى ، وبك يا علي يهتدي المheedون من بعدي» <sup>(٦)</sup> وقول النبي لأصحابه: «أنا وهذا

(١) ابن عساكر راجع ٧٦ من الصواعق المحرقة ، وتاريخ الخلفاء وكتابنا النظام السياسي في الإسلام الباب الأول .

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغرى راجع تاريخ الخلفاء ١٧٣ للسيوطى .

(٣) بناية المودة ١٨٥ / ٢٤٧ و ٢٨٤ والجامع الصغير: ٥٦/٢ ومنتخب كنز العمال بهامش مسند الإمام أحمد: ٣٠/٥ والصواعق المحرقة لابن حجر ٧٥ .

(٤) سنن ابن ماجة: ٤٤/١ ح ١١٩ والترمذى: ٣٠٠/٥ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ٢٠/١ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٧٨/٢٣ ح ٨٨٠ - ٨٧٥ والمناقب للخوارزمي والصواعق المحرقة ١٢٠ والجامع الصغير للسيوطى: ٥٦/٢ ومصابيح السنة: ٢٧٥/٢ والأصول لابن الأثير: ٤٧١/٩ والمشكاة للعربي: ٢٤٣/٣ ... إلخ .

(٥) المستدرك للحاكم: ١٤٦/٣ وذخائر العقبى / ٦٦ . ومجمع الروايد: ١٣٥/٩ وتاريخ دمشق: ٢٦٨/٢ وميزان الذهبي: ١٨/٢ .

(٦) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤١٧/٢ والقصول المهمة ١٠٧ ومنتخب الكنز بهامش مسند أحمد: ٣٤/٥ وتفسير الطبرى: ١٠٨/١٣ وتفسير ابن كثير: ٥٠٢/٢ وتفسير الشوكانى: ٧٠٣ وتفسير الفخر الرازى: ٢٧١/٥ والمستدرك للحاكم: ١٢٩/٣ - ١٣٠ والدر المتنور: ٤٥/٤ وزاد المسير: ٣٠٧/٤ إلخ . وراجع ٥١ من ملحق المراجعات.

يعني علياً حجة على أمتي يوم القيمة»<sup>(١)</sup> وقوله ﷺ: «مكتوب على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله على أخو رسوله»<sup>(٢)</sup> وقوله: «مكتوب على ساق العرش: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته بعلي»<sup>(٣)</sup> ثم انظر إلى قوله ﷺ وهو يخاطب الأنصار: «إإن جبريل أمرني بالذى قلت لكم عن الله عز وجل»<sup>(٤)</sup>.

## ٢- ولی الله وخليفة رسوله هو فارس الإسلام

أثناء حروب الكفر مع الإيمان تألق نجم علي ، وأصبح فارس الإسلام الأول فلا مثيل له في الأولين والآخرين . وقد قال لطلحة والزبير قبل وقفه الجمل ليقيم الحجة عليهم: «أستحلف عائشة بحق الله وبحق رسوله على أربع خصال ، أن تصدق فيها ، هل تعلم من قريش أولى مني برسول الله وإسلامي قبل كافة الناس أجمعين ، وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي»<sup>(٥)</sup> .

وأول لواء عقد في الإسلام كان لحمزة بن عبد المطلب . وفي كل معارك الإسلام في زمن النبي كان اللواء إما بيد علي أو بيد حمزة<sup>(٦)</sup> وأول من برع للقتال في معركة بدرا هو حمزة وعلي وعبد الله ، وفي كل المعارك كان علي هو الفارس الأول بعد النبي وقال رسول الله ﷺ: «سأعطي الرأية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله

(١) ترجمة علي من تاريخ دمشق: ٢٧٣/٢ ح ٧٩٣-٧٩٥ ومنتخب الكتز بهامش مستند الإمام أحمد: ٩٤/٥ ومناقب علي لابن المغازلي ، والميزان للذهبي: ١٢٨/٤ .

(٢) حلية الأولياء: ٢٥٦/٧ ومناقب ابن المغازلي ١٣٤ ح ٩١ ومنتخب الخوارزمي/٦٨ ومقتل الحسين للخوارزمي: ٣٨/١ ونذكرة الخواص / ٢٢ ، وذخائر العقبى للطبرى / ٦٦ والميزان للذهبي: ٧٦/٢ و ٣٩٩/٣: وترجمة علي من تاريخ دمشق: ١١٩/١ ومنتخب الكتز: ٣٥/٥ من مستند الإمام أحمد ، الهامش ، وكتز العمال: ١٢١/١٥ ... إلخ .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٣٥٣/٢ ومجموع الزوائد: ١٢١/٩ وحلية الأولياء: ٣٦٧/٣ ومستند الإمام أحمد: ٣٥/٥ الهامش والرياض التضرة للطبرى: ٢٢٧/٢ وفرائد السمعطين: ٢٣٧/١ .

(٤) حلية الأولياء: ٦٣/١ وشرح النهج: ١٧٠/٩ وكفاية الطالب: ٢١٠/٧ وكتز العمال: ٢٦/١٥ ... إلخ .

(٥) الإمامة والسياسة / ٧٠-٧٢ لابن قتيبة .

(٦) الطبقات لابن سعد: ٨/٢ و ٩ و ٢٩ و ٣١ و ٤٩ و ٥٨ و ٧٤ و ١٠٦ و ١٥٠ .

رسوله ، يفتح الله على يديه . فلما أصبح الناس غدوا كلهم على رسول الله ، كل يرجو أن يعطاه ، فقال الرسول: أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل له: هو يشتكي من عينيه ، فدعا له رسول الله فبرئه حتى كان لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية وفتح الله على يديه خيراً<sup>(١)</sup> . وتناول علي باباً عند حصن خير فترس به ، فلم يزل في يديه وهو يقاتل حتى فتح الله خيراً ، ثم ألقاه وعجز ثمانية نفر عن قلب ذلك الباب<sup>(٢)</sup> . وفي غزوة الخندق ، برب عمرو بن عبد ود وهو يقول: «ولقد بحثت من النداء بجمعكم هل من مبارز» ! فلم يجده غير علي ولم يذقه الردى غير علي<sup>(٣)</sup> .

سل بدرأ ، وأحدأ ، وخيراً . وحنيناً ، وكل المواقع: متى هرب علي أو تفاسع رجل من العترة الطاهرة عن نصرة الإسلام؟ إن من يدعى بأنه بز علیاً أو ضحى أكثر منه ، أو قاتل بأفضل من قتاله فهو كاذب . بطولاته جعلته نجماً متألقاً وفارس الإسلام الأوحد . من الذي تصدى لعتبة وشيبة والوليد بن عتبة سادات بنى أمية وقتلهم؟ ومن قتل العاص بن سعيد بن العاص ، وحنظلة بن أبي سفيان ، والعاص بن هشام بن مغيرة خال عمر بن الخطاب<sup>(٤)</sup> وهنالك إجماع على أن أبطال بدر علي وحمزة وعبيد الله ، وكلهم من العترة الطاهرة ، وقد أخرج قتلهم لأولئك الصناديد نار الحقد والكراء على علي وأهل البيت . وكمثال على تقسيم الله لعمل هذا الفارس الفريد ، قال النبي ﷺ: «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق ، أفضل من عمل أمتى إلى يوم القيمة»<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه مسلم وبخاري والطبراني وأكثر المؤرخين وأصحاب السنن .

(٢) رواه مسلم وبخاري ، وراجع ١٦٧ من تاريخ الخلفاء للسيوطى .

(٣) راجع الطبقات لابن سعد: ٦٨/٢ .

(٤) راجع الطبقات لابن سعد: ١٧/٢ - ١٨ .

(٥) فرائد الس冴ين للحمويٰ: ١/٢٥٩ ح ١٩٨ وراجع مقتل الحسين للخوارزمي: ١/٤٥ والمناقب للخوارزمي: ٥٨ وشواهد التنزيل للحسكاني: ٢/٨ والمستدرک للحاکم: ٣/٢٧ .

## الفصل الرابع

### تزويج الله فاطمة لوليه و الخليفة نبيه ﷺ

فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين<sup>(١)</sup> وأحب عقب النبي إليه ، رضاه من رضاها وسخطه من سخطها ، كما يجمع على ذلك أهل الملة .<sup>(٢)</sup>

كان يمتناها كل وجيه ، لأنها جمعت كل ما يحتاجه الرجل من المرأة المثلى وقد تقدم إليها الخطاب ورفض النبي تزويجها ، خطبها أبو بكر فرفض النبي تزويجها له ، وخطبها عمر فرفض النبي تزويجها له<sup>(٣)</sup> وقال إنه يتظر أمر ربه .

وفي يوم من الأيام جاءت البشارة وزفها النبي لأصحابه فقال لهم: « بشارة أتنى من ربِّي في أخي وابن عمِّي وابنتي ، بأنَّ الله زوج علياً من فاطمة»<sup>(٤)</sup>

ولطالما ذُكِرَ النبي فاطمة بهذه النعمة الإلهية ، ولطالما حدث أصحابه بذلك كقوله ﷺ لفاطمة: «أَمَا ترْضِينَ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ رَجُلَيْنِ ، أَحدهُمَا أَبُوكَ وَالآخَرُ بْنُكَ»<sup>(٥)</sup> وقالت له مرتين: « يا رسول الله زوجتني من علي وهو فقير لامال له !

(١) الاستيعاب البر بهامش الإصابة: ٤/٣٧٧ و ٢٨٤ و ٢٨٥ والإصابة: ٤/٣٧٨ و أسد الغابة: ٥/٤٣٧ و ذخائر العقبى: ٤٤.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٥ وما فرق ، تجد محاورتها مع أبي بكر وعمر واستشهادها بذلك .

(٣) كفاية الطالب للكتنجي الشافعى: ٣٠٢ و ٣٠٤ ومجمع الزوائد: ٢٠٥/٩ و ٢٠٦ و خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١١٤ والصواعق المحرقة: ١٣٩ ونظم درر السعطين: ١٤٨ وذخائر العقبى: ٢٧ ومناقب علي لابن المغازلى: ٣٤٦ وتذكرة الخواص: ٣٠٦ وأسد الغابة: ١/٣٨ والإصابة: ١/٣٤٧ وجامع الأصول: ٩/٤٧٤ ، وشرح النهج: ٣٦٣/٣ والسيرات النبوية لزيني دحلان بهامش السيرة الحلبية: ٢/٧ وتاريخ بغداد: ١/٣٦٣ والطبقات لابن سعد: ٣٦٣/٣ ... إلخ .

(٤) المناقب للخوارزمي: ٢٤٦ ومقتل الحسين: ١/٦٠ وبنابر المودة: ٤/٣٠٤ وأسد الغابة: ١/٢٠٦ و الصواعق: ١٧١ .

(٥) ترجمة علي من تاريخ دمشق: ١/٢٤٩ و تذكرة الخواص: ٣٠٨ وكتز العمال: ١٥/٩٥ والرياض النصرة: ٢/٤٤٠ .

فأجابها النبي: يا فاطمة أما ترضين أن الله عز وجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك؟<sup>(١)</sup> وعاد النبي ﷺ فاطمة في مرضها فقال لها: «كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقми . فقال لها: أما ترضين أنني زوجتك أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماء، وأعظمهم حلماً»<sup>(٢)</sup>

### ١- الذرية المباركة

أعلن النبي ﷺ لل المسلمين: «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وجعل ذريتي في صلب علي»<sup>(٣)</sup> وقال ﷺ: «كلبني أنتي يتمنون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فأنا ولهم وأنا عصبهم وأنا أبوهم»<sup>(٤)</sup> وقال ﷺ أيضاً: «وأما أنت يا علي فأخي وأبو ولدي»<sup>(٥)</sup> وقال مشيراً لعلي: «هذا أخي وابن أخي وابن عمي وصهري وأبو ولدي»<sup>(٦)</sup> وليس صدفة أن تحصر ذرية النبي بولد فاطمة ، وأنه ليس له ولد إلا ولد فاطمة ، وطالما رد بفرح أمم جموع الصحابة: «هذا ابني الحسن وهذا ابني الحسين ، وإن الله سماهما باسميهما فهما سيدا شباب أهل الجنة في الجنة وريحاناتي من هذه الأمة». وبالرغم من المحاولات المستمرة لإبادة نسل النبي وسم الحسن وقتل الحسين ، إلا أنه تحدى من هذه السلالة المباركة اثنا عشر إماماً آخرهم المهدي المنتظر<sup>(٧)</sup>.

(١) المستدرك للحاكم: ١٢٩/٣ وتاريخ دمشق ترجمة علي: ٢٤٩/١ وتنزكرة الخواص/ ٣٠٩ وبنایع المودة للقندوزي/ ٤٢١ وكتفایة الطالب للكنجي/ ٢٩٧ وكتز العمال: ٣٩١/٦ و ٩٥/٥ وإحقاق الحق: ٢٦٦/٥ وتاريخ بغداد: ١٩٥/٤ و ١٩٦.

(٢) نظم الدرر السلطين/ ١٨٨، وشرح النهج: ٢٦١/٣، ومنتخب الكتز بهامش أحمد: ٣١/٥ والرياض النضرة: ٥٥/٢.

(٣) راجع كتز العمال: ١٥٢/٦ الحديث: ٥٢١٠.

(٤) حديث ٢٢ من الفصل ٢ من الصواعق المحرقة/ ١١٢ وراجع: ١٦٤/٣ من مستدرك للحاكم وصححه.

(٥) راجع المناقب للخوارزمي/ ٢٧.

(٦) راجع الغدير للأميني: ١١٩/٣.

## ٢- سكن النبي وخلفته من بعده

نظمت العناية الإلهية حتى سكن النبي وخليفته من بعده ، واستقطبت حوله الأسماع والأذهان ليقى هذا التمييز واضحاً . فقد وقف الرسول خطيباً فقال: «إن رجالاً يجدون في أنفسهم شيئاً أن أسكنت علياً في المسجد وأخرجتهم ، والله ما أخرجتكم وأسكنتكم ، بل الله أخرجكم وأسكنكم ! إن الله عز وجل قد أوحى إلى موسى وهارون أن تبوا لقومكم بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة ، وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى وهو أخي ، ولا يحل لأحد منكم أن ينکح فيه النساء إلا هو»<sup>(١)</sup> وأخرج رسول الله عمه العباس وغيره من المسجد فقال العباس: «تخرجنا وتسكن علينا؟ ف قال ﷺ: ما أخرجتكم وأسكنتم ولكن الله أخرجكم وأسكنكم»<sup>(٢)</sup> .

وكان لنفر من أصحاب الرسول أبواب شارعة على المسجد ، فقال ﷺ: «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي» فتكلم الناس في ذلك فقام ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب علي ، فقال فيه قائلكم ! وإنني ما سددت شيئاً ولا فتحته ، ولكن أمرت بشئ فاتبعه» <sup>(٣)</sup> وقال ﷺ: «ما أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته ، إنما أنا عبد مأمور بأمرت به فعلت ، إن أتبع إلا ما يوحى إلي» <sup>(٤)</sup> «إن الله أوحى إلى نبيه موسى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنت وهارون ، وإن الله أوحى إلى أن ابن لي مسجداً طاهراً لا يسكنه إلا أنا وأخي علي» <sup>(٥)</sup> .

(١) راجع المراجعات/١٦١-١٧٥ وينابيع المودة للقندوزي من كتاب فضائل أهل البيت باب ١٨.

(٢) ابن ماجة: ٩٢١ والترمذى والنمسائى ح ٢٥٣١ من الكتبز: ١٥٣/٦ وأخرجه أحمد فى مستذه: ٤/١٦٤ و ١/١٥١.

(٣) مستند الإمام أحمد: ٣٦٩/٤ والضياء المقدسي والطهراني ومنتخب الكثر: ٣٩/٥ من مستند الإمام أحمد على الهاشم .

(٤) آخر جه الطبراني كما ذكره صاحب منتخب الكتبز: ٢٩/٥ من مسند الإمام أحمد.

(٥) راجع الصواعق المحرقة ١٠٦ لابن حجر المقصد الخامس من مقاصد الآية ٤.

### ٣- على وصي النبي

أكَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْوَصِيَّ بَعْدَهُ عَلَيٌ فَقَالَ: «هَذَا أَخِي وَوَصِيٌّ وَخَلِيفٌ»، وَحَدِيثُ الدَّارِ صَحِيحٌ<sup>(١)</sup> وَكَرَرَ النَّصُّ بِالْوَصَايَةِ حِيثُ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ وَوَارِثٌ، وَإِنَّ عَلِيًّا وَصِيٌّ وَوَارِثٌ»<sup>(٢)</sup> لِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ وَوَارِثٌ، وَإِنَّ وَصِيَّ وَوَارِثَيِّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»<sup>(٣)</sup> وَقَوْلُهُ ﷺ: «إِنَّ وَصِيَّيِّ وَمَوْضِعَ سَرِيٍّ، وَخَيْرٌ مَنْ أَتَرَكَ بَعْدِيٍّ، يَنْجُزُ عَدْتِي وَيَقْضِي دِينِي: عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»<sup>(٤)</sup> وَقَالَ لَأَنْسَ بْنُ مَالِكٍ: «يَا أَنْسُ أَوْلَى مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ، وَقَائِدُ الْفَرِّ المُحَجَّلِينَ، وَخَاتَمُ الْوَصِيَّينَ». فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَاجِعًا تَتْمِمُ الْحَدِيثَ.<sup>(٥)</sup> وَقَالَ لِفَاطِمَةَ: «يَا فَاطِمَةُ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اطْلَعَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ أَبَاكَ فَبَعْثَهُ نَبِيًّا، ثُمَّ اطْلَعَ ثَانِيَّةً فَاخْتَارَ بَعْلَكَ، فَأَوْحَى إِلَيْكَ فَأَنْكَحْتَهُ وَاتَّخَذْتَهُ وَصِيًّا»<sup>(٦)</sup> وَبَعْدَ وَفَاتَتِ النَّبِيِّ ﷺ احْتَجَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْوَصِيِّ، فَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: «أَنَا ابْنُ النَّبِيِّ وَأَنَا ابْنُ الْوَصِيِّ»<sup>(٧)</sup> وَقَدْ شَاعَتِ الْوَصِيَّةُ فِي الْأَدْبِ، شَعْرَهُ وَثَرَرَهُ<sup>(٨)</sup> وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ

(١) الطبرى: ٣١٩/٢ والكامل: ٦٢/٢ و ٦٣ والسيره الحلبية: ٣١١/١ وأحمد: ٤١/٥ و ٤٢ ، وتاريخ دمشق: ٨٥/١.... الخ .

(٢) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥/٣ ومناقب علي لابن المغازلى: ٢٠٠ / والمناقب للخوارزمي: ٤/٤ وذخائر العقبي للطبرى ، والميزان للذهبي: ٢٧٣/٢ وينابيع المودة للفندوزي الحنفى: ٢٣٢ / و ٢٤٨ .

(٣) تاريخ ابن عساكر: ٥/٣ والمناقب للخوارزمي: ٤/٢ والمناقب لابن المغازلى: ٢٠٠ / والميزان للذهبي: ٢٧٣/٢ ... الخ .

(٤) مجمع الزوائد: ١١٣/٩ وكنز العمال: ١٥٤/٦ ومستند الإمام أحمد: ٣٢/٥ الهاشم .

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: ٦٣/١ وشرح النهج: ١٦٩/٩ ، والمناقب للخوارزمي: ٤/٢ وكفاية الطالب للكنجي: ٢١٢ و Mizan al-Ibadah للذهبي: ٦٤/١ وفضائل الخمسة: ٢٥٤/٢ ومطالب المسؤول لابن طلحة: ٢١/ .

(٦) كفاية الطالب: ٢٩٦ ومجمع الزوائد: ٢٥٣/٨ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٨١ ومناقب علي لابن المغازلى: ١٠١ وينابيع المودة: ٩٢ / والغدير: ٢٣/٣ وملحق المراجعات: ٢٤٤ .

(٧) ذخائر العقبي: ١٣٨/ .

(٨) وقعة صفين: ٢٢٧ ، ومرrog الذهب: ٢٣٨/٢ ، ومناقب الخوارزمي: ٣٨ / والعقد الفريد: ٤١١/٤ .

جابر: «حدثني وصي الأوصياء يعني علياً»<sup>(١)</sup>.

### إنكار الوصية

وقد أنكر بخاري ومسلم أن الرسول ﷺ قد أوصى ، واستندوا إلى الحديث المنسوب لعائشة ، أن النبي مات بين سحرها ونحرها وعلى فخذها ولم يوص ! لكن الرسول لم يمت على الصورة التي نسبت لأم المؤمنين ، إنما مات على صدر علي ، وتلك حقيقة أقرها الخليفة عمر بن الخطاب فقد سأله كعب: «ما كان آخر ماتكلم به رسول الله ؟ فقال عمر: سل علياً فروى علي كيف مات رسول الله وماذا قال...». ولما حضرته الوفاة قال ﷺ: «أدعوا لي أخي فدعوا علياً» فقال: أدن مني فدنا منه فلم يزل يكلمه حتى فاضت نفسه الزكبة ، فأصابه بعض ريفه<sup>(٢)</sup> وروى البخاري أن الرسول قد أوصاه: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه، وسكت عن الثالثة أو قال: فنسيتها»<sup>(٣)</sup>.

### اختصاص الولي بمزايا خاصة ، وتحصينه

قال النبي ﷺ لعلي في محضر من أصحابه: «يا علي أخصمك بالنبوة فلا نبوة بعدك وتخص الناس بسيع ولا يحاجك فيها أحد من قريش: أنت أولهم إيماناً باشه ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعدلهم في الرعية ،

(١) ميزان الإعدال: ٨٣/١، وملحق المراجعات: ٢٨٤.

(٢) الطبقات لابن سعد: ٢٦٢/٢ - ٢٦٤ و ١١٠٧ و ١٥٥:٤ من كنز العمال و ٣٩٢:٦/١٠٠٩ و ١١٠٦ و ٥٥:٤ و ١١٠٨:٤ من الكنز ، والطبقات: ٥١/٢ و ١٩٦:٢ من شرح النهج وقد روی هذا الحديث علي وابن عباس وأم سلمة وعبد الله بن عمر ، وسائل أئمة أهل البيت الكرام .

(٣) صحيح بخاري كتاب النبي إلى كسرى وقيصر ، باب مرض النبي ووفاته: ١٣٧/٥ .

وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند الله مزية»<sup>(١)</sup> وقال لأصحابه يوماً: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا على الحوض»<sup>(٢)</sup> وقال لهم يوماً: «علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض يوم القيمة»<sup>(٣)</sup>.

قال النبي لعلي في محضر من صحابته: «يا علي من فارقني فقد فارق الله ، ومن فارقك يا علي فارقني»<sup>(٤)</sup> وقال لأصحابه: «من سب علياً فقد سبني ، ومن سبني فقد سب الله ، ومن سب الله أكب الله على منخرقه في النار»<sup>(٥)</sup> «من آذى علياً فقد آذاني»<sup>(٦)</sup> «من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني»<sup>(٧)</sup>

(١) حلبة الأولياء لأبي نعيم: ٦٥/١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١٧/١ ح ١٦٠ ، والرياض النصرة للطبرى: ٢٦٢/٢ ومطالب المسؤول: ٩٥/١ وشرح النهج: ١٧٣/٩ والمناقب للخوارزمي: ٧١ و Mizan al-Zehbi: ٣١٣/١١ وكفاية الطالب: ٢٧٠ والغدير: ٩٦/٣ وينابيع المودة: ٣١٥/٣ ومنتخب الكتز بهامش مسند أحمد: ٣٤/٥ وفرائد السمعتين: ٢٢٣/١ ح ٢٢٣ .

(٢) المناقب للخوارزمي: ١١٠ / المعجم الصغير للطبراني: ٥٥ / وكفاية الطالب للكتنجي الشافعى: ٣٩٩ وكفاية ابن حجر: ١٢٢ وتنابع الخلفاء للسيوطى: ١٧٣ ونور الأنصار: ٧٣ والغدير للأبنى: ١٨٠/٣ وينابيع المودة للفندوزى: ٤٠ و ٩٠ و ١٨٥ ... الخ . وغاية المرام: ٥٤٠ والجامع الصغير للسيوطى: ٥٦٢ .. الخ .

(٣) تاريخ بغداد: ٣٢١/١٤ وترجمة الإمام من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١١٩/٣ ح ١١٦٢ وغاية المرام: ٥٣٩ والإمامية والسياسة: ٧٣/١ ومنتخب الكتز بهامش مسند أحمد: ٣٠/٥ .

(٤) المستدرك: ١٤٦/٣ وذخائر العقبي: ٦٧ ومجموع الروايات: ١٣٥/٩ وترجمة علي من تاريخ دمشق: ٢٦٨/٢ ح ٧٨٩ ومناقب ابن المغازلى: ٢٤١/٢ والرياض النصرة: ٢٢٠/٢ وينابيع المودة: ٩١ و Mizan al-Zehbi: ١٨٢ ... الخ .

(٥) راجع ذخائر العقبي: ٦٦ ومناقب الخوارزمي: ٨١ و ٨٢ ومناقب ابن المغازلى: ٨٣ والرياض النصرة للطبرى: ٢١٩/٢ ... الخ .

(٦) مستدرك الحاكم: ١٢٢/٣ وتلخيصه للذهبي بذيل المستدرك: ٤٨٣/٣ ، و تاريخ دمشق: ٣٨٩/١ ترجمة علي . وشاهد التزيل للحسكاني: ٩٨٢ ومناقب ابن المغازلى: ٥٢ والاستيعاب بهامش الإصابة: ٣٧/٣ وذخائر العقبي: ٦٥ والصواعق المحرقة: ٧٤ و ٧٣ وأنساب الأشراف: ١٤٦/٢ وراجع: ١٥١ - ١٥٢ من ملحق المراجعات . الخ .

(٧) الاستيعاب بهامش الإصابة: ٣٧/٣ والميزان للذهبي: ١٢٨/٢ ومناقب علي لابن المغازلى: ١٠٩ والرياض النصرة للطبرى: ١٦٥/٢ ومسند الإمام أحمد: ٣٠/٥ الهاشم ... الخ ، وراجع ملحق المراجعات: ١٥٣ .

## الفصل الخامس

### ١- تتویج الولي خلیفة للنبي

١- المناسبة حجة الوداع: لمح النبي لأصحابه وللوفود التي تقاطرت عليه أن حجته ذلك العام ستكون آخر حجة ، فتأهب المسلمون من كل حدب وصوب لينالوا ثواب الحجة وشرف الصحبة والوداع ، فتجمع تسعون ألفاً وقيل ١١٤ ألفاً وقيل ١٢٠ ألف مسلم وقيل أكثر ، فوافوا النبي ﷺ في حجة الوداع .<sup>(١)</sup>

٢ - مكان التتويج: قال حذيفة بن أسيد الغفاري: « لما صدر رسول الله من حجة الوداع انتهى بأصحابه إلى شجيرات بالبطحاء متقاربات ، فأمرهم أن يتزلوا ، ثم بعث إليها فقئم ما تحتهن من الشوك وعمد إليهن فصلى تحتهن ثم قام خطيباً... » وبرواية زيد بن أرقم قال: « لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم ». وبرواية البراء بن عازب: « كنا مع الرسول فنزلنا بغضير خم ، فنودي علينا الصلاة جماعة وكسرح رسول الله تحت شجرتين ». وبرواية سعد بن أبي وقاص: « سمعت رسول الله يوم الجمعة فأخذ يد علي وخطب فحمد الله... » وبرواية سعد أيضاً: « كنا مع رسول الله ولما بلغ غدير خم ، وقف الناس ثم رد من تبعه ولحق من تخلف ، فلما اجتمع الناس إليه قال النبي ﷺ ..»

(١) راجع تذكرة الخواص للسبط بن الجوزي الحنفي / ٣٠٠ والسيرۃ الحلبیة: ٢٥٧/٣ . وسیرة زینی دحلان بهامش الحلبیة: ٣/٣ والغدیر للأمینی: ٩/١ .

فمن المؤكد أن مكان التوبيع أمام الجميع: غدير خم<sup>(١)</sup> لقد كان أهل المدينة ومن حولها على علم بأن الولي وال الخليفة من بعد النبي هو علي و ذلك من خلال التصريحات المتلاحقة التي صدرت من النبي ﷺ بمحضرهم أفراداً و جماعات ، والمدينة عاصمة دولة الإسلام ، وأهل المدينة ومن حولها هم أصحاب الشأن شرعاً وواقعاً بتنصيب الولي وال الخليفة من بعد النبي .

لكن الله أراد أن يعلموا مجتمعين ، فأمر نبيه أن يعلمهم بذلك في حجة الوداع حتى لا ينسوا ، فنزل جبريل ومعه آية التبليغ: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلْغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ<sup>(٢)</sup> . فكان مستقبل الرسالة الإسلامية يتوقف على هذا التبليغ ، وقد نزلت هذه الآية يوم ١٨ ذي الحجة ، وصادف يوم الخميس .<sup>(٣)</sup>

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٠/٢٤٨ و ٥٥٠ والمناقب للخوارزمي الحنفي ٩٤/١ ومستند أحمد بن حنبل: ٢٨١/٤ والفصل المهمة/٢٤ والحاوي للفتاوى: ١٢٢/١ وذخائر العقبى للطبرى/٦٧ وفضائل الخمسة: ٣٥٠/١ و تاريخ الإسلام للذهبي: ١٩٧/٢ وعلم الكتاب لخواجه الحنفي/١٦١ ونظم درر السمطين للزرندى الحنفى/١٠٩ ، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي/٣٠ و ٣١ و ٢٤٩ و تفسير الفخر الرازى: ٦٣/٣ وتذكرة الخواص/٢٩ و مشكاة المصايب: ٢٤٦/٣ وعقبات الأنوار: ٢٨٥/١ وفرائد السمطين: ٧٧/١ والمراجعات تحقيق السيد حسين راضى/٢٧٧ .

(٢) سورة العنكبوت آية ٦٧ .

(٣) ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق: ٨٦/٢ وفتح البيان للسيد صديق حسن خان: ٦٣/٣ وشواهد التنزيل للحاكم الحسكتاني: ١٨٧/١ أحاديث ٢٤٣ - ٢٥٠ وأسباب التزول للواحدى ١١٥ والدر المثور: ٢٩٨/٢ ، وفتح القدير للشوكتاني: ٦٠/٢ ومطالب المسؤول لابن طلحة الشافعى: ٤٤/١ والفصل المهمة ٢٥/١ وينابيع المودة/١٢٠ والملل والنحل: ١٦٣/١ بهامش الفصل لابن حزم: ٢٢٠/١ وفرائد السمطين للحمويني: ١٥٨/١ والغدير: ٢١٤/١ ، عن كتاب الولاية لابن جرير الطبرى ، وراجع الإمام للمحاملى وما نزل من القرآن في أمير المؤمنين والكشف والبيان للشعالى مخطوط . وتفسير النيسابورى: ١٦٠/٦ وتفسير القرآن لعبد الوهاب البخارى ومفتاح النجا للبدخشى ٤١/١ وروح المعانى للألوسى: ٢٤٨/٢ وتفسير المنار لمحمد عبد: ٤٦٣/٦ ، وأرجح المطالب لعبد الله الحنفى ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٥٦٦ و ٥٧٠ وأما الشيعة فإنها مجتمعة على أن هذه الآية نزلت يوم ١٨ ذي الحجة في غدير خم وفيها أمر الله نبيه أن يجعل علياً خليفة من بعده وإماماً . راجع ملحق المراجعات/٧١٧ .

## ٢- نص قرار تنصيب الولي وال الخليفة من بعد النبي

١- النص برواية حذيفة بن أسد الغفارى ، كما أخرجه الطبرانى في الكبير: « ثم قال النبي ﷺ: يا أيها الناس إني قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله ، وإنى لأظن أنى يوشك أن أدعى فأجيب ، وإنى مسؤول وإنكم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهت ونصحت فجزاك الله خيراً . فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق وناره حق ، وأن الموت حق وأنبعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك . قال النبي: اللهم اشهد . ثم قال: يا أيها الناس: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين ، وأنا أولى بهم من أنفسهم ، فمن كنت مولاً فهذا ، يعني علياً ، مولاً . اللهم وال من والا وعاد من عاداه . ثم قال: يا أيها الناس إني فرطكم ، وإنكم واردون على الحوض ، حوض أعرض ما بين بصرى وصنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة ، وإنى سائلكم حين تردون على عن الثقلين ، فانظروا كيف تختلفون فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل طرفه يد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا ، وعترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا (يفترقا) حتى يردا على الحوض» . انتهى النص . <sup>(١)</sup>

(١) مجمع الزوائد: ١٦٤/٩ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٥/٢ ح ٥٤٥ وكنز العمال: ١٦٧/١ ح ٩٥٩ والغدير للأميني: ٢٦/١ - ٢٧ وعقبات الأنوار مجلد حديث الثقلين: ١٥٦/١ ونواتر الأصول للحكيم الترمذى ٢٨٩/١ وقد حذفت يد الطبع الآئمة هذا الحديث ولم تبق إلا الإشارة إليه ، ونقل عنه تماماً الرخشى في كتابه نزل الأبرار ١٨/١ وراجع بناية المودة للفندوزي الحنفى ٣٧ ويوجد بلفظ آخر في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ٢٩ ومناقب علي لابن المغازلى ١٦/٢ ح ٢٣ وكنز العمال: ١٦٨/١ ح ٩٥٨ برواية زيد .

### ٣ - نص قرار التنصيب برواية زيد بن أرقم

قال زيد: «لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن ف قال ﷺ: «كأني دعيت فأجبت ، وإنني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تختلفون فيهما ، فإنهم لن يفترقا حتى يردا على الحوض ، ثم قال: إن الله عز وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن ، ثم أخذ بيدي علي فقال: من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»<sup>(١)</sup>.

### ٤ - نص قرار التنصيب برواية البراء بن عازب

قال البراء كنا مع رسول الله فنزلنا بغدير خم فنودي الصلاة جامعة ، وكسر لرسول الله تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيدي علي فقال: «الستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا: بلى . قال: ألسنت تعلمون أنني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا: بلى . قال: وأخذ بيدي علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هبئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأميست مولى كل مؤمن ومؤمنة ». انتهى النص .<sup>(٢)</sup>

### ٥ - نص قرار التنصيب برواية سعد بن أبي وقاص

سمعت رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، فأخذ بيدي علي وخطب فحمد الله وأثنى

(١) خصائص أمير المؤمنين طبقته للنسائي ٩٣/٢١ و ٢١/٩٣ والمناقب للخوارزمي ٩٣/٣٢ والغدير للأميني: ٣٠/١ وكتز العمال: ٩١/١٥ ح ٢٥٥ وعقبات الأنوار حديث الثقلين: ١١٧/١ و ١٢١ و ١٤٤ و ١٥٢ و ١٦١.

(٢) راجع ذخائر العقبى للطبرى الشافعى/ ٦٧ وفضائل الخمسة: ٣٥٠/١ والرياض النصرة: ٢٣/٢ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكى/ ٢٤١ والحاوى للفتاوى: ١٢٢/١ وكتز العمال: ١١٧/١٥ وملحق المراجعات ١٧٦ وقرب منه ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٤٧/٢ ح ٥٤٦ - ٥٤٩ و ٥٥٠ وأنساب الأشراف للبلاذرى: ٢١٥/٢ والمناقب للخوارزمي ٩٤/٢ والغدير للأميني: ١٨/١ - ٢٠ وفرائد السبطين: ١/٦٤ و ٦٥ و ٧١ وملحق المراجعات ١٧٦ .

عليه ثم قال: «أيها الناس إني وليكم ، قالوا: صدقت يا رسول الله ، ثم رفع يد علي فقال: هذا ولبي ويؤدي عنِّي ديني ، وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه»<sup>(١)</sup>.

#### ٦ - قرار التنصيب برواية ثانية لسعد

«كنا مع رسول الله فلما بلغ غدير خم وقف الناس ثم رد من تبعه ولحق من تخلف ، فلما اجتمع الناس إليه قال: أيها الناس من وليكم؟ قالوا: الله ورسوله ثلاثة ثم أخذ بيده علي فأقامه ، ثم قال: من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه. اللهم وال من والاه وعاد من عاده». <sup>(٢)</sup> انتهى النص .

#### ٧- فهم مضمون القرار وتقبل التهانى

فهم الحاضرون في غدير خم مضمون القرار ، وأقبلوا على الولي وخليفة النبي يقدمون له التهاني بتلك النعمة الإلهية وكان من أبرز المهنئين عمر بن الخطاب حيث قال لعلي بالحرف: «بَخْ بَخْ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ مُولَّاً وَمُوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(٣)</sup> وقال ثانية وبالحرف: «هَنِئْنَا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مُوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ»<sup>(٤)</sup>. وطوال حياة عمر لم ينس هذا اليوم ! قيل له وهو خليفة: «إنك

(١) خصائص أمير المؤمنين ١٠١ وفضائل الخمسة: ٣٦٥/١ ونهاية: ٢١٢/٥ والغدير: ٣٨/١ و ٤١ وملحق المراجعات ١٧٦.

(٢) خصائص أمير المؤمنين ١٠١ وفضائل الخمسة: ٣٦٥/١ وإسعاف الراغبين بهامش نور الأ بصار ١٤٩ والرياض النصرة للطبرى الشافعى: ٢٨٢/٢.

(٣) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٧٥/٢ ح ٥٧٥ و ٥٧٧ و ٥٧٨ ومناقب علي لابن المغازلى ٢٤/١٨ والمناقب للخوارزمي الحنفى ٩٤ وتاريخ بغداد: ٢٩٠/٨ وشاهد التنزيل للحسكاني الحنفى: ١٥٨/١ ح ٢١٣ وسر العالمين لأبي حامد الغزالى ٢١٦ وإحقاق الحق: ٢٥٦/٦ والغدير للأمينى: ١٣٢/١ وفرائد السبطين: ٧٧/١.

(٤) ترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥٠/٢ ح ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ والمناقب للخوارزمي ٩٤ ومسند أحمد: ٢٨١/٤ والفصل المهمة ٢٤/١ والحاوى للفتاوى: ١٢٢/١ وذخائر العقى: ٦٧ وفضائل الخمسة: ٣٥٠/١.

تصنّع لعليٍ شيئاً لا تصنّعه بأحد من أصحاب النبي؟ فقال عمر: إنه مولاي<sup>(١)</sup>  
واختصم أعرابيان إلى عمر، فالتمس من علي القضاء بينهما، فقال أحدهما:  
هذا يقضي بیننا؟ فوثب إليه عمر وأخذ بتلبيه وقال: ما تدرى من هذا؟ هذا  
مولاك ومولاي كل مؤمن ومؤمنة، ومن لم يكن مولاًه فليس بمؤمن<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- نصوص مبشرة لقرار التنصيب الحالد

يجمع أهل السنة على أن الرسول ﷺ قد قال لعلي يوم غدير خم:  
النص الأول: «من كنت مولاًه فعلي مولاًه ، اللهم وال من والاه عاده  
وانصر من نصره واخذل من خذله»<sup>(٣)</sup> النص الثاني: «من كنت مولاًه فهذا على مولاًه».

وفضائل الصحابة للسعاني ، وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٩٧/٢ وعلم الكتاب لخواجه الحنفي ١٦١ ونظم درر  
السمطين للزرندى الحنفي ١٠٩/١ وينابيع المودة للفندوزي الحنفي ٣٠ و ٣١ و ٢٤٩ و تفسير الفخر الرازى: ٦٣٣  
وتذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ٢٩/١ ومشكاة المصايف: ٢٤٦/٣ وعيقات الأنوار قسم حديث التقلى: ٢٨٥/١  
وغرائد السمطين للحمويني ، والغدیر: ٢٧٢/١ عن المصنف لابن أبي شيبة والمسند الكبير لابي العباس الشيباني  
والمسند لأبي يعلي الموصلي وتفسير ابن مردوه والكشف والبيان للثعلبي ، وراجع الرياض النبرة  
للطبرى: ١٦٩/٢ وكفاية الطالب في حياة علي بن أبي طالب للشافعى ٢٨/١ ، والخصائص العلوية للنطزى ، ووسيلة  
المتعبدين لعمر بن الملا والنهاية لابن كثير: ٢١٢/٥ والخطط للمقرئى ٢٢٣ ويديع المعانى للأذرعى الشافعى ٧٥/١  
وشرح ديوان أمير المؤمنين للمعیدى ٤٠٦ وكتز العمال: ٣٩٧/٦ ووفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى للسمهودى  
الشافعى: ١٧٣/٢. الخ .

(١) الصواعق المحرقة ٢٦ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٨٢/٢ ح ٥٨١ والرياض النبرة: ٢٢٤/٢.

(٢) الصواعق المحرقة ١٠٧ او ذخائر العقبى ٦٨ ومناقب الخوارزمي ٩٨/١ والرياض النبرة: ٢٢٤/٢ والغدیر: ٣٨٢/١.

(٣) على سبيل المثال: تاريخ دمشق: ١٣/٢ ح ٥٠٨ و ٥١٣ - ٥١٥ وكتز العمال: ٤٠٣/٦ وخصائص أمير المؤمنين للنسانى ٩٦/١ والفصل في الملل والنحل لابن حزم: ٢٦٠/١ ، ومسند الإمام أحمد: ٣٢/٥ الهامش وأنساب الأشراف للبلاذرى: ١١٢/٢ والمناقب للخوارزمي ٢٤٩ وملحق المراجعات / ١٨٣ .... الخ .

النص الثالث: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»<sup>(١)</sup>. وأنت تلاحظ أن هذه النصوص فككت قرار التنصيب فاعترفت بمكان وقوعه غدير خم وتناسب حجم الجمع الذي سمع القرار وأنه باخر حجة للنبي ، وكان قرار التنصيب من القوة بحيث أنه فرض خلاصته فرضاً ، وبالرغم من أن مسبة علي كانت واجباً رسمياً على رعايا الدولة الأموية ، وبالرغم من أن هذه الدولة كانت تملك سيطرة فعلية على موارد الدولة وإمكانياتها ووسائل إعلامها ، إلا أنها عجزت تماماً عن طمس هذا القرار بل بقيت خلاصته خالدة مع الأيام وشاهدت على غدر الأمة بولي عهد النبي وخليفته من بعده . والله عاقبة الأمور .

#### ٩- حدث الغدير وواقعة التنصيب يقين

فقد رواه الإمام أحمد بن حنبل من ٤٠ طريقةً ورواه ابن جرير من ٧٢ طريقةً والجزري المقرئ من ٨٠ طريقةً وابن عقدة من ١٠٥ طرق وأبو سعيد ، السجستاني من ١٢٠ طريقةً وأبو بكر الحصabi من ١٢٥ طريقةً ومحمد اليمني قال إن له ١٥٠ طريقةً ورواه أبو العلاء العطار الهمداني من ٢٥٠ طريقةً<sup>(٢)</sup>.

وأهل الشيعة قاطبة يؤمنون أن حديث الغدير يقين لا ريب فيه ، وأن عملية تنصيب الوالي وال الخليفة من بعد النبي في غدير خم لا ريب فيها .

وأهل السنة قاطبة يعترفون بحدث الغدير ويقرن يقيناً بصدوره عن النبي ، ولكنهم تبنوا تأويل الحكم للحديث ولواقعة التنصيب ، إذ اعتبر الحكم أن الحديث إن صح

(١) صحيح الترمذى: ٢٩٧/٥ وتاريخ دمشق: ٢١٣/١ وجمع الزوائد: ١٠٣/٩ والخصائص للنسائي: ٩٤ والمستدرك للحاكم: ١١٠/٣ وصححه وجامع الأصول: ٤٦٨/٩ والمناقب للخوارزمي: ٧٩ وتلخيص المستدرك للذهبي: ١١٠/٣ وحلية الأولياء: ٢٦/٥ والدر المثور: ١٨٢/٥ وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٩٦/٢ وتاريخ بغداد للبغدادي: ٢٩٠/٨ ... الخ .

(٢) راجع الغدير للأmineي: ١٤/١ - ٢١٣ وعقبات الأنوار في حديث الغدير ، وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥/٢ - ٩٠ وملحق المراجعات: ١٨٢ .

مجرد فضيلة من فضائل علي ، لا تقدم ولا تؤخر ، وورثوا هذه المقوله وهذا التأويل كما يورث المتع ، واعتبروا هذا الرأي تقليداً سنه السلف ولا يجوز الخروج عليه ، لأنهم لو قالوا غير ذلك لسحبوا بساط الشرعية من تحت أقدامبني أمية وبني العباس وبني عثمان ، وقد تمتد عملية سحب بساط الشرعية إلى غير هؤلاء ، ولكن في ذلك إثبات بأن الشيعة على حق ، وكيف تكون الشيعة على حق وقد ورثوا من الحكم أن الشيعة أعداء الدين .

#### ١٠- عيد يوم الغدير

لقد اتخد المسلمين يوم الغدير عيداً في الأزمنة المتقدمة ، وكانوا يحتفلون به في كل عام ، ولما آلت الأمور لأعداء أهل البيت أحجم المسلمون عن الإحتفال بهذا اليوم ، وتناسه الأجيال اللاحقة تحت ضغط الحكم رغبة أو رهبة ، وما زال هذا اليوم عيداً من أعظم أيام شيعة علي وللآن .<sup>(١)</sup>

#### ١١- صوم يوم الغدير شكرآ لله

روى أبو هريرة بسنده صحيح عند أهل السنة أن النبي ﷺ قال في يوم الغدير: «من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً». ثم قال أبو هريرة: وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ يهدى علي فقال: من كنت مولاه فعللي مولاها، اللهم وال من والاه وعاد من عاده ، وانصر من نصره . فقال عمر بن الخطاب: **بَيْخَ بَيْخَ لَكَ بَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ أَصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**<sup>(٢)</sup> . ويحاول علماء السلطة الطعن في سند هذا الحديث أو تأويله فلا يستطيعون ، فيصيّبهم الغضب !

○ ○

(١) راجع الغدير للعلامة الأميني: ٢٦٧/١ نقله عن الآثار الباقية في القرون الخالية للبيروني ٣٣٤ ، وراجع مطالب المسؤول: ٤٤/١ ، ووفيات الأعيان لابن خلkan: ٩٠/١ وترجمة المستعلي بن المتصر: ٢٢٣/١ وملحق المراجعات ٩٢/١

(٢) راجع ترجمة علي من تاريخ دمشق: ٧٥/٢ ح ٥٧٥ وشواهد التنزيل: ١٥٧/١ ح ٢١٠ و ٢١٣ والغدير للأميني: ٤٠٢/١ وتاريخ بغداد: ٢٩٠/٨ وفرائد السمعتين للحمويبي: ٧٧/١ ب ١٣ وملحق المراجعات ١٩٢-١٩٣ .

الفصل السادس

بتنصيب الإمام كمل الدين وتمت النعمة

بعد أن نصب رسول الله ﷺ علياً بن أبي طالب أمّاً طالب أمّاً الجماع الحاشد إماماً و الخليفة على أمته كمل الدين و تمت النعمة الإلهية ، فالمنظومة الحقوقية الإلهية مكتملة والولي من بعد النبي ﷺ قد نصب ، فيمكن للنبي أن يترك الدنيا وهو مطمئن على دينه وعلى أمته ، فما على الولي المنصب على إلا أن يتبع المشوار وفق المنهج الذي علمه النبي إياه طوال ثلث وعشرين عاماً . وبعد أن نصب النبي خليفة من بعده نزلت آية الإكمال: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»<sup>(١)</sup> . فلو أن النبي فارق الدنيا ولم ينصب الإمام والخليفة من بعده ولم يبين كيفية انتقال منصب الإمامة ، لنافي ذلك كمال الدين و تمام النعمة لأن الإمام هو القائم مقام النبي ومحور نظام الدين ونظام الدنيا .

وقد اكتشف الحكم ذلك ، فلم يصدق على الإطلاق أن مات حاكم دون أن يعين عملياً الحاكم الخليفة الذي يليه ، وقالوا: إن هذا حق مطلق لهم ! انظر إلى قول ابن خلدون عن الخليفة: « فهو ولهم والأمين عليهم ينظر لهم ، ذلك في حياته ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته ، ويقيم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ترجمة الإمام علي: ٧٥/٢ والمناقب لابن المغازلي ١٩٧ وشواهد التزيل للحسكاني الحنفي: ١٥٧/١ وتاريخ بغداد: ٢٩٠/٨ والدر المثور: ٢٥٩/٢ والاتفاق للسيوطى: ٣١/١ والمناقب للخوارزمي الحنفي: ٤٧/١ وينابيع المودة: ١١٥ وفائد السمعطين للحمويني: ٧٢/١ و٧٤ وتاريخ اليعقوبي: ٣٥/٢ وكتاب الولاية لابن جرير الطبرى وروح المعانى للأكوسى: ٥٥/٦ والبداية والنهاية لابن كثير: ٢١٣/٥ ... إلخ.

يتولاها ، ويثقون بنظره لهم في ذلك ، كما وثقوا به في ما قبل»<sup>(١)</sup>. فإذا لم يعين الخليفة القائم من يخلفه من بعده لكان موضع لوم ! أنظر بربك إلى قول عبد الله بن عمر لأبيه: « يا أمير المؤمنين استختلف على أمّة محمد ، فإنه لو جاءك راعي إبلك أو غنمك وترك إبله أو غنمه لا راعي لها للمنته وقلت له: كيف تركت أمانتك ضائعة فكيف يا أمير المؤمنين بأمة محمد »<sup>(٢)</sup> . ثم انظر قول عائشة أم المؤمنين لعبد الله بن عمر: « يا بني أبلغ عمر سلامي وقل له: لا تدع أمّة محمد بلا راع ، استختلف عليهم ولا تدعهم بعده هملاً ، فإني أخشى عليهم الفسحة ! فأتى عبد الله فأعلمه فقال: « ومن تأمرني أن أستختلف ؟ ... إلخ ». <sup>(٣)</sup> فكل الخلفاء طوال التاريخ أدركوا أن ترك الخليفة للأمة بدون أن يعين من يخلفه عمل ينافي الحكمة ويفتح باب الفتنة ، ويعرض من يفعله لللوم والطعن كما يتعرض الراعي عندما يترك غنمه أو إبله ! لهف نفسي على الإسلام ! فكيف يدرك كل هؤلاء الناس هذه الناحية ولا يدركها رسول الله ﷺ ! كيف يؤمن كل حاكم على تعين من يليه ولا يؤمن رسول الله ! كان أمّام الذين أعمّاهم التقليد واحد من طريقين: إما دين محمد كما بينه للناس ، وإما الدين كما فهمه الحكام فاختاروا دين الحكام لأنّهم مع من غالب: نحن مع من غالب ! تلك مقوله عبد الله بن عمر التي تحولت إلى نص شرعي ولا حول ولا قوّة إلا بالله ! فمن يعينه الحاكم من بعده سيحكم ، ومن يغلب كائناً من كان يحكم أمّة محمد !! والله عاقبة الأمور .

### الترتيب الإلهي لانتقال منصب الإمام بعد وفاة الولي

أنزل الله القرآن كرسالة وعقيدة إلهية إلىبني البشر . وكضرورة من ضرورات

(١) راجع مقدمة ابن خلدون فصل ١٢٠/٣٠ .

(٢) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٣٥٣/٢ .

(٣) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ٢٣/٢ .

بيان هذه العقيدة وتوضيحها أنزل القرآن على محمد ﷺ بالذات ، لأنه المُعَدُّ من قبل الله ليكون الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها التي هي المجموعة القانونية النافذة ، ولأنه الأفضل ولأنه هو الأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع في الحال والمال .

ومن هنا كان النبي مرشد الدعوة ، ورئيس الدولة ، وسيرته سواء قوله أو فعله أو تقريره سنة وجزء من العقيدة ، ولا أحد في الدنيا كلها ينوب عنه بهذه المهمة ولا أحد يعني عنه أو يسد مسده أثناء حياته المباركة . فمحمد كمرشد للدعوة وقائد للدولة مركز الدائرة ومرجع الأمة في كافة الشؤون الدينية والدنيوية .

### من هو صاحب الإختصاص بتعيين النبي للإمام؟

إن صاحب الإختصاص بتعيين الإمام هو الله سبحانه وتعالى ، لأن أول ولـيـ إـيـامـ وـرـئـيـسـ لـلـدـوـلـةـ إـلـاـ إـسـلـامـيـةـ هوـ مـحـمـدـ وـقـدـ عـيـنـهـ اللـهـ فـيـ هـذـاـ الـمـنـصـبـ ، لأنـهـ هوـ الـأـعـلـمـ بـالـعـقـيـدـةـ وـالـأـفـهـمـ وـالـأـفـضـلـ وـالـأـنـسـبـ ، لأنـهـ لاـ أـحـدـ يـعـرـفـ عـلـىـ وـجـهـ الـجـزـمـ وـالـيـقـيـنـ الـمـتـصـفـ بـهـذـهـ الصـفـاتـ إـلـاـ اللـهـ ، لـذـلـكـ حـصـرـ بـنـفـسـهـ حـقـ اـخـتـيـارـ هـذـاـ إـيـامـ أـوـ مـرـجـعـ أـوـ وـلـيـ وـتـقـدـيمـهـ لـلـنـاسـ ، وـخـوـلـهـ صـلـاحـيـةـ بـيـانـ الـعـقـيـدـةـ فـيـ كـلـ زـمـانـ وـصـلـاحـيـةـ الـمـرـجـعـيـةـ وـصـلـاحـيـةـ الـجـمـعـ بـيـنـ الـوـلـاـيـةـ عـلـىـ الـأـتـبـاعـ وـالـمـرـجـعـيـةـ فـيـ الـدـيـنـ وـالـدـنـيـاـ ، وـالـحـكـمـ بـيـنـ النـاسـ عـلـىـ ضـوءـ أـحـكـامـهـ .

### من هو هذا الإمام؟

إمام الأمة في كل زمان هو عميد أهل بيـتـ النـبـوـةـ ، لماـذاـ عـمـادـةـ أـهـلـ الـبـيـتـ بـالـذـاتـ؟ لأنـ القـرـآنـ ثـقـلـ وـأـهـلـ الـبـيـتـ ثـقـلـ آخرـ ، وـالـهـدـاـيـةـ لـاـ تـدـرـكـ إـلـاـ بـالـتـمـسـكـ بـهـمـاـ ، وـالـضـلـالـ لـاـ يـمـكـنـ تـجـنبـهـ إـلـاـ بـالـتـمـسـكـ بـهـمـاـ ، وـهـذـاـ لـيـسـ اـجـتـهـادـاـ إـنـماـ هوـ

نص شرعي ثابت في القرآن والسنة بفروعها الثلاثة القول والفعل والتقرير<sup>(١)</sup> ولأنهم للمسلمين بمثابة سفينة نوح من ركبها في كل زمان نجا ومن تخلف عنها غرق<sup>(٢)</sup> ولأنهم من جهة ثلاثة أمان الأمة من الإختلاف أعدهم الله لذلك<sup>(٣)</sup> ولأنهم ذرية محمد فكل نبي من الأنبياء جعل الله ذريته في صلبه ، وجعل ذرية محمد من علي وفاطمة<sup>(٤)</sup> . من هو صاحب الإختصاص بتعيين الخليفة من بعد النبي الإمام ؟ الأعلم بالعقيدة والأفهم لأحكامها ، والأفضل بين أتباعها والأنسب لقيادة هؤلاء الأتباع ، وتطبيق أحكام العقيدة ؟ لا أحد يعرفه على وجه الجزم واليقين إلا الله سبحانه وتعالى ، لذلك فهو المختص بتعيين الخليفة من بعد النبي . ومن هنا فإن الله قد اختار علياً بن أبي طالب خليفة وإماماً ومرجعاً للأمة بعد نبيها ، وأمر الله رسوله أن يعد خليفته وأن يوطد له ، حتى أصبح الأعلم بعد النبي والأفهم والأفضل والأنسب بعد النبي ، وهو المؤهل والمخلول لممارسة كافة الوظائف الدينية والدنيوية التي كان يمارسها الرسول باستثناء النبوة فلا نبي بعده ، وقد بين

(١) راجع على سبيل المثال: الترمذى: ٣٢٨/٥ ، ومسلم باب فضائل علي: ٣٦٢/٢ و ١٨١/١٥ شرح النووي وتفسير ابن كثير: ١١٣/٤ ومصابيح السنة ٢٠٦ وجامع الأصول: ١٨٧/١ وإحياء الميت للسيوطى بهامش الاتحاف/١١٤ والفتح الكبير للنهانى: ٥٠٣/١ والصواعق المحرقة لابن حجر/١٤٧ و ٢٢٦ والدر المتنور للسيوطى: ٦ و ٣٠٦ وذخائر العقى للطبرى/٦ والمعجم الصغير للطبرانى: ١٣٥/١ وكنز العمال: ١٥٤/١ والطبقات: ١٩٤/٢ والسيره الحلبية: ٣٢١/٣ هامش زيني دحلان وخصائص أمير المؤمنين للنسائي/٢١... إلخ.

(٢) راجع على سبيل المثال: تلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك والصواعق المحرقة لابن حجر/١٨٤ و ٢٣٤ وتاريخ الخلفاء للسيوطى وإسحاف الراغبين للصبان الشافعى ١٠٩ ومجموع الروايد للهيثمى: ١٦٨/٩ والمعجم الصغير للطبرانى: ٢٢/٢ و حلبة الأولياء لأبي نعيم: ٣٠٦/٤ والجامع الصغير للسيوطى: ١٣٢/٢ ومسند أحمد: ٩٢/٥ هامش .

(٣) الصواعق المحرقة ١٤٠ وإحياء الميت للسيوطى وذخائر العقى للطبرى/١٧ والجامع الصغير للسيوطى: ١٦١/٢ والفتح الكبير للنهانى: ٣٧٣/٣ ومسند أحمد: ٩٢/٥ وإسحاف الراغبين بهامش نور الأبصار/١٢٨ ... إلخ.

(٤) الصواعق المحرقة/١١٢ و ١٦٤/٣ ، وكنز العمال: ١٥٢/٦ والمناقب للخوارزمي/٢٧ .

الله لنا بنص رسوله أن علياً مع الحق والحق مع علي ، لذلك هو موضع ثقة على حد تفسير ابن خلدون في الفصل ٣٠ من مقدمته .

### من هو المختص بتعيين الخليفة الذي يلي خليفة النبي

طالما أن الخليفة بعد النبي مباشرة علي بن أبي طالب على الحق ومع الحق ، وطالما أنه مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان ، وطالما أنه الأفضل والأنساب والأعلم بشهادة الله ورسوله ﷺ ، فهو المخول بتعيين الخليفة الذي يليه ، وكل إمام يعين بنص من سبقه ، فهم أبناء النبي بنص القرآن الكريم ، وآية المباهلة تصفع كل مكابر على وجهه وتلوي أنفه ! فعندما قال تعالى: «فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَتِسَاءَنَا وَأَنْفَسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَاهُلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَادِيْنَ»<sup>(١)</sup> أجمعـتـ الأمـةـ عـلـىـ أـنـهـ نـزـلـتـ عـلـىـ النـبـيـ ﷺـ فـيـ فـاطـمـةـ وـالـحـسـنـ وـالـحـسـينـ عـلـيـهـمـ السـلـامـ فـالـحـسـنـ وـالـحـسـينـ بـحـكـمـ هـذـهـ الآـيـةـ وـحـدـهـمـ أـوـلـادـهـ .ـ فـبـأـيـ حـدـيـثـ بـعـدـهـ تـؤـمـنـونـ؟ـ وـأـيـ لـغـةـ يـمـكـنـ أـنـ تـحـمـلـ عـلـىـ تـرـكـ التـقـلـيدـ وـاتـبـاعـ الـحـقـ وـإـعـمـالـ الـعـقـلـ !!

(١) آية ٦١ من سورة آل عمران .

(٢) صحيح مسلم باب فضائل علي: ٣٦٠/٢ و ١٧٧/١٥: بشرح النووي والترمذى: ٢٩٣/٤ والمصدر على الصحيحين: ١٥٠/٣ وصححه ، ومسند الإمام أحمد: ١٨٥/١ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢١/١ وتفسير الطبرى: ٢٩٩/٣ و الكثاف للزمخشري: ٣٦٨/١ - ٣٧٠ و تفسير ابن كثير: ٣٧٠/١ - ٣٧١ و تفسير القرطبي: ١٠٤/٤ وأحكام القرآن للجصاص: ٢٩٥/٢ وأسباب التزول للواحدى: ٥٩ وأحكام القرآن لابن العربي: ٢٧٥/١ والتسهيل لعلوم التزيل للكلبى: ١٠٩/١ وزاد المسير لابن الجوزى: ٣٩٩/١ وفتح القدير للشوكاني: ٣٤٧/١ و تفسير الفخر الرازى: ٦٩٩/٢ و تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٩٦ والدر المثور للسيوطى: ٣٩ - ٣٨/٢ والصواعق المحرقة لابن حجر: ٧٢ و المناقب للخوارزمى: ٦٠ و الفصول المهمة لابن الصباغ المالكى: ١١٠ وأسد الغابة لابن الأثير: ٢٦/٤ والإصابة لابن حجر العسقلانى: ٥٠٩/٢ .. إلخ .

ثم لأنهم على الأقل من قريش عشيرة النبي ﷺ والخلافة في قريش .<sup>(١)</sup>  
وناصية قريش بالنص الشرعي هم بنو هاشم ، وناصية هاشم هم بنو عبد المطلب ،  
وناصية عبد المطلب هم محمد وأهل بيته ﷺ<sup>(٢)</sup> لأن الله قد طهرهم ، وآية  
التطهير لا تخفي على أحد ، فإن قالوا إنها في النساء فكيف تكون أزواج الرجل  
طاهرات وأولاده غير ذلك !! أو على الأقل من باب رد الإحسان ، لأنهم حوصروا  
ثلاث سنين في شباب أبي طالب ، وحفظوا رسول الله ودعوته .  
فهؤلاء الأئمة الإثنى عشر<sup>(٣)</sup> والأئمة الأطهار ، لا الحكماء ، لأن الحكماء من  
قريش بالمئات وليسوا اثنى عشر فقط .<sup>(٤)</sup>

### الحكمة من حصر الإمامة بأولاد محمد ﷺ

لأن الله طهرهم وأعدهم لذلك ، فلا خطر على الأمة منهم . ولقطع دابر التنافس  
والخلاف على منصب الإمامة ، إذ بغيرهم يتحول الملك لمن غالب ، فيحكم أمة  
محمد الغالب بالقهر ، بغض النظر عن دينه وعلمه وأمانته .  
وإذا كان منصب الإمام محصوراً بعمادة أهل البيت تطيب نفوس الجميع ، لأن  
حاكمهم هو ابن النبي ﷺ ، فيعم الاستقرار وتهنأ النفوس وتهدأ الأطماع .

### دور الأمة بتعيين الإمام

### الأمة المؤمنة الجادة الصادقة الوعية ، تبحث عن الأعلم بالعقيدة والأفهم

(١) راجع كنز العمال: ٢٥/١٢ نقله عن أحمد في مسنده وعن الطبراني في الكبير والبيهقي في السنن وعن الحاكم في المستدرك . وقد روی قرابة مائة حديث تفيد أن الأمر في قريش ، وروي هذه الأحاديث كل أصحاب السنن راجع الأحاديث ٣٣٧٨٩ - ٣٣٨٩٠: ١٢ من الكنز .

(٢) كنز العمال: ٤٣/٢ نقله عن الحاكم في مستدركه ، وعن البيهقي في سنته ، وعن الطبراني في الكبير ، وعن ابن عساكر ، فراجع: ٤٣/١٢ و ٥٨ من الكنز للمتنقي الهندي .

(٣) راجع كنز العمال: ٢٤/١٢ ، وقد نقله عن البخاري ومسلم .

(٤) ويمكن لمن أراد معرفة أسماء حكام قريش وعددهم أن يراجع مروج الذهب للمسعودي .

لأحكام منظومتها الحقوقية الإلهية . والمسؤول الأول عن تطبيق هذا القانون هو الإمام ، فإذا لم يكن الإمام هو الأعلم والأفهم يقع المحظور . والأمة من جهة ثانية تبحث عن أفضل أفرادها ، لأن من مصلحة الجميع ومن بواعث فخر الجميع أن يحكم الأفضل . وتباحث عن الأنسب ليقودها على درب الله . ولا يستطيع أي فرد من أفرادها ، ولا أي جماعة ، ولا هي مجتمعة أن تعرف على سبيل الجزم واليقين من هو الأعلم والأفهم والأفضل والأنسب ! فالذى يعرف ذلك على وجه الجزم واليقين هو الله سبحانه وتعالى ، لذلك رحمة بعباده المؤمنين يتلطف فيخبرهم أن هذا هو صاحبكم الذي تبحثون عنه ، وهو المؤهل لقيادتكم وقيادة مسيرة الإيمان في العالم ، وكأمة مؤمنة عاقلة واعية تقبل التكيف الإلهي وتفرح ، لأنها عثرت على بعثتها ، فتقبل عليه وتباعده بالرضا لا بالإكراه ، ليكون إماماً لها وقائداً لمسيرتها ، وب مجرد تمام البيعة يصبح الإمام الذي رشحه الله القائد الفعلى للأمة ، ويوضع المنظومة الحقوقية الإلهية موضع التطبيق ، بالتعاون مع الأمة .

#### الإنفصال بين الواقع والشرعية

أما إذا لم تقبل الأمة بالتكيف الإلهي وفتشت لنفسها وبقدراتها عن شخص آخر اعتقدت أنه الأفضل والأنسب لقيادتها ، عندئذ تحدث عملية انفصال بين الشرعية والواقع ، فيكون الحاكم القابض على مقاليد الأمور فعلياً شخصاً والإمام المعين من قبل الله شخصاً آخر لا سلطة بيديه ، ويتعذر عليه أن يتأمر على أناس لا يقبلون به ، ودينه يمنعه من اللجوء إلى أساليب غير شرعية للوصول إلى السلطة ! ومع الأيام يستحوذ الحاكم على السلطة والمرجعية ، فيزعم بأنه خليفة النبي والقائم مقامه ، ومن يعارض ذلك يهز الحاكم بوجهه عصا السلطة .

فالحسين بن علي بن أبي طالب إمام بالنص ، وولي بالنص ، ومرجع بالنص ، وهو القدوة في زمانه بالنص . ولكن الأمة رغبة أو رهبة بايَعت يزيد بن معاوية فأصبح يزيد هو الحاكم الواقعي (الخليفة) ، أما الحسين فهو الإمام الشرعي ولكنَه غير قادر على ممارسة صلحياته ، لأنَّ يزيد استولى عليها بالقوة والغضب وسكتت الأمة عليه وبايَعته طوعاً أو كرهاً وأدارت ظهرها لإمامها الشرعي ، وعلى الحسين أن يقبل بالأمر الواقع أو يواجه قوة السلطة ، التي تدرج بالضغط عليه بكل وسائل الدولة وإمكانياتها التي قد تصل إلى إنزال عقوبة الموت بالإمام ! فالسلطة بمثابة زوجة شرعية للإمام الحسين ولكل إمام معين وفق الشرع ، فجاء الحكم بالقوة والغلبة والقهر واغتصب الزوجة من زوجها ، ولن يهنا قبل أن يموت هذا الزوج الشرعي ، حتى لا تعود الزوجة لزوجها الشرعي خلسة .

### الأئمة الشرعيون

١ - علي بن أبي طالب . ٢ - الحسن بن علي . ٣ - الحسين بن علي . ٤ - زين العابدين بن الحسين . ٥ - ابنه محمد الباقر . ٦ - ابنه جعفر الصادق . ٧ - ابنه موسى الكاظم . ٨ - ابنه علي الرضا . ٩ - ابنه محمد الجواد . ١٠ - ابنه علي الهادي . ١١ - ابنه الحسن العسكري . ١٢ - ابنه محمد بن الحسن المهدى .

### استكشاف المستقبل أمام الولي وخليفة النبي

أدى رسول الله الأمانة وبلغ الرسالة وبين كل شيء ، ونصب ولي عهده وخليفته من بعده كما أمره الله ، وبلغ أفراد الأمة وجماعاتها بذلك ، ثم أعلن القرار الإلهي أمام مائة ألف مسلم ، وهنا الجميع علياً بذلك ، وعلى رأس المهندين عمر بن الخطاب ، ولاح أن كل شيء في مكانه الصحيح ، وأن الأمور ستجري رحاء وبريق ملائمة . ولم يكتف النبي بذلك إنما نقل أصحابه ذهنياً معه وكشف

أمامهم بعض مضائق المستقبل فقال أمام كبار أصحابه وفيهم أبو بكر وعمر: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر . قال أبو بكر : أنا هو ؟ قال النبي: لا ، قال عمر: أنا هو ؟ قال النبي: لا ، ولكنه خاصف النعل ، يعني علياً . قال أبو سعيد الخدري: فبشرناه فلم يرفع رأسه ، كأنه قد كان سمعه من رسول الله». <sup>(١)</sup>

وها هو النبي يكشف لخلفيته الأمور فيقول له: «أما أنت ستلقى بعدي جهاداً ! فقال علي: في سلام من ديني ؟ قال النبي: نعم ، في سلام من دينك»<sup>(٢)</sup> . ولم يكتف النبي بذلك ، إنما أخبر ولية وخلفيته من بعده: «أن الأمة ستغدر به بعد وفاته»<sup>(٣)</sup> . والأهم أنهم سيقاتلونه إذ قال له النبي ﷺ: «يا علي ستقاتلك الفتنة البااغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني»<sup>(٤)</sup> ويحاول النبي بكل جهوده لتنبيه الأمة فيقول مرة لأحد أصحابه: «يا أبا رافع سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً ، حق على الله جهادهم ، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه ، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه»<sup>(٥)</sup> .

(١) راجع مطالب المسؤول لابن طلحة الشافعي: ٦٤/١ والمناقب للخوارزمي الحنفي ١٨٣/١ ونظم درر السعطين للزرندى الحنفى ١١٥ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٣٧/٣ و قريب منه خصائص النسائي ١٣١ ومستند الإمام أحمد: ٣٧/٥ الهاشمى وحلية الأولياء: ٦٧/١ وأسد الغابة: ٢٨٢/٣ والرياض النبرة: ٢٥٢/٢ وذخائر العقبي ٦٧ ومناقب علي لابن المغازلى ٢٩٨ وشرح النهج: ٢٧٧/٢ ومجمع الزوائد: ٣٣/٩ وتاريخ الخلفاء للسيوطى ١٧٣ والصواعق المحرقة ٧٤ والإصابة: ٣٩٢/٢ وكنز العمال: ٩٤/١٥ . وراجع ملحق المراجعات ١٦١-١٦٢.

(٢) راجع المستدرك للحاكم: ١٤٠/٣ وتلخيص المستدرك للذهبي بذيل المستدرك ، ونظم درر السعطين للزرندى الحنفى ١١٨ ومنتخب كنز العمال بهامش مستند الإمام أحمد: ٣٤/٥ وفضائل الخمسة: ٥٣/٣ والملحق ١٦١.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحميد: ٤٥/٦ وال نهاية: ٢١٨/٦ وفضائل الخمسة: ٥١/٣ وتلخيص الشافى للطوسى: ٥١/٣ .

(٤) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٧١/٣ والغدير للأمينى: ١٩٣/٣ ومنتخب الكنز: ٣٢/٥ .

(٥) مجمع الزوائد: ١٣٤/٣ وترجمة علي من تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٢٣/٣ وملحق المراجعات ١٦٤ .

### نُسُف الصيغة السياسيّة الجاهليّة

الترتيبات الإلهيّة المتعلّقة بمنصب رئاسة الدولة نَسْفت تماماً الصيغة السياسيّة الجاهليّة ، فالقيادة في نظر الإسلام اختصاصٌ وعملٌ فني تماماً ، يتصدى له الأعلم والأفهم ، والأفضل والأنسب للقيادة من بين أتباعه ، بغض النظر عن بطنه أو قبيلته . بينما الصيغة السياسيّة الجاهليّة قائمة على اعتبار القيادة بمثابة شركة ، ولكل بطن سهم فيها ، فقد توصلت هذه البطون إلى صيغة لاقتسام المناصب السياسيّة فيما بينها ، من قيادة ورفادة وسقاية ولواء وسفارة... إلخ. وكانوا يسمونها مناصب الشرف . ولاح لهذه البطون أنها أفضل صيغة ، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب ، ولا مصلحة لأي بطن في تغيير هذه الصيغة ، مما جعلها عنوان عقيدة سياسيّة ، وأثراً مأثوراً مما تركه الأولون ومن غير الجائز الخروج عليه ! ولذا حاولت كل قبائل قريش أن تمنع ظهور نبي من بنى هاشم وقاومته بكل قواها ، ولكنها فشلت فكانت نبوة بنى هاشم قدرًا لا مفر منه ! لكن لا يجوز أن تكون الخلافة أو الملك لهم أيضاً فمن غير المعقول أن يعطيهم الله النبوة والخلافة معاً ! ومن هنا فإن الترتيبات الإلهيّة المتعلّقة بالخلافة بعد النبي أثارت حفيظة قريش وحدها ، وتم خضوع حسدها عن شعار: «لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة» و كان هذا الشعار ملجموماً بوجود النبي ﷺ لكن الفرصة مهياً لظهوره . وربطاً منهجياً للموضوع أسوق معالجتي التاريخيّة له مرة ثانية في هذا الباب ، لتكميل الصورة ويتم استيعاب الموضوع .

## الفصل السابع

### الإنقلاب وتقويض الشرعية

#### المناخ التاريخي الذي ساعد على نجاح الإنقلاب

أ - تكون بطون قريش من خمسة وعشرين بطنًا<sup>(١)</sup> وأشرفها على الإطلاق وأفضلها بالنص الشرعي: بنو هاشم بن عبد مناف ،<sup>(٢)</sup> ويليهم بالشرف بنو عبد المطلب بن عبد مناف ، وبنو الحارث بن عبد مناف ، وبنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبنو نوفل بن عبد مناف... وهؤلاء سادة قريش بعد أبيهم ، وهم أول من أخذ العصم لقريش ، فقد أخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام ، وأخذ عبد شمس حبلاً من النجاشي ، وأخذ نوفل حبلاً من الأكاسرة ، وأخذ المطلب حبلاً من حمير ، فاختلت قريش بهذه الأسباب إلى بلاد العالم . وكان يقال لهم ويقال لهم المجبرون ، وأقداح النصارى لفخرهم وسيادتهم على العرب<sup>(٣)</sup>.

---

(١) راجع مروج الذهب للسعودي: ٢٩١/٢.

(٢) راجع السيرة الحلبية: ٤-٣١ ، والجامع للأصول في أحاديث الرسول لعلي ناصيف: ٤١٩/٣ وما فوق ، والسيرات الدخلانية بهامش السيرة الحلبية: ١١-٤/١ والطبقات لابن سعد ، والخطبة ١٨٥/٢-١٥٦ من شرح النهج .

(٣) الطبقات: ٧٥/١ و تاريخ الطبرى: ١٨٠/٢ و كتابنا النظام السياسي في الإسلام: ٩٣ .

**ب - وصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية** في اقسام مناصب الشرف فيما بينها من قيادة ولواء وندوة وسقاية ورفادة وسفارة ، ولاح لها أنها أفضل صيغة سياسية على الإطلاق ، إذ ليس فيها غالب ولا مغلوب ، ومع الأيام صارت قدرًا موروثاً وعقيدة سياسية ، ومن غير الجائز الخروج عليه من قبل أي كان .

**ت - محاولات لزعزعة الصيغة:** مرت على قريش سنين عجاف لم يكن لمكة غير هاشم ، يطعم الناس ويساعدهم ، فقيل له أبو البطحاء وسيد البطحاء ، ولم تزل مائدة منصوبة في النساء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل ويؤمن الخائف<sup>(١)</sup> فحسده أمية بن عبد شمس وتكلف أن يصنع ما يصنع هاشم فعجز عن ذلك ، فغيرته قريش ، فدعا هاشماً للمنافرة والإحتكام إلى أحد الكهان ليحكم أيهما أفضل ، فأبى هاشم ، ثم تنافرا على خمسين ناقة وعلى الجلاء عن مكة عشر سنين ، فقضى الحكم بأن هاشماً أشرف من أمية ، فنحرت النوق وجلى أمية إلى الشام ، فكانت هذه بذرة العداء الأولى بين الابتين الهاشمي والأموي ، وخشي الأمويون أن يشكل هاشم خطراً على الصيغة القرشية لأن القيادة بيدبني عبد شمس .<sup>(٢)</sup>

**ث - توقع ظهور نبي:** شاع في مكة أن نبياً سيعث وأنه سيكون من سلالة عبد مناف ، ومن اهتم بهذه الإشاعة أبو سفيان لأن هذا النبي سينسف الصيغة السياسية ويأخذ منه القيادة ، ولكنه اطمأن بعد مدة إلى أنه لا يوجد من هو جدير

(١) تاريخ الطبرى: ١٨٠/٣ والسيرى الحلبى: ٥/١ والطبقات لابن سعد: ٧٧١، و: ٢٧٩/٢ من تاريخ الطبرى .

(٢) راجع السيرة الحلبى: ١٥/١ وكتابنا النظام السياسى فى الإسلام / ١٧٠ - ١٧٢ .

بالنبوة سواه<sup>(١)</sup>

**ج - إعلان النبوة:** أُعلن محمد الهاشمي أنه النبي المرتقب ، الذي اختاره الله لهداية العرب خاصة والبشر عامة ، وأن برهانه على نبوته كلام الله ، واتبعه نفر قليل من عرّفوا بالحصافة وبعد النظر ، أو من أولئك الذين مستهم البشرية مساً أليماً.

**ح - احتضن الهاشميين النبي:** بكل قوة ، وهددت زعامة قريش بقتل محمد وأشيع أنه قتل ، فجمع أبو طالب بنى هاشم وأعطى كل واحد منهم حديدة صارمة ، وسار مع الهاشميين والمطليين ، ونادى ( يا عشر قريش هل تدرؤون ما هممت به ؟ قالوا: لا ، فأخبر الخبر وقال للفتيان: إكشفوا عما في أيديكم ، فكشفوا فإذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة ، فقال أبو طالب: والله لو قلتمنوه ما أبقيت منكم أحداً حتى نتفانى وإياكم ! فانكسر القوم ، وكان أشدهم انكساراً أبو جهل !<sup>(٢)</sup> .

**خ - حفاظاً على الصيغة السياسية وحسداً ، لاحباً بالأصنام:** قاومت بطون قريش بقيادة أبي سفيان محمداً بكل أساليب المقاومة ، ورفض بنو هاشم مطلبها أن تسلّم لها النبي ﷺ لقتله ، فاتفقت بطون قريش بدون استثناء على ما يلي:

١ - مقاطعة بنى هاشم مقاطعة تامة ، فمقاطعتهم بما فيهم بنو عدي وبنى تم ، وحصروهم في شعاب أبي طالب ثلاث سنين ، واضطروهم أن يأكلوا ورق

(١) السيرة الحلبية: ٨٠/١.

(٢) راجع الطبقات لابن سعد: ٢٠٢-٢٠٣.

الشجر من الجوع ، واضطر أطفالهم أن يمتصوا الرمال من العطش . تلك حقيقة كالشمس لا يجادل بها أحد ، ولم يركع محمد ولم يركع الهاشميون ، وأبطل الله كيد بطون قريش وزعامتهم ، وفشل الحصار بعد مقاطعة استمرت ثلاث سنين وأكثر !

٢ - عندما سمعت قريش أن محمداً سيهاجر إلى يثرب بعد أن تمكّن من إيجاد قاعدة له ، قررت بطون مكة بالإجماع أن تقتله ، فاختاروا من كل قبيلة رجلاً حتى يضرره هؤلاء الرجال دفعه واحدة فيضيع دمه بين القبائل ، ولا يقوى الهاشميون على مطالبة الجميع بدمه ، لأنّه إن ذهب إلى يثرب نجح وسلّبهم القيادة والشرف ، وباللحظة التي أجمعوا أمرهم دخلوا فوجدوا علياً بن أبي طالب نائماً في فراشه ، وجن جنون القيادة المكية ، وخصّصت الجوائز لمن يقبض على محمد حياً أو ميتاً ، بينما كان محمد وصاحبه وذيلهما المشرك يشقّون طريقهم سالمين بإذن الله ، وتلك حقيقة ساطعة كالشمس لا تحتاج إلى دليل<sup>(١)</sup> .

د - حروب من أجل الصيغة السياسية وحسداً لا حباً بالأصنام: لم تيأس بطون قريش وقيادتها من هزيمة محمد وبني هاشم ودينهم ، ولم ييأس محمد والهاشميون وأرّ صاحبه من هزيمة الشرك وقيادته ، وانقسم العرب أثلاثاً ، قسم مع قريش وقيادتها المشركة ، وقسم قليل مع محمد ، والقسم الثالث يتربص ليتبع الغالب ، واشتعلت الحروب في بدر وأحد ، وجيشت زعامة قريش بالتحالف مع اليهود جيش الأحزاب ، وزحفت إلى المدينة فاعتصم النبي ﷺ بالمدينة ، وفشلت الأحزاب .

(١) راجع على سيل المثال السيرة الحلبية: ٨٠/١ والطبقات لابن سعد: ٢٠٩ - ٢٠٨/١ والسيرة الحلبية: ٣٣٢/١.

وبعد ستين فوجئت قريش بجند الله يدخل مكة عاصمة الشرك ، وركعت زعامة مكة واضطرت للدخول في الإسلام ، وبركتها رفع كل العرب ، ودانت الجزيرة لدولة النبي ﷺ، وأخذ العرب يدخلون في دين الله أفواجاً .

ذ- النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه: رفضت بطون قريش بزعامتها الأموية الدين المحمدي ونبوة محمد الهاشمي ، بكل صنوف الرفض وألوانه ، وقاومته بكل فنون المقاومة ، لا وفاء للأصنام ولكنها تكره أن يأتي الدين عن طريق هاشمي فتكون للهاشمين القيادة وتهتز الصيغة السياسية ! وأخيراً فوجيء أبو سفيان بعشرة آلاف مقاتل قرب مكة ويوقه العباس فيرى جند الله فيدخل الربع في قلبه وينزع منه فتيل المقاومة ويفصح عن حقيقة تصوراته لدعوة محمد فيقول: (ما رأيت ملكاً مثل هذا لا ملك كسرى ولا ملك قيسراً ولا ملكبني الأصفر) <sup>(١)</sup> ويجره العباس إلى محمد فيقول له النبي ﷺ: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ فيقول أبو سفيان: لقد ظنت أنه لو كان مع الله إله غيره لأغنى عنِّي شيئاً. قال ﷺ: يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟ قال أبو سفيان: أما والله فإن في النفس حتى الآن منها شيء! صاح العباس: ويحك يا أبا سفيان أسلم وشاهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك»! هنا فقط بعد ذكر ضرب العنق ، وبعد الإحاطة وضعف الحيلة أسلم لينجو بنفسه ! ودهش أبو سفيان وهو ينظر للنبي فقال في نفسه: «ليت شعرى بأي شيء غلبني؟ فأوحى الله إلى نبيه بما في صدر أبي سفيان فقال له الرسول: غالبتك بالله».

(١) السيرة الحلبية: ٧٩ / ٣ وما فوق ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

وأدركت بطون قريش أن النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه ولا محيد عنه ، ولو كان لها أي دور باختيارها لما قبلت أبداً أن يكون النبي من بنى هاشم . وبما أن النبوة ظاهرة لن تتكرر ولن يلحق أي بطن من بطون قريش ببني هاشم ، فقد سبقوه تماماً واهتزت صيغة قريش السياسية ونسفت تماماً ، فأضمرت قريش على العمل لوقف ما تعتبره زحفاً هاشمياً للجمع بين النبوة والملك !

وكان أكثر البطون رفضاً واندفعاً لوقف الزحف الهاشمي بنو أمية ، لكن أبو سفيان خضع موقتاً للأمر الواقع ، فاتهمه بقية زعماء قريش بالضعف والتواطؤ مع النبي ﷺ لأنه من بنى عبد مناف ، فعزلوه وأمروا على قريش بدلته سهيل بن عمرو السهمي ، فاضطر أبو سفيان أن يترك مكة ويلجأ إلى المدينة ، فأرسله النبي ﷺ جابياً للصدقات في نجران !

**ر - التيار الغلاب:** تحولت مقوله: «لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الملك» إلى تيار غلاب ساكن في نفوس زعماء قريش ، لكنه ملجم بوجود النبي ﷺ ، ونشط سهيل بن عمرو في قيادة قريش بهذا الإتجاه ، يبحث عنمن يتبنى هذه المقوله ويعمل لها معهم من أصحاب محمد .

**ز - التكيف الشرعي لمقوله: لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة:** هذه مقوله جاهلية من كل الوجوه ، وتعارض معارضه تامة مع النصوص الشرعية ، ومع النظم السياسية المشتقة من العقائد الإلهية ، فداود نبي وورثه ابنه سليمان فجمع كل واحد منهم النبوة والخلافة معاً ، وأوتى الأنبياء وذرياتهم الحكم والنبوة والكتاب ، ولم يعرض عليهم أحد لأن الفضل بيد الله . والخلافة منصب ديني وبالدرجة الأولى ثم دنيوي وال الخليفة قائم مقام النبي ، ومن مهام النبوة البيان

والحكم ، وعملية البيان والحكم عملية فنية تماماً واحتراصاً .

ومن هو على علم بالتقاطع الأساسية الإسلامية ، يتبيّن له بأقل جهد أن هذه المقوله نسفاً تماماً النظام السياسي الإسلامي كنظام إلهي وفراغته تماماً من مضمونه ، وحولته من الناحية العملية إلى نظام وضعى ، لا يختلف عن الأنظمه الوضعية إلا بالشكل سياسياً ! والأهم من ذلك أن رئاسة الدولة صارت غنيمة وطعنة يأكلها الغالب وحده ، وبعد أن يغلب يجلس على كرسي النبي أو حصيرته ، ويلبس جبة الإسلام فإذا هو خليفة ، فإن غالب الطلاق الذي قاتل الإسلام ونبيه بكل فنون القتال حتى أحبط به فأسلم رغبة أو رهبة فإنه يتآمر على المهاجر الذي قاتل مع الإسلام كل معاركه ! ويصبح ولـي الله المخصص شرعاً لرئاسة الدولة الإسلامية مجرد مواطن عادي من رعاياه ! يتكلم الجاهل ويسكت العالم ، ويتقدم المحاصرون بالكسر ويتأخر المحاصرون بالفتح..! كل هذا من أجل إنصاف القبائل الأخرى ومنع الهاشميـن من أن يجمعوا مع النبوة الخلافة ، أو بتعـير أدق من أجل العودة عملياً إلى الصيغة السياسية التي كانت سائدة قبل الإسلام ، ولكن بثوبها الجديد (الإسلامي) ! فالصيغة السياسية الجاهلية كانت تقوم على اقتسام مناصب الشرف ، بحيث تأخذ كل قبيلة نصيبها منها . أما الأحكام الالهية المتعلقة بالنظام السياسي الإسلامي فهي موضوع آخر ، لأنها لا تستجيب للصيغة السياسية التي وجدت قبل الإسلام في مكة .

س- افتئاع الفاروق بالمقوله وتطویرها على يديه: لسوء الحظ أن الفاروق قد

اقتنع بالمقوله القرشيـه «تحريم الخلافة على بنـي هاشـم» وهو يلتقي هنا مع التيار الغـلـاب السـاكـنـ في نفـوسـ قـريـشـ ، والمـتأـهـبـ للظهورـ بعدـ وفـاةـ النـبـيـ ﷺـ .

وقد أضفى عليها الفاروق ثوب الشرعية فوصفها بأنها الصواب والتوفيق ، وأن الغاية منها منع الإجحاف الهاشمي على بطون قريش ، وهكذا طورها وألبسها ثوب الشرعية فشققت طريقها بيسر وسهولة بلا حرج تختال بثوبها الشرعي مخفية أحاسيسها الجاهلية .

ومن جهة أخرى فإن الخليفة المقترن من النبي ﷺ وهو علي بالذات نكل ببطون قريش ، فليس فيها بطن إلا وله دم عند علي ، فهو قاتل سادات بنى أمية في بدر ، وقاتل حنظلة بن أبي سفيان ، وقاتل العاص بن هشام بن المغيرة ، وهشام هذا هو حال الفاروق <sup>(١)</sup> ثم إن علياً هو الذي كفى رسول الله كفار العرب بسيفه ورممه ، فكيف يرضي أبو سفيان عن قاتل ابنه وأولاد عمومته؟ وكيف تتقبل هند وابنها معاوية رئاسة الذين قتلوا الأهل والأحبة؟ عمر قد يقبل قاتل خاله ، ولكن غيره لا يتقبل ولا يقبل .

ثم إن الرسول ﷺ لا لوم عليه فهو لم يقتل بيديه إنما كان القاتل علي ، فعصبت قريش دماءها بعلي ، ووجهت لومها وكراهيتها له ، مع الإحتفاظ بهويتها الإسلامية وولائها للنبي بالذات ، فلو أخذت قريش بما تسميه بالفضائل التي أضفها النبي علي وسلمت له الخلافة فإن قريشاً لن تتحد في ظل حكمه بل ستفرق وتختلف وينعكس هذا الإنفصال وهذا الإنتحار على مستقبل الإسلام ومستقبل الولاء للنبي بالذات ، وقد تقع الفتنة مع ما تجره من عواقب وخيمة على الإسلام وال المسلمين .

بهذا وحده يمكن أن نفسر الإندفاع الهائل لأمير المؤمنين في هذا التوجه ، وسر الإنتحار بينه وبين بطون قريش على شعار لا يجمع الهاشميون الخلافة

(١) الطبقات: ج ٢ ص ١٧ - ١٨

والنبوة ، حتى تحول الفاروق عمر إلى مخطط ومنظر حقيقي وأوحد لهذا التيار .

شـ-ـكيف تبني الفاروق هذه المقولـة ونظر لها: قال عمر لابن عباس أثناء خلافته: «يا ابن عباس أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد؟» قال ابن عباس: فكرهـت أن أجـبيـهـ فـقـلـتـ: إـنـ لـمـ أـكـنـ أـدـرـيـ فإنـ أمـيرـ المؤـمنـينـ يـدـرـيـ .» قال عمر: كـرـهـواـ أـنـ يـجـمـعـواـ لـكـمـ النـبـوـةـ وـالـخـلـافـةـ فـتـجـحـفـواـ عـلـىـ قـوـمـكـ،ـ فـاـخـتـارـتـ قـرـيـشـ لـأـنـفـسـهـاـ فـأـصـابـتـ وـوـقـتـ .» قال فـقـلـتـ: ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ إـنـ تـأـذـنـ لـيـ فـيـ الـكـلـامـ وـتـمـيـطـ عـنـيـ الـغـضـبـ تـكـلـمـ .» قال: نـكـلـمـ .» قال ابن عباس فـقـلـتـ: أماـ قـوـلـكـ ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ اـخـتـارـتـ قـرـيـشـ لـأـنـفـسـهـاـ فـأـصـابـتـ وـوـقـتـ ،ـ فـلـوـ أـنـ قـرـيـشاـ اـخـتـارـتـ لـأـنـفـسـهـاـ مـنـ حـيـثـ اـخـتـارـ اللـهـ لـهـاـ لـكـانـ الصـوـابـ بـيـدـهاـ غـيـرـ مـرـدـودـ وـلـاـ مـحـسـودـ ،ـ وـأـمـاـ قـوـلـكـ: إـنـهـ أـبـواـ أـنـ تـكـوـنـ لـنـاـ النـبـوـةـ وـالـخـلـافـةـ ،ـ فـإـنـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ وـصـفـ قـوـمـاـ بـالـكـراـهـيـةـ فـقـالـ: ذـلـكـ بـأـنـهـمـ كـرـهـواـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ فـأـخـبـطـ أـعـمـالـهـمـ !» فـقـالـ عمرـ: هـيـهـاتـ ياـ اـبـنـ عـبـاسـ قـدـ كـانـتـ تـبـلـغـنـيـ عـنـكـ أـشـيـاءـ أـكـرـهـ أـنـ أـقـرـكـ عـلـيـهـاـ ،ـ فـتـنـزـلـ مـنـزـلـتـكـ مـنـيـ .» فـقـلـتـ: ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ إـنـ كـانـ حـقـاـ فـمـاـ يـنـبـغـيـ أـنـ تـنـزـلـ مـنـزـلـتـيـ مـنـكـ ،ـ وـإـنـ كـانـ بـاطـلـاـ فـمـثـلـيـ أـمـاطـ الـبـاطـلـ عـنـ نـفـسـهـ .» فـقـالـ عمرـ: بـلـغـنـيـ أـنـكـ تـقـولـ صـرـفـوـهـاـ عـنـ حـسـداـ وـبـغـيـاـ وـظـلـمـاـ .» قال ابن عباس فـقـلـتـ: أماـ قـوـلـكـ ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ ظـلـمـاـ فـقـدـ تـبـيـنـ لـلـجـاهـلـ وـالـحـلـيمـ وـأـمـاـ قـوـلـكـ حـسـداـ ،ـ فـإـنـ آـدـمـ حـسـدـ وـنـحـنـ وـلـدـهـ الـمـحـسـودـونـ !» فـقـالـ عمرـ: هـيـهـاتـ هـيـهـاتـ ،ـ أـبـتـ وـالـلـهـ قـلـوبـكـمـ ياـ بـنـيـ هـاشـمـ إـلـاـ حـسـداـ لـاـ يـزـوـلـ .» قال فـقـلـتـ: ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ مـهـلاـ لـاـ تـصـفـ بـهـذـاـ قـلـوبـ قـوـمـ أـذـهـبـ اللـهـ عـنـهـمـ الرـجـسـ وـطـهـرـهـمـ تـطـهـيرـاـ...»<sup>(١)</sup>.

(١) الكامل: ٢٤/٣ وشرح النهج: ١٠٧/٣، و٩٧/٢ من شرح النهج وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام.

والواقعة التالية التي يرويها المسعودي في كتابه مروج الذهب بين ابن عباس وبين الفاروق رضي الله عنهما ، تؤكد حدوث الإنقلاب الفكري وانفلات التيار المغلوب الذي كان ساكناً في النفوس وملجوماً أثناء حياته عليه السلام قبل أن تتأسس دولة الخلافة:

ذكر عبد الله بن عباس أن عمر أرسل إليه فقال: « يا ابن عباس ، إن عامل حمص قد هلك وكان من أهل الخير ، وأهل الخير قليل ، وقد رجوت أن تكون منهم ، وفي نفسي منك شئ وأعياني ذلك ، فما رأيك في العمل؟ قال ابن عباس: لن أعمل حتى تخبرني بالذى في نفسك . قال عمر: ما تريده إلى ذلك؟ قال ابن عباس: أريده فإن كان شئ أخاف منه على نفسي خشيت منه عليها الذي خشيت وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنني لست من أهله ، فقبلت عملك هنالك ، فإني قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته . فقال: يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت (يعني موت عمر) وأنت في عملك فتقول: هلم إلينا ، ولا هلم إليكم دون غيركم ! إني رأيت رسول الله استعمل الناس وترككم . قال: والله قد رأيت من ذلك ، فلم تراه فعل ذلك؟ قال عمر: والله ما أدرى أحسنكم عن العمل فأهل ذلك أنتم ، أم خشي أن تبايعوا بمنزلتكم منه فيصبح العتاب ولا بد من عتاب ، وقد فرغت لك من ذلك بما رأيك . قال ابن عباس: قلت: أرى ألا أعمل لك ، قال: ولم؟ قلت: إن عملت لك وفي نفسك ما فيها لم أبرح قذى في عينك؟ قال: فأشر علي؟ قلت: إني أرى أن تستعمل صحيحاً منك صحيحاً عليك<sup>(١)</sup>. فمن فرط حرصه على مصلحة المسلمين يريد حتى بعد موته أن يتأكد بأن الهاشميين لن يسلطوا على رقاب الناس ، ولن يحكموا أمة محمد !!

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٢٥٣/٢.

وبالإجمال فقد تحولت هذه المقوله إلى تيار غلاب أوضح عن ذاته ، وفرض نفسه كقناعة عامة تومن بها السلطة القرشية ، على اعتبار أن هذه المقوله هي الوسيلة المثلثى لمنع الإجحاف الهاشمى ، وإنصاف البطون القرشية لتناول الخلافة في ما بينها كرد على النبوة الهاشمية ، أو كتعويض لها عن الإختصاص الهاشمى بها ! وأخيراً بأعتبار أن هذه المقوله مظهر من مظاهر هداية قريش وتوفيقها على حد تفسير الفاروق!

### ص- التائج التي ترتب على تكريس مبدأ عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة

١- النتيجة الأولى: زوال الفوارق نهائياً بين الذين قاتلوا الإسلام بكل فنون القتال حتى أحبط بهم فأسلموا ، وبين أولئك الذين قاتلوا مع الإسلام كل معاركه حتى أعز الله دينه ونصر نبيه وأقام دولة الإيمان ، فالكل مسلم لا فرق من الناحية السياسية بين هذا وذاك ، فكلهم مسلم وكلهم في الجنة ، فالهاشمى الذي حاصرته قريش ثلاث سنين هو تماماً مثل أي شخص كان على الشرك واشتراك بالحصار ، ألم يسلم ذلك الشخص ؟ أليس الإسلام يجب ما قبله ؟ فلو أن حمزة سيد الشهداء رجع إلى الدنيا فهو تماماً كوحشى من الناحية العملية السياسية ، فالقاتل كالمقتول تماماً، والمهاجر كالطليق ، والجاهل كالعالم، ولو غالب الجاهل لكان لزاماً على العالم أن يطيعه سياسياً وأن يتبعه وينقاد إليه ، بل على العكس ، فلو كان هنالك هاشمى عالم كعلى بن أبي طالب وكان هنالك أنصارى بدرجته أو أقل علمأ منه ، فالأنصارى العالم مقدم على الهاشمى . انظر إلى قول الفاروق رضي الله عنه بوجود علي بن أبي طالب وهو يقول ( لو أدركت معاذ بن جبل لوليته، ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته ) . خالد قاتل الإسلام في أحد وفي

أكثر من وقعة ، وعلى قاتل مع الإسلام في كل مواقعه ، ومع هذا فالأولى هو خالد ، حتى أن الفاروق لو أدرك سالماً مولى أبي حذيفة وهو من الموالى ، ولا يعرف له نسب في العرب ، لولاه الخلافة وأمره على علي بن أبي طالب مع أن علياً هو ولی سالم وعمر ومولى أبي عبيدة ومولى كل مؤمن ومؤمنة باعتراف الفاروق وباقراره....

النتيجة الثانية: زرع بذرة الخلاف ونموها: طالما أن لا فرق بين المهاجر والطليق ولا بين القاتل والمقتول ، ولا بين المحاصِر بالفتح والمحاصِر بالكسر ومن حق كل واحد أن يفهم الإسلام وأن يستقطب حول هذا الفهم ، فمعنى ذلك وجود مرجعيات متعددة وجود مفاهيم متعددة ، وقناعات متعددة ، وكل فريق يزعم أنه على الحق ، ففريق يذهب إلى الشمال وآخر إلى اليمين وثالث إلى الشرق ورابع إلى الغرب وخامس إلى الشمال بزاوية كذا .... إلخ ، ولا يوجد مرجع يعتبر كلامه حجة يقينية شرعية يقر بها الجميع ، بهذا الجو زرعت بذرة الخلاف ونمّت بأرض خصبة ، فلو قال علي عليه السلام كلاماً وقال واحد من الطلقاء كلاماً آخر فالذي يزن القولين هو السامع ، لأنَّه عملياً لا فرق بين علي وأي طليق ، فكلاهما في الجنة وكلاهما مسلم ، فهم صحابة ، أي لا يقرُّون عملياً بأي ترجيح شرعي لقول علي ، فكيف يرجح بين المتساوين وكيف يفرق بين المتعادلين تماماً؟ فهذه قطعة ذهبية تساوى حجماً وشكلًا ومقداراً وقيمة مع قطعة أخرى ، فخذ ما شئت وإياك والتمييز ، فاللوفاق الحاصل وفاق ظاهري ، وتحته ينمو الخلاف ويشب ، ثم يتحول إلى سرطان عاجلاً أم آجلاً ، يمزق وحدة الأمة ويخرجها من إطار الشرعية إلى الغامض والمجهول .

النتيجة الثالثة: رئاسة الدولة حق للجميع إلا لهاشمي: بمعنى أنه لا شيء على

الإطلاق يمنع أي مسلم من أن يتولى رئاسة الدولة الإسلامية ، شريطة أن يتمكن من الوصول إليها ، والاستحواذ عليها ، وانقياد الجميع له وتسليمهم له بالغلبة والسلطان ، شريطة أن لا يكون من بنى هاشم ، لأنهم اختصوا بالنبوة والنبوة تكفيهم .

هذا الحق حوال الطمع برئاسة الدولة إلى كابوس بغرض وآلية مزعجة سلبت الأمة قرارها واستقرارها ، وجعلتها حقل تجارب لكل الطامعين بالرئاسة ، وعطلت نظامها السياسي والشعري . أما من أي قبيلة هذا الرئيس ؟ ما هو علمه ؟ ما هو دينه ؟ ما هي سابقته ؟ من الذين سيحكمهم ؟ تلك أمور ثانوية لا قيمة لها من الناحية العملية ، ولا يعول عليها ، لأن الغالب غالب ، والحصول على رضوان المغلوب فن قائم بذاته .

ما الذي يمنع يزيد بن معاوية ، وهو المشهور بعهره وفجوره ، من أن يكون رئيساً للدولة الإسلامية ، لأنه ابن معاوية الرئيس ، ومن الذي يمنع الحسين بن علي بن أبي طالب سيد شباب أهل الجنة في الجنـة بالنص ، وريحانة النبي من هذه الأمة بالنص ، والإمام الشرعي لهذه الأمة بالنص، مما الذي يمنعه من أن يكون أحد رعايا يزيد ، وأحد الذين يتأمر عليهم ، فكلامـا مـسلم، وكلـامـا في الجنـة ، يزيد القاتل المجرم في الجنـة والحسـين الإمام المـقتـول في الجنـة ، كلـامـا صـحـابـي !!! ومن ينـقـد هـذا الرـأـي فهو زـنـديـق لا يـؤـاـكل ولا يـشـارـب ولا يـصـلـى عـلـيـه .

النتيجة الرابعة: اختلاط الأوراق: فقد اخـتـلاـطـ الـحـابـلـ بـالـنـابـلـ ، وـالـحـقـ بـالـبـاطـلـ ، وـالـخـيـرـ بـالـشـرـ ، وـالـعـلـقـ بـالـشـهـدـ ، وـأـصـبـحـ الـمـتأـخـرـ كـالـمـتـقـدمـ ، وـالـلـاحـقـ كـالـسـابـقـ ،

والمجاهد كالقاعد ، والقاتل كالمقتول ، والمحاصر كالمحاصر ، ومن وقف مع الإسلام تماماً مثل من وقف ضده ، ومن قاتل الإسلام تماماً كمن قاتل معه ! لقد دخل الجميع بدین الله ، وشاهدتهم النبي ﷺ أو شاهدوه ، فكلهم صحابة ، وكلهم في الجنة ! وضاع الصادقون وتفرقوا في الأمصار ، وأصبحوا على حد تفسير معاوية كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود ! لقد انهار النظام السياسي الإسلامي ، وتأخر المتقدمون وتقدم المتأخرن ! والله عاقبة الأمور .



## الفصل الثامن

### الاستيلاء على السلطة وعزل بنى هاشم

#### ١ - استذكار وربط الأحداث

النبي على فراش الموت ، وجبريل الأمين لا ينقطع عن زيارته ، وأكثر ما كان يأتيه جبريل في مرضه . النبي ﷺ على علم بمستقبل هذه الأمة ، وقد أدى دوره كاملاً وبلغ رسالات ربه وبين لهم كل شئ على الإطلاق . وهو على علم تام بما يجري حوله ، ومدرك أنه السكون الذي يسبق الانفجار فينسف الشرعية السياسية والمرجعية ، وينسف الشرعية السياسية والمرجعية يتجرد الإسلام من سلاحه الجبار ويتغطى المولد الأساسي للدعوة والدولة . ولكن مثل النبي لا ينحني أمام العاصفة ، ولا يقعده شئ عن متابعة إحساسه العميق بالرأفة والرحمة لهذه الأمة . وبالرغم من كمال الدين وتمام النعمة الإلهية ، والبيان الإلهي الشامل لكل شئ تحتاجه الأمة ، بما فيه كيف يتبول وكيف يتغوط أفرادها ، إلا أنه أراد أن يلخص الموقف لأمته حتى تهتدى وحتى لا تضل ، وحتى تخرج بسلام من المفاجآت التي تربص بها ، وتنتظر موته لفتح أشداقها فتعكر صفو الإسلام ، وتعيق حركته وتغير مساره .

#### ٢ - المواجهة الصادحة

النبي على فراش المرض ، وبيته المبارك يغص بأكابر الصحابة ، وقد أصرَّ

على تلخيص الموقف والتذكير بالخط المستقبلي لمسيرة الإسلام فقال: «قربوا  
أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً». ما هو الخطأ بهذا العرض النبوي؟

ومن يرفض التأمين ضد الضلال؟ ولماذا؟ ولمصلحة من؟

ثم إن من حق أي مسلم أن يوصي ، ومن حق أي مسلم أن يقول ما يشاء قبل  
موته والذين يسمعون قوله أحراز فيما بعد بإعمال هذا القول أو إبطاله ، هذا إذا  
افتضنا أن محمداً مجرد مسلم عادي ، وليس نبياً وقائداً للأئمة .

فتصدى الفاروق عمر بن الخطاب ووجه كلامه للحضور وقال: «إن النبي قد  
غلب عليه الوجع وعندكم القرآن . حسينا كتاب الله» فاختلف أهل البيت ،  
فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله كتاباً لا تضلوا بعده أبداً ،  
ومنهم من يقول ما قاله عمر . فلما أكثروا اللغو والإختلاف عند النبي ﷺ قال  
لهم: قوموا عنِّي»<sup>(١)</sup> وفي رواية ثانية أن الرسول عندما قال: «إتنوني بكتاب أكتب  
لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . تنازعوا ولا ينبغي عندنبي تنازع ، فقالوا: هَجَرَ  
رسول الله ! قال النبي: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»<sup>(٢)</sup>

وفي رواية ثالثة قال النبي ﷺ: «إتنوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة ،  
أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً . فقالوا: إن رسول الله يهجر»<sup>(٣)</sup>

وفي رواية رابعة للبخاري أن النبي قال: «إتنوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا  
تضلوا بعده . قال عمر بن الخطاب: إن النبي غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسينا ،

(١) صحيح بخاري كتاب المرتضى باب قول المريض: قوموا عنِّي: ٩٧٧ وصحيح مسلم في آخر كتاب الوصية: ٧٥٥ وشرح النووي: ٩٥/١١ ومستند أحمد: ٤/٣٥٦ ح ٢٩٩٢ وشرح النهج لابن أبي الحميد: ٥١/٦.

(٢) صحيح بخاري: ٤/٣١ ومسلم: ٣/١٦٣ ومستند أحمد: ١/٢٢٢ و ٣/٢٨٦.

(٣) صحيح مسلم: ٢/١٦ و ١١/٩٤-٩٥ بشرح النووي ، ومستند أحمد: ١/٣٥٥ والطبرى: ٢/١٩٣.

فاختلقو وأكثروا اللغط . قال النبي: قوموا عنِي ولا ينبعي عندي تنازع<sup>(١)</sup>  
 روایة بلفظ خامس للبخاري ، قال النبي: «إِنَّتُونِي أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضْلُّو  
 بَعْدِهِ أَبْدًا . فَتَنَازَعُوْا وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِنِي تَنَازُعٌ ، فَقَالُوا: مَا شَأْنَهُ أَهْجَرُ؟ إِسْتَفْهَمُوهُ !  
 فَذَهَبُوا يَرْدِدُونَ عَلَيْهِ . فَقَالَ: دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>  
 روایة بلفظ سادس للبخاري ، قال النبي ﷺ: «إِنَّتُونِي بِكَفْتِ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَاباً لَا  
 تَضْلُّوْا بَعْدِهِ أَبْدًا . فَتَنَازَعُوْا وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِنِي تَنَازُعٌ فَقَالُوا: مَا لَهُ أَهْجَرُ؟ إِسْتَفْهَمُوهُ !  
 فَقَالَ النَّبِيُّ: ذَرُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>  
 روایة بلفظ سابع للبخاري قال ﷺ: «هَلْمَ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَاباً لَنْ تَضْلُّوْا بَعْدِهِ . قَالَ  
 عَمْرٌ: إِنَّ النَّبِيَّ غَلَبَهُ الْوَجْعُ وَعِنْدَكُمُ الْقُرْآنَ فَحَسِبْنَا كِتَابَ اللهِ . وَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ  
 وَاخْتَصَمُوا فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرَبُوا يَكْتُبُ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ كِتَاباً لَنْ تَضْلُّوْا بَعْدِهِ ، وَمِنْهُمْ  
 مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عَمْرٌ ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْطَ وَالْإِخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ قَالَ: قَوْمٌ وَعْنِي»<sup>(٤)</sup>  
 وفي روایة أن عمر بن الخطاب قال: «إِنَّ النَّبِيَّ يَهْجُر...»<sup>(٥)</sup> وقد اعترف الفاروق أنه  
 صَدَّ النَّبِيَّ عَنْ كِتَابِهِ حَتَّى لا يَجْعَلَ الْأَمْرَ لِعَلِيٍّ .<sup>(٦)</sup>

### ٣- تحليل المواجهة

أطراف المواجهة: الطرف الأول: هو محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ وإمام

(١) صحيح بخاري: ٣٧/١.

(٢) صحيح بخاري: ١٣٧/٥ و تاريخ الطبرى: ١٩٢٣-١٩٢٣.

(٣) بخاري: ١٣٢/٢ و: ٦٥/٤ . ٦٦-

(٤) صحيح بخاري: ١٦١/٨ .

(٥) تذكرة الخواص لسبط الجوزي الحنفي/٦٢ وسر العالمين وكشف ما في الدارين لأبي حامد الغزالى/٢١ .

(٦) راجع شرح نهج البلاغة: ١١٣/٣ و: ٨٠٣/٣ و: ١٦٧/٣ .

الدولة (رئيسها) . الطرف الثاني: هو عمر بن الخطاب أحد كبار الصحابة ، ووزير من أبرز وزراء دولة النبي ، وال الخليفة الثاني من خلفاء النبي فيما بعد .

مكان المواجهة: بيت النبي ﷺ

شهود المواجهة: كبار الصحابة رضوان الله عليهم .

#### ٤- النتائج الأولية للمواجهة

١- انقسام الأمة: فقد انقسم الحاضرون إلى قسمين: قسم يؤيد الفاروق فيما ذهب إليه من الحيلولة بين الرسول ﷺ وبين كتابة ما يريد . وحجّة هذا الفريق أن الفاروق من كبار الصحابة وأحد وزراء النبي وهو مشفق على الإسلام ، وأن النبي مريض وبالتالي فلا داعي لازعاجه بكتابه هذا الكتاب . ثم إن القرآن وحده يكفي فهو التأمين ضد الضلال ، ولا داعي لأي كتاب آخر يكتب النبي .

وقسم يرفض المواجهة أصلًا بين التابع والمتبوع ، وبين النبي ومصدق به وبين رسول يتلقى تعليماته من الله ، وبين مجتهد يعمل بما يوحيه له إجهاده ، وبين رئيس دولة ونبي بنفس الوقت ، وبين واحد من وزرائه . ويرى هذا القسم أن تناح الفرصة للنبي ليقول ما يريد ، ولكتابه ما يريد ، لأنّه النبي وما زال نبياً حتى يتوفاه الله ، وأنّه رئيس الدولة وما زال رئيساً للدولة حتى يتوفاه الله ويحل رئيس آخر محله .

ثم على الأقل لأنّه مسلم يتمتع بالحرية كما يتمتع بها غيره ، ومن حقه أن يقول ما يشاء وأن يكتب ما يشاء .

ثم إن الأحداث والمواجهة تجري في بيته ، فهو صاحب البيت ، ومن حق أي إنسان أن يقول ما يشاء في بيته .

**٢- بروز قوة هائلة جديدة:** بُرِزَ الفاروق كقوة جديدة هائلة استطاعت أن تحول بين النبي وبين كتابة ما يريد ، واستطاعت أن تستقطب لرأيها عدداً كبيراً من المؤيدين ، في مواجهة مع النبي نفسه وبحضور النبي نفسه <sup>(١)</sup> واستطاع أن يحرك الأحداث وأن يقودها بكفاءة ! ولحد الآن: لا أحد يدرى على وجه اليقين من الذي أوحى للأنصار بفكرة الإجتماع في السقيفة ، ولا كيف التأم شمل هذا الإجتماع ، ولا من الذي دعا إليه ! ولا أحد يدرى كيف علم به عمر دون المهاجرين ؟ فالثابت أن الذين حضروا هذا الإجتماع من المهاجرين ثلاثة فقط هم: أبو بكر الصديق وعمر وأبو عبيدة . والثابت أيضاً أن أبا بكر رضي الله عنه كان يساعد العترة الطاهرة بتجهيز النبي . وأن عمر رضي الله عنه هو الذي دعا أبا بكر وأخبره بحدث اجتماع السقيفة . وأن أبا بكر وعمر و جداً وهما في طريقهما إلى السقيفة أبا عبيدة بالصدفة <sup>(٢)</sup> . فالفاروق كان يعيش في صميم الأحداث ويتابعها متابعة دقيقة ، دقيقة بدقيقة . وفي داخل السقيفة كان له الدور الأعظم ، فلو أراد لكان هو الخليفة . وبعد الخروج من السقيفة ومبادلة الأكثريّة الحاضرة لأبي بكر الصديق ، هو بنفسه الذي قاد عملية إتمام البيعة ، وهو الذي صاح بالالمهاجرين أنه قد بايع الصديق وبايده الأنصار وأن عليهم أن يقوموا فيبايعوا ، فنهض عثمان ومن معه من بنى أمية فبايعوا الصديق . وعثمان والأمويون بأغلبتهم هم أول من بايع .

**وعمر بن الخطاب نفسه هو الذي نظم الذين بايعوا أبا بكر وجهز منهم سرية**

(١) راجع مصادر رزبة يوم الخميس بتعبير ابن عباس، وقد أجمع على أن الفاروق هو الذي قال حبنا كتاب الله.

(٢) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٥ وما فوق.

أخرجت علياً ومن معه من بيت فاطمة الزهراء ليبايعوا الصديق<sup>(١)</sup> وهو نفسه الذي أحضر الحطب وهم يحرقون بيت فاطمة إن لم يخرج المعتصمون به<sup>(٢)</sup> وهو نفسه الذي هدد علياً بالقتل إن لم يبايع<sup>(٣)</sup> وهو نفسه الذي أشار على أبي بكر الصديق بأن يترك لأبي سفيان ما بيده من الصدقات ليضمن ولاءه<sup>(٤)</sup> وأشار عليه بأن يعين يزيد بن أبي سفيان قائداً لجيش الشام<sup>(٥)</sup> وهو القوة الهائلة التي صنعت الاستقرار لدولة أبي بكر ، ولم يطل بقاء الصديق في الحكم طويلاً فانتقل إلى جوار ربه ، وورث عمر دولة آمنة مستقرة ، وانتقلت إليه السلطة بيسر وسهولة وبدون معارضة ، وكان الانتقال خطوة طبيعية تتبع خطوة .

وعاجلاً أم آجلاً سيكتشف الباحثون أن للفاروق قدرة هائلة على التخطيط والتنظير لم تتوفر لأحد قط من أقرانه!<sup>(٦)</sup> فقد قام بدور الهيئة التأسيسية لعصر ما بعد النبوة ، ورتب كل شئ لمستقبل الحكم في الإسلام ، فلن يجمع الهاشميون الخلافة والنيمة أبداً وستكون الخلافة تداولًا في غيرهم ، وحقاً خالصاً لمن غالب بعض النظر عن شرعية أو عدم شرعية وسائل الغلبة .

**٣- بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبوع:** نبت بهذه المواجهة فكرة التغلب وترجح التابع على المتبوع ، أو المساواة بين التابع والمتبوع ، وخلق حالة

(١) راجع على سبيل المثال الإمامة والسياسة لابن قتيبة/٥ وما فوق .

(٢) راجع مراجع التحرير الذي ذكرناها أكثر من مرة .

(٣) الإمامة والسياسة/١٣ .

(٤) شرح النهج: ٣٠٧-٣٠٧١ مكتبة الحياة .

(٥) تاريخ الطبرى: ٢٠٩٣-٢١٠ وتاريخ الحكم للقاسى/١٥٢ .

(٦) الكامل لابن الأثير: ٢٤٣ وشرح النهج: ١٠٧٣ .

من الشبهات والحيرة مع من يكون الصواب هل هو مع التابع أو مع المتبوع ؟ فحججة الفاروق أن النبي قد اشتد به الوجع ، وكتابة الكتاب بمثل هذه الحالة قد تشكل خطراً . وشایع الفاروق بذلك مجموعة من الصحابة ، وهذا شك . وحججة الطرف الآخر أن محمداً ما زال نبياً وسيبقى نبياً حتى تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها ، وأنه لا ينطق عن الهوى وهذا يقين . فترك اليقين إلى الشك غير معقول والمرض ليس مانعاً من القول .

#### ٥- الخيارات أمام النبي ﷺ

إذا أصر النبي على كتابة عهده ، ففريق الفاروق يرى أنه حاشله: هجر ، يهجر ! وفي ذلك كارثة على الدين كله ! وكانوا يستعدون للتحدي إذا أصرَّ على الكتابة وقالوا للحاضرين: إستفهموه ، أي إسألوه ليتكلّم وثبت لكم ما نقول ! وإذا عدل عن كتابة العهد الذي أراد أن يكتبه ، ففريق الفاروق يرى أنه انتصر وغابت ترتيبات قريش على الترتيبات الإلهية لما بعد وفاة النبي ﷺ ! فاختار النبي ﷺ العدول عن كتابة عهده ، وصدم خاطرة الشريف هذا القول الموجع: هجر يهجر ! وصدمه أكثر ما دعوه إليه بقولهم إستفهموه ، حيث أرادوا أن يصرُّ على كتابة عهده فيقولون إنه يهجر ، ويريد تأسيس ملك لبني هاشم ! وقد تعلن بطون قريش الردة عن الإسلام ! وكان جبرائيل عليه السلام معه فوجده أن لا ينجر إلى ما دعوه إليه وأن يطردهم ! فقال لهم عندما أكثروا اللغو والإختلاف والصراخ وأطالوا ذلك: «قوموا عنِّي.. دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»<sup>(١)</sup>

(١) نحن أهل السنة نعتبر صحيحي بخاري ومسلم أصح كتب الحديث على الإطلاق ، وقد روى البخاري تلك الحادثة الأليمة بست روايات ، ولها كلها نفس المضمون ، وروها مسلم أيضاً ، وراجع إن شئت صحيح بخاري: ٩٧ ، ومسلم: ٧٥/٥ و ٩٥/١١؛ بشرح النووي و ٤/٨٥.

## ٦- ثوب الشرعية

الفاروق لم يخرج عن إطار الشرعية من حيث الشكل ، فهو لا يدعو إلى باطل فهو يقول مخاطباً من حضر: عندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، إن رسول الله قد اشتد به الوجع . فهو حريص على أن لا يكتب النبي هذا الكتاب ، وحرirsch على تقديم واجبات الإحترام الرسمية للنبي حيث قال: إن رسول الله قد اشتد به الوجع... وحرirsch على التمسك بالقرآن ، وهو وحده يكفي ، ولا حاجة لكتاب النبي . فكامل هذه التصرفات ترتدي ثوب الشرعية ، وهذا عين موقف فريق أمير المؤمنين عمر .

## ٧- مقاصد الفاروق وأهدافه

قاومت بطن قريش النبوة الهاشمية بكل فنون المقاومة ، وحاربتها بكل وسائل الحرب ، لا حبا بالأصنام ولا كراهية للإسلام ، فليس في الإسلام ما تعافه الفطرة فيكره لكن قريشاً لا ت يريد أن تغير صيغتها السياسية القائمة على اقتسام مناصب الشرف وأن يتميز البطن الهاشمي عن بقية البطون ويتفوق عليها ! وقد تصورت أن التفاف الهاشمين حول النبوة ، ودفاعهم المستميت عن النبي ﷺ هو إصرار هاشمي على التميز ، ورغبة هاشمية بالتفوق على الجميع ، فحاصرت الهاشمين وتأمرت مجتمعه على قتل النبي ، وتعاونت مجتمعه على خربه ، ففشل الحصار ، وفشلت المؤامرة ، وهزمت البطون في حروبها ، وأحيط بها فأسلمت وأدركت أن النبوة الهاشمية قدر محظوظ لا مفر منه ولا محيد .

وطالما أن النبوة قدر محظوظ ، ولا طاقة للبطون بمواجهته ومنعه ، فلتكن النبوة للهاشمين خالصة لهم لا يشاركون فيها أحد من البطون ، ولি�توقف الزحف الهاشمي على حقوق البطون الأخرى ! ومن الخطأ أن يُعدَّ النبي العدة لتكون

الخلافة لعلي الهاشمي ولذرته من بعده لأنهم الأعلم بالإسلام والأفضل من أتباعه . والحل الأمثل عند البطون أنها كلها دخلت في الإسلام ، والإسلام يجب ما قبله . وتوحيد قريش في ظل الإسلام مصلحة شرعية لأن انتصار الإسلام وشيوخه لا يتحقق إلا بذلك ، أي بأن تكون النبوة خالصة لبني هاشم لا يشاركهم بها أحد كائناً من كان. وتكون الخلافة لبطون قريش تداولها فيما بينها لا يشاركها فيها أي هاشمي على الإطلاق ، ولا حرج لو تداولها مع البطون غيرهم كالأنصار والموالي ، لأن اشتراكهم لا يخدم التميز والتفوق الهاشمي !

لقد تحير القرشيون بعد فتح مكة فيما يجب أن يعملوا مع محمد ، وتحيروا في ذلك وتشاور زعيمهم سهيل بن عمرو مع كبار القرشيين في مكة والمدينة حتى وجدوا مقوله: تحريم الخلافة على بنى هاشم ! فاستقرت بأذهانهم نهائياً وتحولت إلى تيار غالب ! وآمنت بأنها قد اهتدت عندما أخذت بهذا المبدأ<sup>(١)</sup>

#### - حادثتان مشابهتان

الأولى: لقد مرض الصديق واشتد به الوجع كما يجمع على ذلك كل أتباع الملة . فلما تم لأبي بكر ما أراد من المشورة دعا عثمان خالياً - أي وحده - وقال له: «أكتب أما بعد» ثم أغمى عليه من شدة الوجع فكتب عثمان: «إإنني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً» فلما أفاق أبو بكر من إغمائه قال لعثمان: «إقرأ علىي» فقرأ عليه ما كتب فقال أبو بكر: «أراك خفت أن يختلف الناس إن اقتلت نفسي في غشتي؟ قال عثمان: نعم ، قال أبو بكر: جزاك الله خيراً

(١) الكامل لابن الأثير: ٢٤٣: سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام ١٤٩١.

عن الإسلام وأهله» وأقرها أبو بكر<sup>(١)</sup> تلك حقيقة بالإجماع .

الثانية: مرض عمر نفسه فقال طبيبه: «لا أرى أن تمسى ، فما كنت فاعلاً فافعل فقال لابنه عبد الله: ناولني الكتف فمحاها ، وقال من شدة الوجع: والله لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع . وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله فقال لابنه: ضع خدي بالأرض ، فلم يفعل فلحظة وقال: ضع خدي بالأرض لا أم لك ! الويل لعمر ولأم عمر إن لم يغفر الله لعمر» .<sup>(٢)</sup>

وبالرغم من شدة وجع أبي بكر ، فقد أوصى وكتب ما أراد ، وبالرغم من شدة وجع عمر فقد أوصى وكتب ما أراد ، ورتب أمر الشورى واطمأن أن عثمان سيكون الخليفة وأنه لن يسلط هاشمي على رقاب الناس ، حتى ولو كان ذا قوة وذا أمانة ! ونفذت بدقة وصية الإثنين وسمح لهما بقولها ، وسمح لهما بالتوجيه بالرغم من اشتداد الوجع بكل واحد منهم . وسبب شرعية قولهما أنه عندما كتب كل منهما وصيته كان ما زال (خليفة للمسلمين) ومن حقه أن يمارس عمله ما دام حياً أو لم يعزل ! تلك حقيقة مُسَلِّمٌ بها بالإجماع ، قولهما واحداً لا خلاف عليه . فكيف يسمح لأبي بكر ولعمر بالتوصية وكتابة ما يريدان مع أن المرض قد اشتد بكل واحد منها أكثر من اشتداده برسول الله ، ويُحال بين الرسول ﷺ وبين كتابة ما أراد ؟ ألا يحق لمحمد ﷺ ما يحق لأبي بكر وعمر رضي الله عنهم ؟ هذا مع الإفتراض أن محمداً على قدم المساواة مع أبي بكر وعمر ، وهو افتراض مرفوض شكلاً وموضوعاً ، لأن محمد ﷺ النبي مرسلاً من الله وإمام ، بينما أبو بكر وعمر من الأتباع ، ومحمد يوحى إليه ، وقد أكده وقال أكثر من مرة إن أكثر ما كان يأتيه الوحي

(١) تاريخ الطبرى: ٤٢٩/٣ وصفحة ١٧٦ من نظام الحكم للقاسمي وصفحة ٣٧ من سيرة عمر لابن الجوزي و: ٨٥/٢: من تاريخ ابن خلدون وصفحة ١٢٠ من كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

(٢) راجع الإمامة والسياسة/ ٢١-٢٢ والطبقات: ٢/١٢٠ وكتابنا النظام السياسي على سبيل المثال .

كان يأتيه وهو مريض <sup>(١)</sup> والله تعالى يقول: «وَمَا أَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنِ فَأَنْهَوْا» ويقول: «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» «مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى» «وَمَا يُنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» . فكيف يتحول بظرفه عين من كانت هذه صفاتة وملكاته إلى رجل حاشا له أن يهجر ! ولا يؤمن على كتابة وصية !!

ومع أن هذه حقائق دامغة ، لا قوة في الأرض تستطيع أن تنكراها أو تدافعا عنها ، ومع أن هذه الواقعه نفت مستقبل الإسلام كله ، وكانت هي البذرة التي انطلقت منها كل المآسي والنكبات التي حلت بال المسلمين ، إلا أن أهل السنة يتجاهلونها تماماً ولا يفكرون بها إلا أنها مجرد قصة .

○ ○

وهكذا عملياً رجح قول التابع على قول المتبوع ، فأصبح التابع مرجعاً والمتبوع متفرجاً ، وتم للتابع ما أراد وغلبت مشيشه واستقطب الناس لها ، فوجدت واقعياً فكرة الغلبة وأثمرت ، واعتبرت الغلبة فيما بعد مبدأ شرعياً ، وأجيزة للأمة أن تنفرج على الصراع بين متغالبين ، ثم تقف في النهاية مع الغالب مهما كانت صفاتة ، ومهما كان دينه <sup>(٢)</sup> فطمع المتبوع بالتابع وتقديم المفضول على الأفضل . ومن هنا فلا ينبغي أن ندهش إذا رأينا معاوية بن أبي سفيان يعتلي سدة الخلافة ، وهو الطليق ابن الطليق ومن المؤلفة قلوبهم ، وينازع بالخلافة أول من أسلم ومن هو ولی الله بالنص ، ومولى كل مؤمن ومؤمنة بالنص ، ويحاول أن يقنع المسلمين بأنه أفضل من علي وأصلح للأمة منه !

ولا ينبغي أن ندهش إذا وجدنا في عصور الإسلام من يقول هذا مجتهد وهذا

(١) راجع الطبقات لأبن سعد: ١٩٣/٢.

(٢) راجع نظام الحكم للفاسي / ٣٤٤ وكتابنا النظام السياسي في الإسلام / ١٥٣ .

مجتهد وكلاهما في الجنة ! ولا ينبغي أن ندهش عند ما يطالب مروان بن الحكم بالخلافة ، وهو ابن الحكم بن العاص الذي كان محظوراً عليه أن يدخل المدينة في زمن الرسول وأبي بكر وعمر ، حتى تولى الخلافة عثمان فأدخله معززاً مكرماً واتخذ ابنه مروان رئيساً لوزرائه وزوجاً لابنته !

لقد تداعت الفوارق بين التابع والمتبوع ، وبين المتقدم عند الله وفي الإسلام والمتأخر في موازين الله والإسلام ! فالوليد بن عقبة يتأمر على الحسين بن علي ! والوليد يعظ المسلمين ويجب على الحسين أن يسمع موعظه ! والوليد يصلّي بالناس صلاة الصبح أربعاً وهو سكران ، ويسألهم كانوا يرغبون بالزيادة ! وبعد ذلك فإنه لا يخرج أن يكون هذا الرجل إماماً للحسين بن علي بن أبي طالب وأميراً عليه ، ومرجعاً ، يمكن للحسين إذا أراد أن يسأله في أمور دينه ودنياه !!

#### ٩ - عزل العترة الطاهرة

بهذا المناخ نادت العترة الطاهرة بالشرعية ، وقالت إن لها حقاً وهي تطالب به ولكن الناس يحولون بينها وبين حقها الشرعي !

وكان معارضة أبي الحسن لأبي بكر معارضة متحضرة وشرعية ومنطقية جداً بشهادة بشير بن سعد أول من بايع أبي بكر حيث قال عندما سمع حجة الإمام: «لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان»<sup>(١)</sup> لكن تبقى السلطة سلطة ، ولا يمكن لها بالفطرة بأي مقياس أن تشق سياسياً بالمعارضة ولا أن تسلم بمكتسباتها . ولكن لأن فاطمة بنت محمد بجانب الإمام علي ، فقد رُئيَ عدم قتلها بالرغم من أنه هُدد بالقتل إن لم يبايع ، ورُئيَ عدم

(١) الإمامة والسياسة ١٢/ على سبيل المثال .

إكرابه على البيعة تقديرًا لفاطمة ، ولم تتخذ إجراءات فعالة ضد الإمام وفاطمة عندما كانا يطوفان ليلاً على بيوت الأنصار ويسألان النصرة فكان الأنصار يقولون: « يا بنت رسول الله قد مضت بيتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدنا به ! فيقول علي: أفكنت أدع رسول الله في بيته لم أدفعه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟ فتقول فاطمة: ماصنع أبو حسن إلا ما كان ينبغي له ، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم عليه وطالبهم»<sup>(١)</sup> وتقول فاطمة: « وهل ترك أبي يوم غدير خم لأحد عذرًا؟! »

و كانت النتيجة عزل الإمام بعد وفاة فاطمة وعزل شيعته ، بل حاولت السلطة

عزله عنبني هاشم واجتذاب العباس إليها بإغرائه ببعض الأمر له ولعقبه !<sup>(٢)</sup>  
وبالمعيار الموضوعي ، إذا قدر للشخص العادي أن يختار بين السلطة وبين خصومها ، فسيختار جانب السلطة لأنّه الجانب الأقوى ، خاصة وأن معارضات أهل البيت تتبع وكاد حبل الود أن ينقطع نهائياً بينهم وبين السلطة من يوم هم عمر بإحرق بيت فاطمة على من فيه ، ولكن الله سلم .<sup>(٣)</sup>

والأهم من ذلك أنها وضعت شرطاً بأنه لا يجوز أن يسلط هاشمي على رقاب الناس حتى ولو كان ذا قوة وأمانة ! وقد نفذ هذا الشرط بدقة في عهدي أبي بكر وعمر ، وكان عمر يحرص على أن لا يتولى أعماله أي مؤيد لهم<sup>(٤)</sup> .

وهكذا عزل علي وعزلت شيعته ، ومع ذلك تعايش الإمام مع الشيوخين

(١) الإمامة والسياسة/ ١٥-١٦.

(٢) الإمامة والسياسة/ ١٢ على سبيل المثال .

(٣) راجع مراجع التحقيق .

(٤) مروج الذهب: ٣٥٣/٢ للمسعودي .

وتعايشت شيعته ، وقدمت السلطة في زمنهما إسم أهل البيت على الجميع في العطایا ، فكانوا يبدؤون بآل محمد ثم بقية الناس ، وآمن الإمام وأهل البيت وشيعتهم على أرواحهم وأموالهم ، وكان الشیخان يستشيران الإمام ويرجعان إليه أحياناً . وبعد فترة من استلام عثمان للخلافة بدأ الأمويون ينزوون في بلاطه ، وأخذ الصحابة يتراجعون من حوله حتى انفضوا جميعاً ، والتف عليه الأمويون ، ولأن علياً وشيعته لا يمكن أن يسكنوا على أخطاء بنى أمية وهم حاشية عثمان وعماله ، اعتبروا أن أمر أهل البيت بالمعروف ونهيهم عن المنكر معارضة للأمويين كقبيلة فلذلك ضاقوا ذرعاً بعلي وشيعته ، وتراءكت هذه المعارضه مع تركات الماضي وما زالت تكبر حتى حدثت المواجهة بين الأمويين برئاسة معاوية والي الشام وبين الأمة برئاسة إمامها ووليها علي ، واتحدت قريش ضد الولي كما اتحدت ضد النبي ﷺ! وانتصرت القوة على الشرعية وتُوج معاوية ملكاً حقيقة على الأمة ، وسمي العام بعام الجماعة وأتباعه أهل السنة ! وببدأ معاوية عهداً جديداً لمطاردة آل محمد مليء بالدم والدم ، فأيدوا إلا من كتب له الحياة ، وفرضت مسبتهم وشتمهم في الأمصار ، ورددت الأمة المسبات والشتائم وراء الحكم ، وطوردت شيعة آل محمد ، ولم يجيزوا لأحد منهم شهادة ، ومحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعلي وأولاده وأسقطوا عطاهم ورزقهم !<sup>(١)</sup>

(١) تاريخ ابن عساكر: ٤٠٧٣: ومحاويه في الميزان للعقاد ١٦١ وراجع شيخ المضيرة للشيخ محمود أبو رية ١٨٠.

## الفصل التاسع

### ١- قريش تخطط والهاشميون يرثون في مصابهم

كانت قريش مدركة أن النبي ﷺ ميت لا محالة في مرضه هذا ، فقد أخبرهم بذلك وهو الصادق عندهم ! وهم يدركون أن ترك الأمور على طبيعتها يؤدي حتماً لفوز علي بالخلافة ، وعندئذ يقع المحظور ، فيجمع الهاشميون مع الخلافة النبوة ! لذلك لا غنى لقريش عن التحرك بالخفاء لمنع وقوع المحظور .

والهاشميون وعلى بالذات مشغولون بمصابهم ، فالنبي يعني الألم وهو ميت لا محالة في مرضه هذا ، وألمه ألمهم لأنه النبي والسيد ، وهم الأتباع المخلصون ، ولأنه الأخ والقريب وابن العم والحبيب فلا أخي مثله ، ولا قريب يغني عنه ، ولا ابن عم يتحلى بمزاياه ، ولا حبيب نظير له على الإطلاق .

لذلك انصرفوا له بكليتهم وانشغلوا به عن سواه مفترضين أن الآخرين مثلهم .

### ٢- التخطيط المحكم

كيف علم عمر بأن النبي سيوصي في ذلك اليوم بالذات فحضر؟ ومن الذي أخبره؟ وكيف تجمع هذا الفريق الذي ما إن سمع النبي يقول: « هلمً أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده » حتى ردّ الفاروق فوراً على النبي موجهاً الكلام لمن حضر: « إن النبي قد اشتد به الوجع وحسبنا كتاب الله ! فردد هذا الفريق فوراً القول ما قاله عمر ! وزادوا: رسول الله هجر !! ! استفهموه إنه يهجر ! كما أسلفنا وأثبتنا .

فقول النبي لا يمكن أن يخلق هذا النفور الفوري ، والرد العمري الفوري

بجملته الشهيرة: إن الوجع قد اشتد برسول الله حسبنا كتاب الله ، لا يمكن أن يخلق الإقناع الفوري . إن مثل هذا الإقناع الذي حمل أصحابه على اللغط والخلاف والتنازع في حضرة رسول الله ، يدل بالمنطق والعقل أنه كانت توجد معرفة يقينية مسبقة لدى هذا الفريق بمضمون الكتاب الذي أراد الرسول أن يكتبه وأن هناك نوعاً من الاتفاق المسبق للحيلولة بين النبي وبين كتابة هذا الكتاب ، ولو أدى ذلك إلى مواجهة مع النبي نفسه ، والقول بأنه يهجر أو هجر حاشا الله ! والأقرب إلى التفكير أيضاً أن هنالك رابطاً أو اتفاقاً يضمن وحدة هذا الفريق حتى في مواجهة مع النبي نفسه ! أما هل هو اتفاق عفوياً أم ثمرة تخطيط ؟ الله وحده يعلم ! لكن المؤكد أن ظهر الشرعية قد قسم تماماً في هذه المواجهة !

### ٣- الثمرة الأولى لهذا التخطيط

تمكن هذا الفريق من أن يحول بين النبي وبين كتابة ما يريد ، وبرز عمر كأقوى رجل في هذا الفريق على الإطلاق ، فهو الذي خاطب الحاضرين: إن النبي قد اشتد به الوجع حسبنا كتاب الله ، بمعنى أنه لا حاجة لنا بكتاب النبي ، هذا القرآن معنا يكفيانا ، وما زاد عن الكفاية فهو لغو ولا ضرورة له ! مما شجع مؤيدي هذا الرأي على القول: رسول الله هجر ! استفهموه.. إنه يهجر ! حاشالله يا رسول الله .

والخلاصة: أن الثمرة الأولى للتخطيط كانت الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما يريد ولفترض جدلاً أن النبي أصر على رأيه ولخص الموقف وقال لا تنعوا بأن الخليفة من بعدي عليٌّ ، فإن هذا القول سيضطر ذلك الفريق إلى رفع شعار الهجر ، ويصير الدين نفسه في خطر ولما أمكن الفريق بين ما قاله النبي في

هجره المزعوم وصحوه ! لذلك فضل النبي ﷺ أن يعدل عن كتابة الكتاب ليصون الأهم وهو الدين بدلاً من صيانة المهم وهو خلافة علي ، فقال لهم: « قوموا عني ما أنا فيه خير مما تدعوني إليه » وما يدعونه إليه هو ضربة لأصل الدين ! وخرج هذا الفريق وهو يتصور أنه المنتصر وأنه قطف الثمرة ، وأن العقبة الكبرى في طريق تحقيق الهدف قد زالت !

#### ٤- التخطيط لهزيمة الهاشميين

في حالة التكافؤ بالفرص بين رأي قريش وبين رأيبني هاشم ، فإن الرأي الهاشمي سيسمو على رأي قريش ويثبت أنه الأصوب والأجدر . فإذا تساوت الفرصة لتقرع الحجة بالحججة ، فإن الولي من بعد النبي سيقمع بحجه الباهرة حجة غيره ، لأنه مع القرآن والقرآن معه بالنص والحق معه وهو مع الحق بالنص . وإذا كانت مبارزة شريفة بين الولي وبين أي كان ، فإن الولي سيفوز ، لأنه المنصور بإذن الله .

لكن الولي لا يمكنه التآمر والتخطيط في الظلم ومعصية الله . وقد أثبتت وقائع التاريخ أن المواجهة عندما تكون متكافئة وعادلة و الشريفة بين قريش والهاشميين ، فإن الفائز المؤكد بنو هاشم ، فقد حاصرت كل بطون قريشبني هاشم ثلاثة سنين وأكثر وفشل الحصار وانتصر الهاشميون . وتأمرت كل بطون قريش على قتل محمد واختارت من كل بطن منها رجلاً ليشنطروا بقتل النبي مجتمعين فيضيع دمه بين القبائل ، وفشلت المؤامرة ونجا النبي ﷺ وانتصر الهاشميون .

وجاءت بطون قريش الجيوش وحاربت محمداً وبني هاشم ، وانتصر محمد

وانتصر الهاشميون بانتصاره ، وهُزمت كل بطون قريش وأحيط بها ، وأسلمت واعترفت بالنبوة وأدركت أنها قدر لا مفر ولا محيد عنه .

ومن يومها قررت بطون قريش مسامحة الهاشميين بالنبوة ! والإقرار بتفردهم بها وحدهم دون البطون ، مقابل أن تأخذ البطون الخلافة وتتداولها فيما بينها ، ولا مانع من خروجها إلى غير قريش موقتاً على أن لا تؤول إلى هاشمي ، لأنها إذا آلت لبني هاشم فلن تخرج منهم ، ويقع المحظوظ ويجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة !

#### ٥- الخطّة المثلثيّة والقوّة المرجحّة التي ستهزّم الولي

أدركت قريش أن سر الإنتصارات المتّوالى للهاشميّين وسر تميّزهم وتفوقهم على بطون قريش ، يكمن في وجود مرجع ساهم بترجميـح الكفة الهاشمية وهو الأنصار ، وبذلك اهتدت قريش إلى مفصل الأمور وفيصلها ! فإذا استطاعت أن تضمن ولاء الأنصار لموقفها ، فقد حققت النصر الساحق في هدفها الأعظم بمنع الهاشميّين من أن يجمعوا مع الخلافة النبوة ، ومنع الولي من أن يكون هو الخليفة ، لأنه إذا تولى على الخلافة فسيكون الحسن من بعده ، فهو مسمى من قبل جده رسول الله ﷺ وله مكانة ابن بنت الرسول ، ثم سيكون بعده الحسين ، ومعناه أن الأمر سيقى بيد أبناء النبي الهاشميّين ! فإذا وقفت الأنصار مع علي فقد هزمت قريشاً ووقع المحظوظ ، وإذا وقفت مع قريش فقد انتصرت قريش على الهاشميّين .

والنقطة الثانية بعد إقناع الأنصار أو تحييدهم انعدام تكافـظ الفرص ، لأنه إذا وقف الولي على قدم المساواة مع قريش ومع أي زعيم من زعمائها ، فإنه سيغلب

ويقيم الحجة الشرعية على قريش مجتمعة ! والمهم بهذه الحالة أن لا يتكلم معه الزعيم القرشي بصفته الشخصية ولكن باسم الجميع ، جميع بطون قريش بمن فيهم المهاجرين منهم، فإذا فعل ذلك فامكانية هزيمة الولي وفق موازينهم واردة .

والنقطة الثالثة: السرعة القصوى بحيث يتم البت بموضوع الخلافة خلال فترة انشغال العترة بتجهيز النبي ودفنه فلا يحضر منهم أحد على الإطلاق ، ويتم نصب الخليفة والصفق على يده في غيابهم ، لجعلهم أمام أمر واقع فلا يكون لهم مبرر للإعتراض ، بل يتهمون بأنهم يريدون الفتنة ومواجهة أمر واقع له مؤيدون وأتباع !

#### ٦- جتمع السقيفة

مات النبي ﷺ ، غاب القمر المنير الذي أضاء الوجود بنوره ، وشاع الخبر وهرع سكان العاصمة وتجمعوا في بيت النبي وأحاطوا به ، يبكون نبيهم ووليهם وإمامهم الأعظم . والآل الكرام وعلى رأسهم الولي والخليفة منصرفون كلهم وبكلتهم إلى مصابهم الذي لا مصاب مثله ، ومشغولون بتجهيز النبي لمواراته في ضريحه الأقدس . في هذا الوقت بالذات انعقد الاجتماع في سقيفة بنى ساعدة .

#### ٧- أسئلة بدون أجوبة

لماذا انعقد هذا الاجتماع بهذا الوقت بالذات ؟ ومن الذي دعا إليه ؟ وكيف أمكن عقده بهذا الوقت بالذات ؟ ومتى بدأ التحضير له ؟ ومن حضره على وجه اليقين من الأنصار ؟ فالسقيفة لا تسع لكل الأنصار ، وقسم كبير منهم كان بحكم المنطق في بيت النبي أو متلقاً حوله ؟ لأن من المستحيل أن يغيبوا كلهم عن النبي دفعة واحدة ! ومن الذي بدأ بالتحضير لهذا الاجتماع ؟ وكم استغرق التحضير له ؟ ولماذا لم يعلم بهذا الاجتماع من المهاجرين إلا عمر بالذات ؟ ومن

الذى أخبره ؟ لأن عمر لم يكن في بيت النبي ولا مع المتألقين حوله ، إنما كان في مكان ما وهو يعلم أن أبو بكر في منزل النبي بالضرورة ، فأتى عمر فأرسل إلى أبي بكر: أن اخرج إليّ ، فأرسل إليه: إني منشغل ، فأرسل إليه: أنه حدث أمر لا بد من حضوره ! فخرج أبو بكر إليه فقال: أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بنى ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ، وأحسنهم مقالة من يقول: منا أمير ومن قريش أمير ! فمضيا مسرعين ، فلقيا أبو عبيدة بن الجراح فتماشوا إليهم ثلاثة .<sup>(١)</sup>

#### ٤- من الذي أتى بالخبر

يقول الطبرى: «أول من سمع خبر اجتماع الأنصار هو عمر»<sup>(٢)</sup> وفي رواية أخرى أن أبو بكر بلغ الخبر وفي رواية ابن هشام: «فأتى آت إلى أبي بكر وعمر» أما من هذا الذي أتى بالخبر؟ فلا أحد يعرفه على الإطلاق لأن اسم هذا المخبر ضائع !<sup>(٣)</sup>

قالوا: عندما سار الثلاثة باتجاه السقيفة وجدوا عويم بن ساعدة الأنصاري ومعن بن عدي<sup>(٤)</sup> وهما من الأنصار ، وفي رواية ثانية للطبرى: «فلقىهم عاصم بن

(١) تاريخ الطبرى ج ٣ ص ٢١٩.

(٢) نظام الحكم للقاسمى ص ١٢٦.

(٣) تاريخ الطبرى: ٢١٩ / ٣.

(٤) تاريخ الطبرى: ٢٠٦/٣ ، وقد كان أبو بكر على عجلة من أمره فدخل إلى الحجرة وكشف عن وجه النبي وقال نعم إنه مات وغطى وجهه وقال لبني هاشم: دونكم صاحبكم غسلوه ! وخرج هو وعمر (بتعاديان) إلى السقيفة ، وفي مسند أحمد (بتقاودان) ولم تمض ساعة واحدة عن وفاة النبي ﷺ حتى صفق عمر على بد أبي بكر في مجلس سعد بن عبادة

عدي وعويم بن ساعدة ، وهما صحابيان قد شهدا بدرأً . وفي رواية أنهما قالا للثلاثة : إرجعوا واقضوا أمركم بينكم . وفي رواية ثانية : إرجعوا فإنه لن يكون ما تريدون . والملفت للإنتباه : أنهما من الأنصار وشهدا بدرأً ، ومع هذا لم يحضران السقيفة ولا كانا متوجهين إلى الاجتماع مع علمهم به ، إنما كان اتجاه مسيرهما معاكس لاتجاه مسيرة الثلاثة ، فقد تبادلا الحديث معهم ومضى كل في دربه ، فلم يشر أحد أن الخمسة ساروا معاً باتجاه اجتماع السقيفة .

ثم مضمون الحوار ، فمرة قالوا للثلاثة : إرجعوا واقضوا أمركم بينكم ، أي لا علاقة للأنصار بهذا الأمر ، ومرة قالوا : إنه لن يكون الذي تريدون ، بمعنى أن الأنصار لن توليكم ! فأي الروايتين أولى بالصدق ؟ !

#### ٩- تحليل موضوعي ونفي الصدفة

هناك إجماع بين مؤرخي السنة بأن أول من سمع بخبر الاجتماع هو عمر<sup>(١)</sup> وفي رواية أخرى أن أبا بكر بلغه الخبر<sup>(٢)</sup> وهذا لا ينفي كون عمر أول من سمع الخبر . وفي رواية ابن هشام : « فأتى آتٍ إلى أبي بكر وعمرو فقال... ». <sup>(٣)</sup> ثم إنه لا أحد يعرف إسم الذي أتى بالخبر لحد الآن ! إنه ليس صدفة أن

---

العریض ، الي رفض فهددوه بالقتل ! وصفق معه ثلاثة أشخاص فقط هم : أبو عبيدة واثنان من الأوس ، فاعتراض سعد فعنفوه وأرادوا قتلها وجاء طلقاء قريش وتلوا السقيفة ! راجع : مجمع الزوائد: ٥/١٨٢ ، وسنن البيهقي: ٨/٤٥ ، ومسند أحمد: ١/٥ ، ومصنف ابن أبي شيبة: ٤٩٠ / ٨ ، والسيرة النبوية لابن كثير: ٤٧٢ / ٥.

(١) تاريخ الطبرى: ٣/٢١٩.

(٢) تاريخ الطبرى: ٣/٢٠١.

(٣) ابن هشام: ٦٥٦٢.

يُضيع إِسْمُ الْمَخْبِرِ ، مَعَ أَنَّهُ شَخْصٌ بَارِزٌ فِي الْمَجَمُوعَ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَدْوِرُ فِي الْخَفَاءِ  
وَلِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَمْرًا وَأَبَا بَكْرًا ، وَمَا يَدْلِلُ عَلَى بِرْوَزِ هَذَا الشَّخْصِ أَنَّ عَمْرًا وَأَبَا بَكْرًا  
أَصْغَاهُ إِلَيْهِ وَصِدْقَاهُ وَكَلْمَاهُ ! فَمَخْبِرُ بِهَذَا الْوَزْنِ لِأَمْرٍ بِهَذِهِ الْأَهْمَىَةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ  
يُضِيعَ إِسْمَهُ إِنْ وَجَدَ ، مَا يَلْقَى ظَلَالًا مِنَ الشُّكُّ عَلَى وَجُودِ حَقِيقَى لِمُثْلِ هَذَا  
الْمَخْبِرِ ! ثُمَّ كَيْفَ تَجْتَمِعُ الْأَنْصَارُ وَهُمُ الْأَغْلِبَيْةُ السَّاحِقَةُ مِنْ سَكَانِ الْعَاصِمَةِ  
(الْمَدِينَةِ) وَلَا يَعْلَمُ بِهَذَا الإِجْتِمَاعِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كُلَّهُمْ إِلَّا عَمْرًا وَحْدَهُ !!  
ثُمَّ لِمَاذَا يَنْادِي عَمْرًا وَحْدَهُ وَلَا يَنْادِي غَيْرَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، مَعَ أَنَّ  
الْمُهَاجِرِينَ كُلَّهُمْ كَانُوا يَلْقَوْنَ نَظَرَةَ الْوَدَاعِ عَلَى نَبِيِّهِمْ وَإِمَامِهِمْ ﷺ وَيُشارِكُونَ  
الْآلَ الْكَرَامَ مَصَابِهِمُ الْفَادِحَ ، وَهَذَا لِنَسْكِنَةٍ أَيْضًا !

ثُمَّ أَيْنَ كَانَ الْفَارُوقُ الَّذِي لَمْ تَحْمِلْهُ رِجْلَاهُ عِنْدَ مَا سَمِعَ بِخَبْرِ وَفَاتِ النَّبِيِّ ،  
وَتَوَعَّدَ بِالْمَوْتِ وَتَقْطِيعِ أَطْرَافِهِ مِنْ يَزْعُمُ مَوْتَ النَّبِيِّ<sup>(١)</sup> وَلَمَا تَأْكُلْهُ الْمَوْتُ مِنْ  
الْمُفْتَرَضِ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ نَبِيِّهِ وَإِمَامِهِ لِلْيَقِيْنِ عَلَيْهِ نَظَرَةً ، وَلِيُشَارِكَ الْأَمَّةُ مَصَابَهَا !  
فَلَوْ كَانَ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ نَبِيِّهِ وَرَئِسِهِ ، فَكَيْفَ جَاءَهُ الْخَبْرُ مِنْ دُونِ النَّاسِ؟ وَمَنْ  
الَّذِي أَتَاهُ بِهَذَا الْخَبْرِ وَكَيْفَ اهْتَدَى إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِ الْأَلْفَوْنِ الْمُتَوَاجِدِينَ فِي الْبَيْتِ  
الْمَبَارِكِ أَوْ حَوْلَهُ؟

فَمِنْ الْمُؤْكَدِ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ نَبِيِّهِ وَرَئِسِهِ ، وَمِنْ الْمُؤْكَدِ أَنَّ الْأَنْصَارَ لَمْ يَجْتَمِعُوا ،  
فَمِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ أَنْ يَجْتَمِعُوا وَلَا يَحْضُرُهُ الْبَدْرِيُّونَ وَهُمُ الْخَيَارُ كَالَّذِينَ صَادَفُوا  
الْمُهَاجِرِينَ الْثَلَاثَةَ ، فَلَوْ كَانَ الإِجْتِمَاعُ لَا خِيَارٌ خَلِيفَةً لِحَضْرَهِ هَذَانِ الْبَدْرِيَّانِ .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فَارَقَ الْحَيَاةَ وَهُوَ مَسْجُىٰ فِي بَيْتِهِ الطَّاهِرِ ، فَهَلْ يَعْقُلُ أَنْ يَتَرَكَهُ  
الْأَنْصَارُ وَلَا يَذْهَبُونَ لِإِلْقَاءِ نَظَرَةِ الْوَدَاعِ عَلَيْهِ ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَأْهِبُ فِيهِ الْعَتَرَةُ

(١) تَارِيخُ الطَّبرِيِّ: ١٩٧/٣.

لمواراته في ضريحه المقدس؟ هذا أمر لا يمكن تصديقه إلا بالتقليد الأعمى . ثم كيف ينسى الأنصار أحكام الشرع ، وأن الأئمة من قريش ، وأنهم شهدوا تنصيب الولي وال الخليفة بعد النبي في غدير خم ، وأوصاهم النبي بعلي وبأهل بيته قائلاً : « يا معاشر الأنصار ألا أدل لكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبداً ؟ قالوا : بلـى يا رسول الله ، قال : هذا على فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتـي ، فإن

جبريل أمرني بالذـي قلت لكم عن الله عز وجل<sup>(١)</sup>

فكيف ينسون ذلك أو يتناسونه جـميعـاً ؟ !

وما هي علاقتهم بشعار : لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ، فهم ليسوا من قريش ولا مصلحة لهم بإبعاد آل محمد ، وهم يعرفون الولي بدليل أنـهم وفي غـيـابـ عـلـيـ عـنـدـمـاـ أـدـرـكـوـاـ أـنـ الـأـمـرـ سـيـفـلـتـ مـنـ أـيـدـيـهـمـ قـالـوـاـ لـاـ نـبـاعـ إـلـاـ عـلـيـاـ<sup>(٢)</sup> . وعـنـدـمـاـ غـلـبـ الـأـنـصـارـ عـلـىـ أـمـرـهـمـ وـرـاجـعـتـهـ فـاطـمـةـ الزـهـراءـ طـالـبـةـ النـصـرـ كـانـوـاـ يـقـولـوـنـ لـهـاـ : « يا بـنـتـ رـسـوـلـ اللـهـ قـدـ مـضـتـ بـيـعـنـتـاـ لـهـذـاـ الرـجـلـ وـلـوـ أـنـ زـوـجـكـ وـابـنـ عـمـكـ سـبـقـ إـلـيـنـاـ قـبـلـ أـبـيـ بـكـرـ مـاـ عـدـلـنـاـ بـهـ . فـيـقـولـ عـلـيـ كـرـمـ اللـهـ وـجـهـهـ : أـفـكـنـتـ أـدـعـ رـسـوـلـ اللـهـ فـيـ بـيـتـهـ لـمـ أـدـفـنـهـ وـأـخـرـجـ أـنـازـعـ النـاسـ سـلـطـانـهـ ؟ فـتـقـولـ فـاطـمـةـ : مـاـ صـنـعـ أـبـوـ حـسـنـ إـلـاـ مـاـ كـانـ يـنـبـغـيـ لـهـ وـلـقـدـ صـنـعـوـاـ مـاـ اللـهـ حـسـبـهـمـ وـمـطـالـبـهـمـ»<sup>(٣)</sup> .

وبشير بن سعد الذي خرج عن إجماع الأنصار وكان أول من بايع أبا بكر لما

(١) شرح النهج: ١٧٠/٩ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم: ١/٦٣ ومجـمـعـ الزـوـانـدـ: ١٣٢/٩ وكـفـاـيـةـ الطـالـبـ: ٢١٠/٢ وينـابـعـ المـودـةـ: ٣١٣ وكتـرـ العـمـالـ: ١٢٦/١٥ والـرـياـضـ النـضـرـ: ٢٢٣/٢ وفضـائلـ الـخـمـسـةـ منـ الصـحـاحـ الـسـتـةـ: ٩٨ وـمـطـالـبـ السـؤـولـ لـابـنـ طـلـحةـ: ٦٠١ وـفـرـانـدـ السـمـطـينـ: ١٩٧/١ حـ ١٥٤ .

(٢) راجـعـ عـلـىـ سـيـلـ المـثالـ: ١٩٨/٣ وـالـإـمـامـةـ وـالـسـيـاسـةـ: ٨ وـشـرـحـ النـهجـ: ٢٦٦/٢ .

(٣) راجـعـ الإـمامـةـ وـالـسـيـاسـةـ: ١٢ .

سمع احتجاج الإمام قال مخاطباً علياً: «لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان»<sup>(١)</sup>.

أما سعد بن عبادة فقد كان مريضاً ولا يقوى على النهوض ، وإنما ترك بيته دون أن يلقي عليه نظرة الوداع ، وكانت السقيفة مكان له جنباً بيته يستقبل فيها الناس ، وقد تمرض فيها وكان الناس يعودونه ، فاختاروا بيت سعد ليصفقوا على يد أبي بكر فيه ، فيكون ذلك بحضور سعد و يجعلوه أمراً واقعاً !

#### ١٠- القرشيون الثلاثة في السقيفة

دخل المهاجرون الثلاثة إلى السقيفة ، وكان فيها بعض الأنصار لغير ، لأنهم كانوا في بيت النبي ﷺ أو حوله بالعقل والضرورة ، وحتى (الرجلان الصالحان) اللذان لقياهم في الطريق لم ينضما إليهم ، وهما عاصم بن عدي وعويم بن ساعدة برواية الطبرى ، وبرواية أخرى عويم بن ساعدة ومن بن عدي<sup>(٢)</sup> فلو كان هناك اجتماع للأنصار لما تركاه !

ثم من المتكلم الذي فتح المناظرة ؟ إنه تماماً كالذي جاء بخبر اجتماع الأنصار ما زال مجھولاً ، مع أن الذين لهم أدوار أقل من دور ناقل خبر الاجتماع ومن دور من فتح باب المناظرة قد عُرِفوا . إن هذا يؤكّد أن هنالك مقاطع من الحقيقة وجوانب من الرواية مبتورة ، فقد صيغت قصة اجتماع السقيفة تحت إشراف مؤيدي الفاروق والصديق ، وتم تناول القصة وطرحها بطريقة تصور هؤلاء الثلاثة أبطال قصة تاريخية ! ويمكن ملاحظة ذلك من تعدد الروايات

(١) الإمامة والسياسة/ ١٢/ ٨.

(٢) تاريخ الطبرى: ٢٠٥/٣ - ٢٠٦.

وتناقضها أحياناً كالذى قاله لهم (الصالحان البدريان) مثلاً<sup>(١)</sup> كما أن بعض رواياتها صورت سعد بن عبادة على أنه طالب للخلافة ومنافس عنيد للثلاثة حتى أوشكوا أن يقتلوه وقال عمر: «أقتلوه قتله الله»<sup>(٢)</sup> وصورته رواية ثانية كرجل أقام الفاروق عليه الحجة فسكن واقتنع وبایع!<sup>(٣)</sup>

كما أنها لم تبين من الذي فتح المناقشة بعد دخولهم؟ لا أحد في الدنيا يعرف لكن الفاروق يتصور أن هؤلاء يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر<sup>(٤)</sup>

لقد كان هدف الثلاثة من ذهابهم إلى بيت سعد هو بالتحديد تنصيب خليفة في غياب العترة الطاهرة كلها وخاصة عميدها علي بن أبي طالب ، لأنه إن حضر تتغير النتائج حتماً ويفيقم الحجة عليهم ويقنع الأنصار ، فالمطلوب غيابه ليصفو لهم الجو ويتمكنوا من تعين أحد هم خليفة ، فيبایعه مؤيدوهم ولو أشخاص قليلون وتواجه العترة الطاهرة بمرجع بایعه الأنصار ، ولا تكون المواجهة بين علي وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة كأشخاص ، إنما بين خليفة حاكم وأحد رعاياه أو بين أحد نائبى الخليفة وأحد الرعايا المحكومين للدولة ، وهي مواجهة معروفة النتائج ! أما قريش فهي حاضرة لأن رأي الثلاثة هو رأيها ، فهي ممثلة بهم بل بعمر الذي قاد انقلاباً على النبي ﷺ من أجل مقولته قريش .

كما أن الوقت الذي اختاره الثلاثة لتنصيب الخليفة ملائم جداً لهدفهم وهو بعد وفاة النبي ﷺ بساعة واحدة أو أقل ! وهو وقت مثالى لتنصيب الخليفة في

(١) تاريخ الطبرى: ٢٠٥/٣.

(٢) الإمامة والسياسة . ١٠/١.

(٣) تاريخ الطبرى: ٢٠٣/٣.

(٤) تاريخ الطبرى: ٢١٨-٢٠١/٣.

غياب العترة الطاهرة وغياب عميدها ، المشغولين بكليتهم بمصابهم ، والمذهولين حتى عن أنفسهم ، بل إن عامة المسلمين في حالة ذهول ! فهو الوقت المناسب لتنصيب خليفة بالصورة التي تمناها بطون قريش .

ولفهم دقة الإختيار لو أن قريشاً كلها بايعت أبا بكر ولم يبايعه الأنصار ، لما كان لبيعة قريش أدنى قيمة واقعية ، ولأمكن للإمام فيما بعد أن يقيم الحجة على قريش ، وأن ترجح كفته بالأنصار ، ومن هنا لا معنى لاحضار قريش لأن الثلاثة يقومون مقامها ويتحققون أهدافها . ومن هنا نفهم سر أسلوب عمر بأخذ البيعة بعد خروجهم من السقيفة: كان الناس في المسجد الشريف مجتمعين ، فلما أقبل عليهم أبو بكر وأبو عبيدة وقد بايع الأنصار أبو بكر قال لهم عمر: «مالي أراكم مجتمعين حلقاً شتى ، قوموا فبایعوا أبا بكر فقد بايعته وبایعه الأنصار !» فقام عثمان ومن معه من بنى أمية فبایعوا ، وقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما من بنى زهرة فبایعوا . وأما علي والعباس بن عبد المطلب ومن معهم من بنى هاشم فانصرفوا إلى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام ، فذهب إليهم عمر في عصابة فقالوا: إنطلقوا فبایعوا أبا بكر ، فأبوا...» أنظر إلى لهجة الفاروق وأسلوبه بأخذ البيعة .

#### ١١- الحجج الشرعية لأطراف السقيفة

عاجلاً أم آجلاً سيكتشف الباحثون أن لقاء أفراد من الأنصار مع سعد بن عبادة هو لقاء عادي من كل الوجوه ، وليس له أي طابع سياسي ، وإن جرى فيه حديث سياسي فما هو إلا مجرد تبادل بوجهات النظر بين أناس اجتمعوا عند مريض . لكن الذي أعطى لقاء السقيفة هذا الطابع السياسي والتأسيسي هو قدوم المهاجرين الثلاثة فتحولوه إلى لقاء سياسي بتنصيب الخليفة بعد النبي بالصورة

التي أرادوها . ولم تكن غاية المتواجدين من الأنصار أن ينصبوا خليفة منهم كما يحلو للرواة التركيز عليه ، لأن كل الأنصار تعلم أن الخلافة ليست فيهم ، والحجج المنسوبة إليهم لا تخلو من روح المواءمة والتسوية ، بل هي من مستلزمات إخراج القصة وتتوسيع أبطالها وتبرير ما فعلوه ، ثم تداولت الأمة هذه القصة بالكيفية التي أخرجتها وسائل الإعلام الرسمية وأهملت الرواية المناقضة ، فأخذتها الأجيال كحقيقة مكرسة رسميًّا وشعبيًّا ، واستذكرت كل ما يعيها باعتباره خارجاً على إجماع الأمة !

وبماذا احتاج هؤلاء الثلاثة حتى أعطتهم الأنصار المقادرة ؟ وهل كانت حجتهم شرعية فعلاً ؟ احتجوا بالقرابة من النبي ﷺ وأن أقارب النبي ﷺ أولى بسلطانه . وهكذا كانت القرابة البعيدة للنبي ﷺ حجة أبي بكر وعمر والأسس الشرعي التي أقاموا عليها نظام الخلافة ، وأما قرابة النبي ﷺ بعترته وعشيرته الأقربين فهي بحكم بطون قريش سبب لحرمانهم من الخلافة ، لأنه لا يجوز لبني هاشم أن يجمعوا بين النبوة والخلافة ، لأن الخلافة حصة البطون ! قال أبو بكر في السقيفة: « فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاماً والناس تبع لنا ، ونحن عشيرة رسول الله ، ونحن مع ذلك أوسط العرب أنساباً ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة ». وملخص حجة عمر: « إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا من كانت النبوة فيها وأولو الأمر منهم ، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ينافينا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته ؟ إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم ، أو متورط في هلكة »<sup>(١)</sup> . قالت

(١) راجع فيما تقدم على سبيل المثال الإمامة والسياسة ٦٧.

الأنصار: «لا نباع إلا علياً» قال بعض الأنصار: «لا نباع إلا علياً»<sup>(١)</sup> حدث هذا وعلى غائب فكيف لو كان حاضراً لهذا الإجتماع؟

فلو أن الثلاثة المهاجرين قبلوا خلافة علي لما حدث إشكال ، ولسار النظام السياسي الإسلامي سيراً طبيعياً ، ولكنهم مسكونون بمقولة: لا يجوز أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة ! لذلك تجاهلوا قول الأنصار وقال أبو بكر: «إني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين: أبي عبيدة بن الجراح أو عمر ، فباعوا من شئتم» ! فقال عمر: «معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا... أبسط يدك أبا ياعك» ! فأراد بشير بن سعد أن يكون له السبق ، وهو من الأوس المنافسين لسعد زعيم الخزرج ، فقال: «إن محمدأ رسول الله رجل من قريش ، وقومه أحق بميراثه وتولي سلطانه» ثم قفز و كان أول من بايع أبا بكر<sup>(٢)</sup> !

ويجدر بالذكر أن بشيراً هذا كان ثانى اثنين من الأنصار فقط وقفوا مع معاوية ضد علي فيما بعد ! وأصبح بشير بن سعد من أقرب مستشاري الخليفة ونائبه ، فهو نفسه الذي أشار على أبي بكر و عمر بعدم قتل سعد بن عبادة .

أما ثانى المبايعين من الأنصار فهو أسيد بن حضير الأوسى ، وقد أصبح قائداً قوى الأمن الداخلي إن صع التعبير ، فهو نفسه الذي قاد مع عمر السرية التي ذهبت لتطويق بنى هاشم والزبير والممتنعين عن البيعة في بيت علي وفاطمة ، وأخرجوهم بالقوة ، يساعده في ذلك سلمة بن أسلم .<sup>(٣)</sup> هذا كل شئ في السفيقة !

(١) راجع تاريخ الطبرى: ١٩٨/٣ و راجع شرح النهج: ٢٦٥/٢ .

(٢) راجع في كل ما تقدم الإمامة والسياسة ٩-٨ .

(٣) راجع الإمامة والسياسة ٩ وما فوق .

## ١٢- ذهول الصحابة من انقلاب السقيفية

اهتزت الأرض تحت أقدام الذين آمنوا ، ومادت بهم حتى والنبي على فراش الموت ، فقد حدثت سلسلة هائلة من الانهيارات المتلاحقة ، والانهيار يتبعه بالضرورة انهيار ، والانهيار التام وارد لا محالة ، أما متى فالله وحده هو الذي يعلم ! وقد بدأت سلسلة الانهيارات عندما حالوا بين الرسول وبين كتابة ما يريد ، وبموته وقبل دفنه ، أبرم الأمر الذين حالوا بينه وبين كتابة ما يريد ، وقبضوا على زمام السلطة في غياب العترة الطاهرة ، وغياب عميدها ، وغياب الأكثريّة الساحقة من المسلمين ، وواجهوا الجميع بدولة حقيقة تلبس رداء الشرعية كاماً وأمر قد أحكم تماماً .

البراء بن عازب صحابي جليل من أبطال معارك الإسلام ، قال الذهبي: « البراء بن عازب بن الحارث ، الفقيه الكبير أبو عمارة الأنصاري الحارثي المدني ، نزيل الكوفة من أعيان الصحابة . روى حديثاً كثيراً وشهد غزوات كثيرة مع النبي »<sup>(١)</sup> قال المؤرخ أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفية: « سمعت البراء بن عازب يقول: لم أزل لبني هاشم محبأً فلما قبض رسول الله ﷺ خفت أن تمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم ، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول مع ما في نفسي من الحزن لوفاة رسول الله ﷺ! فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النبي في الحجرة وأنفق وجوه قريش ، فإني كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر وعثمان ، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفه بني ساعدة ، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر ! فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب

السقيفة ، وهم محتجزون بالأزر الصناعية لا يمرون بأحد إلا بخطوه وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يباعه شاء ذلك أو أبى ! فأنكرت عقلبي وخرجت أشد حتى انتهيت إلىبني هاشم والباب مغلق فضررت عليهم الباب ضرباً عنيفاً وقلت: قد بايع الناس لأبي بكر بن أبي قحافة ، فقال العباس: تربت أيديكم آخر الدهر ! أما إني قد أمرتكم فعصيتموني ! (عندما توفي النبي قال العباس لعلي: مد يدك أبايعك ليقال عم رسول الله بايع ابن أخيه ، فلم يقبل علي لأنّه كان يعلم أن قريشاً جمعت الطلقاء في المدينة وهي حاضرة أن تعلن الردة) ! فمكثت أكابد ما في نفسي ، ورأيت في الليل المقداد وسلمان وأبا ذر وعبادة بن الصامت وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة وعماراً وهم يريدون أن يعيدوا الأمر شوري بين المهاجرين ! فلما كان بليل خرجت إلى المسجد فلما صرت فيه تذكرت أنني كنت أسمع هممـة رسول الله بالقرآن ، فامتنعت من مكانـي فخرجت إلى الفضاء فضاء بنـي قضاـعة وأـجد نـفراً يتـناـجـون فـلـمـ دـنـوـتـ مـنـهـمـ سـكـتـواـ فـاـنـصـرـتـ عـنـهـمـ ، فـعـرـفـونـيـ وـمـاـعـرـفـهـمـ ، فـأـتـيـهـمـ فـأـجـدـ المـقـدـادـ بـنـ الـأـسـدـ وـعـبـادـةـ بـنـ الصـامـتـ وـسـلـمـانـ الـفـارـسـيـ وـأـبـاـ ذـرـ وـحـذـيفـةـ وـأـبـاـ هـيـثـمـ بـنـ التـيـهـانـ ، وـإـذـ حـذـيفـةـ يـقـولـ لـهـمـ: وـالـلـهـ لـيـكـونـ مـاـ أـخـبـرـتـكـمـ بـهـ وـالـلـهـ مـاـ كـذـبـتـ وـلـاـ كـذـبـتـ ! وـإـذـ الـقـوـمـ يـرـيدـونـ أـنـ يـعـدـواـ الـأـمـرـ شـورـيـ بـيـنـ

المهاجرين !

ثم قال: إنـتوـاـ أـبـيـ بنـ كـعبـ فـقـدـ عـلـمـ كـمـاـ عـلـمـتـ ، قال فـاـنـطـلـقـنـاـ إـلـىـ أـبـيـ فـضـرـبـنـاـ عـلـيـهـ بـاـبـهـ حـتـىـ صـارـ خـلـفـ الـبـاـبـ فـقـالـ: مـنـ أـنـتـمـ ؟ فـكـلـمـهـ المـقـدـادـ فـقـالـ: مـاـ حـاجـتـكـمـ ؟ فـقـالـ لـهـ: مـاـ أـنـاـ بـفـاتـحـ بـاـبـيـ ، وـقـدـ عـرـفـتـ مـاـ جـثـمـ لـهـ ، كـأـنـكـمـ أـرـدـتـمـ النـظـرـ فـيـ هـذـاـ عـقـدـ ؟ فـقـلـنـاـ: نـعـمـ ، فـقـالـ: أـفـيـكـمـ حـذـيفـةـ ؟ فـقـلـنـاـ: نـعـمـ ، فـقـالـ: فـالـقـوـلـ مـاـ قـالـ ! وـبـالـلـهـ مـاـ أـفـتحـ عـنـيـ بـاـبـيـ حـتـىـ تـجـرـىـ عـلـىـ مـاـ هـيـ جـارـيـةـ ، وـلـمـ يـكـونـ بـعـدـهـاـ شـرـ مـنـهـاـ

والى الله المستكفي !

وبلغ الخبر أبا بكر وعمر ، فأرسلا إلى أبي عبيدة والمغيرة بن شعبة ، فسألاهما عن الرأي ، فقال المغيرة: الرأي أن تلقوا العباس ف يجعلوا له هذا الأمر نصيباً فيكون له ولعقبه فتقطعوا به من ناحية علي ، ويكون لكم حجة عند الناس على علي إذا مال معكم العباس . فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس ، وذلك في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال: إن الله ابتعث لكم محمداً نبياً وللمؤمنين وليناً فمن الله عليهم بكونه بين ظهارنיהם حتى اختار له ما عنده ، فخلى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم متلقين غير مختلفين ، فاختاروني عليهم وليناً والأمورهم راعياً ، فتوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهناً ولا حيرة ولا جبناً ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب . وما انفك يبلغني عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين ، يتخذ لكم لجأ ف تكونوا حصنـه المنـيع وخطـبه البدـيع ، فإما دخلـتم فيما دخلـ فيه الناس ، أو صرفـتمـهم عـما مـالـوا إـلـيـه ، فقد جـثـناـك وـنـحـنـ نـرـيدـ أنـ نـجـعـلـ لكـ فيـ هـذـاـ الأـمـرـ نـصـيـباًـ وـلـمـ بـعـدـكـ مـنـ عـقـبـكـ ، إـذـ كـنـتـ عـمـ رـسـوـلـ اللهـ ، وـإـنـ كـانـ المسلمينـ قد رـأـواـ مـكـانـكـ مـنـ رـسـوـلـ اللهـ وـمـكـانـ أـهـلـكـ ثـمـ عـدـلـواـ بـهـذـاـ الأـمـرـ عـنـكـمـ . وعلى رـسـلـكـ بـنـيـ هـاشـمـ فـإـنـ رـسـوـلـ اللهـ مـنـاـ وـمـنـكـ ! فـاعـتـرـضـ كـلـامـهـ عمرـ ، وـخـرـجـ إلىـ مـذـهـبـهـ فـيـ الـخـشـونـةـ وـالـوعـيدـ وـإـتـيـانـ الـأـمـرـ مـنـ أـصـعـ جـهـاتـهـ فـقـالـ: إـيـ وـالـهـ وـأـخـرىـ أـنـاـ لـمـ نـأـتـكـ عـنـ حـاجـةـ إـلـيـكـ ، وـلـكـ كـرـهـاـ أـنـ يـكـونـ الطـعـنـ فـيـمـاـ اـجـتـمـعـ عـلـيـ الـمـسـلـمـونـ مـنـكـ ، فـيـتـفـاقـمـ الـخـطـبـ بـكـمـ وـبـهـمـ ، فـانـظـرـواـ لـأـنـفـسـكـمـ وـعـامـتـهـمـ ، ثمـ سـكـتـ)ـ .ـ اـنـتـهـىـ .ـ<sup>(١)</sup>

(١) كتاب السقيفة للجوهرى ٤٨١.

وتدل شهادة البراء بن عازب على أن خلافة أبي بكر كانت بعيدة عن النص التبوّي وعن مشورة أهل الحل والعقد ، وكانت متأرجحة ، حتى غلت فيها قوة طلقاء قريش ، وساعد عليها تخاذل الأنصار ! وقال البخاري إن عمر وصفها بأنها كانت «فلتة وقى الله شرها». وقد تعجب أهل الشيعة من تكيف السنة لها فقالوا: «أوجبوا إطاعة أبي بكر على جميع الخلق في شرق الأرض وغربها ، باعتبار مبايعة عمر بن الخطاب له برضاء أربعة: أبي عبيدة ، وسالم مولى حذيفة ، وبشير بن سعد ، وأسيد بن حضير لا غير . فكيف يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر إيجاب اتباع من لم ينص الله تعالى عليه ولا رسوله ولا اجتمع الأمة عليه ، على جميع الخلق لأجل مبايعة أربعة أنفار»؟<sup>(١)</sup>

### ١٣- التفريط بأعظم ثروة على الإطلاق

لو أن المهاجرين الثلاثة شاركوا العترة الطاهرة وال المسلمين في تجهيز النبي لمواراته في ضريحه المقدس ، وبعد مواراته اتجهت جموع المشيعين إلى المسجد فأدت الصلاة المفروضة بإمامية مولى كل مؤمن ومؤمنة باعتراف الثلاثة ، وبعد أن فرغت من صلاتها قام كل واحد من هؤلاء الثلاثة فتكلم بما يحلو له ويبين تصوره وطرح فكره ، وأتيحت الفرصة ليقول كل ذي رأي رأيه .

وبعد ذلك قام الولي ببيان حكم الشرع في كل الآراء المطروحة باعتباره هو الهادي بنص الشرع ، وهو المبين للأمة بعد النبي ما تختلف عليه بنص الشرع ، والأنصار وجموع المسلمين يسمعون كل ذلك ويعونه ، ويقومون بدور المرجع ، ثم يبايعون الإمام الذي أرادهم الله بالنص أن يبايعوه ..

(١) نهج الحق للحلي/١٦٩.

لو حدث ذلك لكان ذلك ثمرة هذه المنازرة أعظم ثروة فكرية إنسانية على الإطلاق ، ولتغير مجرب التاريخ تماماً ، ولأنه يمكن تطبيق النظام السياسي الإسلامي الذي أنزله الله على عبده ، ولأنه يمكن من خلاله انتقال الجنس البشري كله ، وتكوين الدولة العالمية التي تحكم الكورة الأرضية وفق أحكام الشرع .

تلك أمنية ، ما تحقق لأننا تركنا النص واجتهادنا . وأمة ترك النصوص الشرعية وتعمل باجتهادها أمة هالكة لا محالة ، وذائقه وبال أمرها ، جراء وفاقاً لتبديلها نعمة الله وهدايته ، وتأويلها للواضحة من أوامرها ، لا لشيء ، إلا لتوافق مع ما تهوى الأنفس !

#### ٤- إذلال الولي وتهديده بالقتل إن لم يبايع

هددت السلطة كما أسلافنا بحرق بيت فاطمة على من فيه إن لم يخرج المتعاطفون مع الولي فيبايعوا خليفة البطون ، فقيل لعمر: إن في البيت فاطمة ! فقال: وإن ! وأدرك المتواجدون في بيت علي أن عمر جاد في عزمه على حرق بيت فاطمة ، فخرجوها فيبايعوا بالقوة ، إلا علياً صاحب البيت ، فوقفت فاطمة على باب بيتها فقالت: «لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم لم تستأمونا ولم تردوا لنا حقنا...» .

وأرسل أبو بكر من يدعوه علياً وعلى يرفض ، ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى أتوا بباب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبا يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة؟» فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تتصدع وأكبادهم تتفطر . إلا أن عمر القوي الذي لا يعرف اللين ، ولا تأخذه لومة لائم بقي ومعه قوم ، فأخرجوا علياً فمضوا به إلى أبي بكر فقالوا: بائع . فقال: إن لم أفعل فمه ؟ قالوا: إذا والله

الذى لا إله إلا هو نضر بعنقك . قال علي: إذا قتلون عبداً لله وأخا رسوله . قال عمر: أما عبد الله فنعم ، وأما أخو رسوله فلا ! فقال عمر: ألا تأمر فيه بأمرك ؟ فقال أبو بكر: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جانبه . فلحق علي بقبر رسول الله يصيح وينادي: ابن أمِ إنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي !<sup>(١)</sup>

#### ١٥ - المواجهة الغير متكافئة بين الولي والسلطة الجديدة

الولي من بعد النبي جرد من كل سلطاته ، وأتي به إلى أبي بكر بالقوة وهو يقول: أنا عبد الله وأخو رسوله ! فقيل له: بايع أبا بكر ، فقال: «أنا أحق بهذا الأمر منكم وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتجتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه منا أهل البيت غصباً ؟ ألسنتم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لما كان محمد منكم ، فأعطوهكم المقادرة وسلموا إليكم الإمارة وأنا أحتاج عليكم بمثل ما احتجتم به على الأنصار ، نحن أولى برسول الله حباً ومتيناً فأنصفونا إن كتمت تؤمنون وإلا فهوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون» .

كلام الولي هذا لا يستحق حتى رد السلطة ، فقال له عمر على الفور: «إنك لست متروكاً حتى تبايع . فقال له علي: أحلب حليباً لك شطره وأشدد له اليوم أمره يردهه عليك غداً ! ثم قال: والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه . فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي كرم الله وجهه: يا ابن عم إنك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، أرى أبا بكر أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالاً واضطلاعاً به ، فسلم لأبي بكر ، فإنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خلائق وبه حقيق ، في فضلتك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك

(١) راجع الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٢/١ ، والعقد الفريد: ٢٥٩/٤ و ٢٦٠ ، وشرح النهج: ١٣٤/١ و ١٩٢/٢ ، وتاريخ الطبرى: ٢٠٢٣ ، وأنساب الأشراف: ٥٨٦/١ ، وملحق المراجعات تحقيق حسين راضى ٢٦١.

ونبك وصهرك فقال علي عليه السلام: الله الله يا عشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره وقعر بيته ، إلى دوركم وقبور بيوتكم ، ولا تدافعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فو الله يا عشر المهاجرين لنحن أولى بهذا الأمر ما كان فيما القاري لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسن رسول الله ، المضططع بأمر الرعية ، والمدافع عنهم الأمور السبعة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً .

#### ١٦- محاولة لاسترضاء الزهراء

بعد إلحاح تمكّن الفاروق والصديق من مقابلة الزهراء ، فقالت لهما نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول: «رضا فاطمة من رضائي وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب فاطمة ابتي فقد أحببني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني ؟ قالا: نعم سمعناه . قالت: فإني أشهد الله ولملاتكته أنكما أسرختمانى وما أرضيتمانى ، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه ! فأخذ أبو بكر يستحب وهي تقول: والله لأدعون عليك في كل صلاة أصليها ثم خرج باكيأ» <sup>(١)</sup>.

#### ١٧- أبو بكر يهم بالتنازل عن الخلافة

فاجتمع الناس إليه لما خرج فقال لهم: «بيت كل رجل منكم معانقاً حليته مسروراً بأهله وتركتمني وما أنا فيه ، لا حاجة لي في بيعتكم أقبلوني يعني» . ومن الطبيعي أن من حوله سيرفضون ذلك ويعللون هذا الرفض تعليلاً شرعاً <sup>(٢)</sup> .

#### ١٨- الموقف النهائي للولي

استقر الأمر للسلطة الجديدة ، وأصبح الولي مجرد مواطن عادي ، إن شاءت

(١) راجع فيما تقدم الإمامة والسياسة ١٢/١٣ .

(٢) راجع الإمامة والسياسة ١١/ وما فوق ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

السلطة قربته منها وإن شاءت أبعدته ، فهي صاحبة الحق بذلك بحكم الغلبة !

لقد ضاعت الخلافة منه مع أنها حقه الخالص من الله ورسوله ، واستمراره بالمعارضة يؤدي لقتله ومبررات القتل كثيرة ! أولها جرم شق عصا الطاعة والخروج على الجماعة ومنازعة الأمر أهله... إلخ ! ولا أحد معه إلا أهل بيته ، وقد وصف حاله بتلك الفترة فيقول: «ونظرت فإذا ليس معي إلا أهل بيتي ، فظننت بهم عن الموت ، وأغضبت على القذى ، وشربت على الشجا ، وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمر من طعم العلقم»<sup>(١)</sup> وقال يوماً: «فَجَزَّ قُرِيشَ عَنِ الْجَوَازِيَ فَقَدْ قَطَعُوا رَحْمِيَ وَسَلْبُونِيَ سُلْطَانَ ابْنَ أَمِي»<sup>(٢)</sup> «وأجمعوا على منازعني أمراً هو لي... وقد قال قائل: إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحربيص ، بل أنتم والله الأحرص ، وإنما طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علىي منذ قبض رسول الله حتى يومنا هذا»<sup>(٣)</sup> ولم يكن أمامه إلا الإحتجاج عليهم سل米اً ، فقد في بيته . ولو قاومهم بالقوة لما تمت له حجة ولا سطع لشيعته برهان ، لكنه جمع بين حفظ الدين والإحتفاظ بحقه في خلافة المسلمين ، وحين رأى أن حفظ الإسلام ورد عادية أعدائه موقوف في تلك الأيام على المواجهة والمسالمة شق بنفسه طريق المواجهة ، وآخر مسالمة القائمين في الأمر احتفاظاً بالأمة ، واحتياطاً على الملة ، وضناً بالدين ، وإيثاراً للعاجلة على الآجلة ، وقياماً بالواجب شرعاً وعقلاً ، من تقديم الأهم في قيام التعارض على المهم<sup>(٤)</sup> .

(١) راجع شرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة ابن أبي الحميد: ٦٢/١.

(٢) راجع شرح النهج: ٦٧/٣.

(٣) راجع شرح النهج: ١٠٣/٢ و ٣٧/١ ، وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام: ١٣٥ .

(٤) المراجعات للإمام شرف الدين العاملي: ٣٣٢ - ٣٣٤ وراجع كتابنا النظام السياسي في الإسلام: ٣٣ / وما فوق .

## ١٩- بطون قريش تتصرف كفريق واحد

كافة بطون قريش كانت تتصرف طوال التاريخ كفريق واحد لا فرق بين بطن وبطن ، طالما أن للجميع هدفاً واحداً ، وهو منع الهاشميين من الجمع بين الخلافة والنبوة ! ففي سقيفةبني ساعدة قال أبو بكر مخاطباً الحاضرين من الأنصار: «إنني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة بن الجراح أو عمر ، فبایعوا من شتمهما . فقال عمر: معاذ الله أن يكون ذلك ، وأنت بين أظهرنا »<sup>(١)</sup> ومن الطبيعي أن لأبي عبيدة نفس الموقف ، فلا فرق بين الثلاثة ، فكلهم إخوة وكلهم من فريق ، ولكن عندما قالت الأنصار: لا نبايع إلا علياً ، رفض الثلاثة هذا العرض مجتمعين <sup>(٢)</sup> . وعندما هم أبو بكر بالتنازل عن الخلافة تصدت له قريش وأبى عليه ذلك فقرىش مجتمعة على ذلك . انظر إلى قول الولي: «فجزت قريش عنى الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمري»<sup>(٣)</sup> وقال مرة: «اللهم إنني أستعينك على قريش و من أعنهم فإنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم منزلتي وأجمعوا على منازعي أمرأ هو لي»<sup>(٤)</sup>

ثم عندما أراد أبو بكر أن يستخلف من بعده كتب له الوصية عثمان ، فقال أبو بكر (أكتب) ثم أغمى عليه ، فكتب عثمان: «إنني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً» وعندما أفاق الخليفة من إغماءه قال له اقرأ... فقال

(١) الإمامة والسياسة ٩/.

(٢) تاريخ الطبرى: ١٩٨٣ وشرح النهج: ٢٦٥/٢.

(٣) ٦٧٣: من شرح النهج.

(٤) راجع شرح النهج: ١٠٣/٢ و ٣٧/١: من الشرح.

أبو بكر: لو كتبت نفسك لكتت أهلاً لها<sup>(١)</sup> فلا فرق على الإطلاق بين عمر وعثمان ، فكلاهما إخوة ومن نفس الفريق !

وقبيل وفاة عمر قال: «لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح باقياً استخلفته ووليته ، ولو أدركت معاذ بن جبل استخلفته ، ولو أدركت خالد بن الوليد.. ولو أدركت سالماً مولى أبي حذيفة...»! إنه لا فرق بينهم فكلهم من نفس الفريق ، ولا يوجد أي خطأ بتولية معاذ وهو من الأنصار ، وما كان جائزًا أن يتولى أنصاري الخليفة لأنها محصورة بمن كانت النبوة فيهم حسب رأي الفاروق آنذاك ، ولا خطأ بأن يتولى الخليفة رجل فارسي من الموالي كسالم مولى أبي حذيفة ، المهم أن لا يتولاها علي بالذات أو أي هاشمي ! ويوم تشاور الخمسة وكان طلحة غائباً ، فلو لم يكن علي موجوداً لباعوا عثمان فوراً ، فهو أول من بايع الصديق بعد عمر وأبي عبيدة من المهاجرين ، وهو الذي كتب: «إني أستخلف عليكم عمر» وهو المرشح الوحيد لخلافة عمر وكان يعرف بالرديف في زمن عمر ! ومن يدقق بوصية عمر يكتشف بأقل جهد بأن عثمان هو الفائز بكل الحالات . وعند عودة طلحة أعلن عثمان عن استعداده للتنازل لطلحة أن رغب بذلك ، ولم لا ، فكلهم إخوة ، وكلهم فريق ، وغاياتهم واحدة ، وهي عدم تمكين الهاشمين من أن يأخذوا الخليفة لأنهم أخذوا النبوة ! بل ولا مانع من أن يتولى الخليفة عبد الله بن عمر بعد أبيه ، بل أشاروا على الفاروق بذلك فقالوا له: «يا أمير المؤمنين استخلفه إن فيه للخلافة موضعًا» ! فكل قريش فريق ، ولا فرق بينها على الإطلاق !

(١) راجع تاريخ الطبرى: ٤٢٩/٣ وسيرة عمر لابن الجوزي/٣٧ وتاريخ ابن خلدون: ٨٥/٢.

## الفصل العاشر

### تجريد الهاشميين من كافة الحقوق السياسية

لم تكتف بطون قريش بالحيلولة بين علي ورئاسة الدولة الإسلامية ، بل حرمَتْ على أي هاشمي العمل في أي وظيفة عامة ، فأبُو بكر لم يستعمل أي هاشمي ، وعمر كذلك ، وعثمان كذلك !<sup>(١)</sup> وحتى في الشورى اشترط عبد الرحمن بن عوف على علي عليه السلام أن لا يولي أحداً منبني هاشم منصباً ، قال له: «أبَايُك على شرط أن لا يجعل أحداً منبني هاشم على رقاب الناس» ! فقال علي عند ذلك: ما لك ولهذا إذا قطعتها في عنقي فإن علي الإجتهاد لأمة محمد ، حيث علمت القوة والأمانة استعنت بها كان فيبني هاشم أو غيرهم! قال عبد الرحمن: «لا والله حتى تعطيني هذا الشرط ! قال علي: والله لا أعطيكه أبداً»<sup>(٢)</sup>

ومعنى ذلك أنه لا يجوز لل الخليفة أن يستعمل هاشمياً حتى ولو كان ذا قوة وأمانة ! ولا داعي للتذكرة بأن عبد الرحمن نفذ بدقة وصية عمر .

أما غاية الفاروق من عدم استعمال الهاشمي ، فقد أجاب على ذلك ، عندما هم مرة أن يستعمل ابن عباس ولكنه تردد وأخبر ابن عباس بترددده ، ولما سأله لماذا يخشى منه ويتردد في توليه ، قال له الفاروق: «يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي عليَّ الذي هو آت - يعني يموت - وأنت على عملك فتقول: هلم إلينا ولا هلم

(١) الإمامة والسياسة ٢٤.

(٢) الإمامة والسياسة ٢٦-٢٧.

إليكم دون غيركم»<sup>(١)</sup>. فهو يريد أن يطمئن أنه حتى بعد موته بأن الخلافة لن تؤول لعلي أو لأبي هاشمي ، وهذا قمة الوفاء لشعار لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة !

### ١- برح الخفاء وباحت الأسرار

بعد أن أحبط بطون قريش في فتح مكة وأجبرها النبي ﷺ على خلع سلاحها اعتقدت بأنه يجب القسمة معبني هاشم فتكون لهم النبوة وحدهم لاتشاركتهم فيها البطون ، وتكون خلافة محمد بطون قريش وحدها لا يشاركتهم فيها بنو هاشم ! فهذه القسمة برأيهم قسمة عادلة تماماً ، لذلك قررت البطون بالإجماع أن لا تُمكِّن الهاشميين من أن يجمعوا الخلافة مع النبوة ، لكنها لا تدرى ماذا تفعل ، وكيف تضع قرارها موضع التنفيذ ، لأنها أسلمت متأخرة فتأخرت !

وبينما كانت البطون حائرة في أمرها ، برب ابن قريش البار عمر بن الخطاب معبراً عن ضميرها ومتراجماً قسمتها ومنفذًا لقرارها ، ومبرراً هذه القسمة وشرعية القرار ، فاستحق بحق لقب ابن بطون قريش البار . فعمر هو الذي حال بين رسول الله وبين كتابة ما يريد ، بحجة أن المرض قد اشتد برسول الله وأن كتاب الله وحده يكفي ، وأعوان عمر هم الذين أيدوا رأيه وتطرفو في تأييده حتى بلغ بهم أن قالوا: « هجر رسول الله ، إستفهموه إنه يهجر » ! واختلفوا وتنازعوا بشدة مع الفريق الذي أيد رسول الله ! وما كان لهم أن يقول ما قالوا الولاء ثقتهم المطلقة بالفاروق ومعرفته اليقينية بمضمون هذا الكتاب ! فقد أدرك عمر بثاقب بصيرته أن النبي ﷺ يريد أن يجدد عهوده للولي ، فحال بينه وبين كتابة ما يريد بحجة أن

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي: ٤٥٤ - ٣٥٣/٢.

المرض قد اشتد به ، لأنه ليس من الصواب برأيه أن يكتب النبي وصيته .  
 لكن الفاروق نفسه لا يرى غضاضة من أن يكتب الصديق وصيته عند اشتداد المرض ، ولا حرج على الفاروق نفسه لو كتب وصيته عند اشتداد المرض به ، مع أن المرض قد اشتد به وبالصديق أكثر مما اشتد برسول الله !  
 وحادثة الحيلولة بين الرسول وبين كتابة ما أراد ، ثابتة ! ولم يخلق بعد الذي سينكرها أو سيقوى على تبريرها !  
 وحادثة وصية الصديق أثناء مرضه ، ووصية الفاروق أثناء مرضه ، ثابتة  
 كطلع الشمس من المشرق ، وهاتان الوصيتان هما أسس نظام الخلافة التاريخي .

## ٢- تصریح الفاروق بأسباب المنع

حاور الفاروق يوماً ابن عباس فقال له: «كيف خلقت ابن عمك ؟ قال: فظنته يعني عبدالله بن جعفر ، قال فقلت: خلقته مع أترابه . قال عمر: لم عن ذلك إنما عنيت عظيمكم أهل البيت . قال قلت: خلقته يمتحن بالغرب وهو يقرأ القرآن . قال: يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتها ، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة ؟ قلت: نعم . قال: أيزعم أن رسول الله نص عليه ؟ قال ابن عباس قلت: وأزيدك: سأله أبي عما يدعى من نص رسول الله عليه بالخلافة فقال: صدق . قال عمر: قد كان من رسول الله في أمره ذراؤاً - نوعاً - من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذرآ ، ولقد كان يربع ، -- يمتحن - في أمره وقتاً ما . ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعته» <sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع شرح النهج لعلامة المعتزلة مجلد ١٠٥/٣ وقد نقلها عن تاريخ بغداد.

## ٢- رأي الفاروق بشعار تحريم الخلافة علىبني هاشم

قال عمر لابن عباس في حديث طويل دار بينهما: « يا ابن عباس ، أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد ؟ قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أدرى فإن أمير المؤمنين يدرى . فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحًا بجحًا ! فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووْقَت . قال فقلت: يا أمير المؤمنين إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت . قال: تكلم قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووْقَت ، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حيث اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود ، وأما قولك: إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فإن الله عز وجل وصف قوماً بالكرامة فقال: ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم . فقال عمر: هيهات يا ابن عباس ، قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أفرك فتزيل منزلتك مني . فقلت: يا أمير المؤمنين فإن كانت حفاظاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك ، وإن كانت باطلًا فمثلي أهاط الباطل عن نفسه . فقال عمر: بلغني أنك تقول: حرفوها عنا حسداً وبغيًا وظلماً . قال ابن عباس فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والعالم، وأما قولك حسداً فإن آدم حسد ونحن ولده المحسودون ! فقال عمر: هيهات هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول. قال فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تتصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»<sup>(١)</sup>

(١) راجع الكامل لابن الأثير: ٢٤/٣ وشرح نهج البلاغة لعلامة المعتزلة: ١٠٧/٣ و: ٥٢/١٢ ، وتاريخ الطبرى/ ٢٢٣ و: ٢٨٩/٢ وملحق المراجعات/ ٢٦٢.

### ٣- فرط الوفاء لهذا الشعار

لم يكتف الفاروق بالعمل على ترجمة شعار: لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة ، إلى واقع سائد في حياته ، إنما عمل بكل قواه حتى يسود هذا المبدأ حتى بعد وفاته ، فهو حريص كل الحرص على أن لا تؤول رئاسة الدولة الإسلامية لعلي أو لأي هاشمي بعد وفاته ، مثل حرصه على أن لا يتولى أي هاشمي أي عمل من أعمال الدولة الإسلامية ، حتى ولو كان هذا الهاشمي ذاته !

فبعد الرحمن بن عوف الذي أعطاه عمر حق النقض في الشورى التي رتبها بعده ، كان ينفذ وصية الفاروق تنفيذاً حرفيأً عندما اشترك على علي عدم تولية أي هاشمي حتى ولو كان ذاته ! ، فهو تعبير آخر عن كلامه مع ابن عباس عندما مات عامل حمص ، فأرسل إلى ابن عباس وهم بتوليته ثم عدل ، والسبب كما يذكره الفاروق: « يا ابن عباس إني خشيت أن يأتي علي الذي هو آت - يعني موت عمر - سؤلت في عملك فتقول: هلم إلينا ولا هلمن إليكم دون غيركم »<sup>(١)</sup>.

الفاروق يريد أن يموت وهو مطمئن البال بأنه أياً من الولاة لن يدعه لبني هاشم ، ولن يساعد دعوتهم لترأس الدولة الإسلامية . ومن أجل هذا وضع الشرط عدم جواز تولية الهاشمي حتى ولو كان ذاته ! ، ثقنا بذلك مراراً ! وهذا متنه الوفاء لشعار: لا ينبغي أن يجمع الهاشميون النبوة والخلافة ، فلا أحد من البطون يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة من الوفاء لشعارهم !

---

(١) راجع مروج الذهب للسعدي: ٣٥٣/٢ - ٣٥٤.

#### ٤- هل أمر الله بهذا الشعار؟

هذا الشعار جاهلي من كل الوجوه كما أثبتنا ، فما أمر الله به ولا أمر به رسوله ولا تقره عقيدة الإسلام لا من قريب ولا من بعيد ، بل هو يتعارض تعارضًا كاملاً مع النصوص الشرعية القولية والفعلية ، كالنصوص المتعلقة بتنصيب علي بن أبي طالب ولیاً من بعد النبي ﷺ ، والتي عرضناها ووثقناها ، ويتعارض مع النصوص الواردة بوجوب التمسك بالعترة أهل بيته عليهما السلام ، واعتبارهم أحد الثقلين ، وسفينة النجاة وحزب الله ، وأمان الأمة من الإختلاف ، وأن الشرف والرئاسة لمحمد وآلہ .

ولتأكيد هذه الحقيقة جعل الله الصلاة على محمد وآلہ ، ركناً من أركان الصلاة المفروضة ، وقد وثقنا ذلك أكثر من مرة .

#### ٥- لماذا يتمسك الفاروق بهذا الشعار ويتشدد به؟

لأن الفاروق حسب إجتهاده يرى أن هذه القسمة (النبوة للهاشميين والخلافة للبطون) قسمة عادلة ، وأن قريشاً عندما قسمت هذه القسمة قد اهتدت ووقفت تماماً كما وثقنا ذلك ! ثم من باب سد الذرائع ، ولو جمع الهاشميون النبوة مع الخلافة فإن ذلك إجحافٌ منبني هاشم على بطون قريش ، والإجحاف ليس من الإسلام ! أما على بالذات فهو صغير السن بالنسبة لغيره ، وهو غير مؤهل ليكون ولیاً على المسلمين من بعد النبي !

ولكل ما أشرنا من أسباب ، وللحرص على الإسلام ، تبني الفاروق هذا الشعار وأخلص له بالرغم من إدراكه بأنه يتعارض مع ظاهر النصوص ، لأن الفاروق لا

يتعامل مع الفظواهر ، إنما يتعامل مع البواطن وما لات الأمور !

والفاروق حريص على مستقبل الإسلام والمسلمين حتى عندما كان وزيراً ، فعندما أراد النبي ﷺ أن يكتب وصيته ، ورأى الفاروق أن هذه الوصية قد تشكل خطراً على مستقبل الإسلام والمسلمين تصدى للنبي الكريم نفسه ، وعارض كتابة الوصية واستقطب حوله مجموعة كبيرة من المعارضين ، فتمادوا بمعارضتهم للنبي حتى قالوا للنبي ﷺ وواجهة: رسول الله هجر ، إستفهموه إنه يهجر !!!

والفاروق هو الذي رتب أمر اختيار الخليفة وتتابع الأحداث دقيقة بدقة ، حتى نصب الخليفة الجديد في غياب كل قريش ، وغياب العترة الطاهرة وغياب عميدها ، وذلك حرصاً على مصلحة المسلمين ووحدتهم ، وحتى لا يجمع الهاشميون النبوة مع الخلافة فيجحفوا على قومهم ، والفاروق بطبيعته يكره الإجحاف والظلم .

والفاروق لا يتناهى فيما يمس أمن الدولة ووحدة الأمة ، فأمن الدولة ووحدة الأمة فوق كل اعتبار ، فإذا اعتقد أن الإخلال بأمن الدولة أو تعريض وحدة الأمة للخطر يصدر عن بيت فاطمة بنت محمد نفسها ، فلا مانع يمنع من حرق بيت فاطمة على من فيه ، لأن القانون يسري على الجميع بما فيهم فاطمة ، وقد همَّ الفاروق حقيقة بحرق بيت فاطمة بعد أن جاء بالحطب ، ولكن المعارضة خرجت فعدل عن حرق بيت فاطمة .

والفاروق لا يتهاون بمن يخالف عن البيعة كائناً من كان ، حتى ولو كان الولي من بعد النبي نفسه ، فعندما رفض علي مبايعة أبي بكر ، هدد الفاروق بالقتل إن لم يبايع ، ومع هذا يقول لمن استصغر شأن الولي (هذا مولاي ومولاك ومولى كل

مؤمن ومؤمنة ) وكان يرجع إليه يستشيره في كثير من الأمور ، وكثيراً ما قال ( اللهم إني أعوذ بك من معضلة ليس فيها أبو حسن ) وقد وثقنا كل ذلك في هذه الدراسة وفي كتابنا النظام السياسي في الإسلام .

ثم عندما أحضروا علياً كان الفاروق هو الذي هدد علياً باقتل إن لم يبايع ، وعندما رفض علي طلب الفاروق من أبي بكر أن يأمر فيه بأمره ويقتلته ! وبالرغم من ذلك فإن الفاروق هو الذي اقترح على الصديق أن يذهب بعد الحادثة ويعذر للزهراء !

والفاروق نفسه هو واضح شرط عدم جواز تولية الهاشمي وتسلیطه على رقاب الناس ، حتى لو كان ذا قوة وذا أمانة ، وذلك من باب سد الذرائع حتى لا يجمع الهاشميون النبوة والخلافة معاً فيؤدي ذلك لاجحافهم على بطون قريش .

وبالرغم من ذلك كان يبدأ آل محمد عند توزيع العطايا ويقدمهم على نفسه وعلى آل أبي بكر ، كما يروي البلاذري في فتوح البلدان .

وباختصار ، فإن للفاروق أسلوبه ومنهجه الخاص بفهم الدين ، ولا يجد حرجاً ولا غضاضة بالجهر بهذا الأسلوب وهذا المنهج حتى بمواجهة النبي نفسه ، وحادثة الرزية ، كما يسميها ابن عباس ، خير مثال على ذلك .

وقد يبلغ به الأمر حداً أن يواجه بأسلوبه ومنهجه النص القرآني نفسه وعلى سبيل المثال قوله تعالى: إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفَقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤْلَفَةُ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فالنص القرآني يحدد الجهات المستفيدة من الصدقات وعلى سبيل الحصر ، ويعتبر هذا التحديد فريضة إلهية مثل أي فريضة . لكن لاح للفاروق أن سهم المؤلفة قلوبهم لا ضرورة له ، وهم لا يستحقونه فهو بعشرة لمال الله ، فالله

نصر الإسلام وأعز دينه ، ولا حاجة لتأليف القلوب بالمال ، وبجرة قلم أسقط سهم المؤلفة قلوبهم ، ومنع عنهم الحق الذي رتبه الله لهم ، مع علمه بأن الرسول نفسه قد أعطى المؤلفة قلوبهم هذا السهم بالرغم من مجى نصر الله والفتح .

وسهم الخامس لأهل البيت مثال آخر ، ومتعة الحج التي شرعت على عهد النبي وظلت قائمة حتى نهى عنها الفاروق ، والطلاق بالثلاث كان باطلًا في زمن النبي وأبي بكر ، لأن الطلقات يجب أن تكون متفرقة ، فجاء عمر وقال: «إن المسلمين يستعجلون الأمر وإن الأوفق أن يكون الطلاق ثلاث مرات» فجعل صيغة (أنت طالق ثلاثة) تحل محل الطلاق ثلاث مرات ... إلخ .

والفاروق يندفع كالإعصار ، فلا شيء يقف في طريقه ، ولا شيء يمنعه من أن يقول ما يعتقد أنه الحق ويواجه به أيًّا كان ، فقد كانت له الكلمة العليا في زمن الصديق ، لأن الصديق مدین له باستخلافه ، ولو شاء عمر لكان هو الخليفة بدله كما اعترف الصديق ! وكانت له الكلمة المسموعة في كل بطون قريش بعد فتح مكة ، لأنها تعرف أنه وحده منع الهاشمين من أن يجمعوا الخلافة والنبوة ولو لواه لجموهما . وكانت له الكلمة العليا عند بنى أمية بالذات ، فهو الذي عين يزيد بن أبي سفيان ومعاوية وثبتهما على ولادة الشام ، وهو الذي أوصى عملياً لعثمان الأموي . وكانت له الكلمة العليا في زمنه لأنه هو الخليفة ، فغزت محبته قلوب قريش ، وامتدت لبقية المجتمع المسلم ، وسرت كالعاافية .

## ٦- الحكم والمعارضة

برز القائمون على أمر كحكام حقيقين بيدهم الحول والقوة ، وقد استقام لهم الأمر وبايعهم الأتباع وسلموا لهم الإمارة والمرجعية ، فهم حكم حقيقي وسلطة

واقعية . ووُجِدَ الوليُّ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ نَفْسَهُ وحِيداً مَعَ الْقُرْآنِ ، وَالْقُرْآنُ مَعَهُ يَدُورُ حِيثُ دَارٌ<sup>(١)</sup> وحِيداً مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقِّ مَعَهُ يَدُورُ حِيثُ دَارٌ<sup>(٢)</sup> وحِيداً مَعَ قَرْرَتِ التَّعْبِينِ الإِلَهِيِّ بِأَنَّهُ الْهَادِي<sup>(٣)</sup> وحِيداً مَعَ قَرْرَتِ حَقِّهِ بِالْبَيَانِ عِنْدِ الْإِخْتِلَافِ بَعْدَ وِفَاتِ النَّبِيِّ<sup>(٤)</sup> وَأَنَّهُ كَالنَّبِيِّ حَجَّةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٥)</sup> وَأَنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِكُلِّ الْمُنَازِلِ الَّتِي كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهَا هَارُونَ مَعَ مُوسَى بِاسْتِثنَاءِ النَّبُوَةِ<sup>(٦)</sup> !

وَجَدَ الوليُّ نَفْسَهُ وحِيداً مَعَ كُلِّ هَذَا ، وَمُجْرِداً مِنْ كُلِّ سُلْطَاتِهِ ، وَلَا أَحَدٌ يَصْغِيُ إِلَيْهِ ، إِنَّهُ مُجْرِدُ مُوَاطِنٍ عَادِيٍّ لَا مَعِينَ لَهُ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِ الطَّاهِرِ وَبَنْيُ هَاشِمٍ الَّذِينَ أَنْهَكُتُمُوهُمْ مُقَارِعَةَ الْعَرَبِ ! تَلْكَ هِيَ التَّقَاطِعُ الْأَسَاسِيُّ لِلْمُعَارِضَةِ ، لَيْسَ مَرْشِحَةً لِعَلْمِ الْكَثِيرِ ، لَكِنَّهَا مُرْشِحَةٌ وَمُؤْيِّدَةٌ مِنَ اللَّهِ تَبَيَّنَ لَنَا الدِّينُ عَلَى حَقِيقَتِهِ رَغْمَ ظَرُوفَهَا الصَّعْبَةِ.

## ٧- خياران أمام المعارضـة

لَيْسَ أَمَامُ الْمُعَارِضَةِ بِدَيْلٍ غَيْرَ الْمُوَادِعَةِ أَوِ الْمُوَاجِهَةِ ، وَالْمُوَاجِهَةُ بِمَثَلِ الْأَوْضَاعِ الَّتِي كَانَتْ تَحِيَاهَا الْأُمَّةُ اِنْتَهَارَ حَقِيقِيٍّ ، فَبِهَا قَدْ يَتَعَرَّضُ الدِّينُ نَفْسَهُ

(١) راجع المناقب للخوارزمي/١١٠ والمعجم الصغير:١/٥٥ والجامع الصغير:٢/٥٦ و تاريخ الخلفاء:٢/٥٦ ... إلخ .

(٢) راجع تاريخ بغداد:١٤/٣٢١ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق:٣/١١٩ وغاية المرام/٩٣٥ ومنتخب الكتز:٥/٣٠ .

(٣) على سبيل المثال: ترجمة علي من تاريخ دمشق:٢/٤١٧ ومسند أحمد:٥/٣٤ الهاشم وتفسير الطبرى:١٣/٨١٠ وابن كثير:٢/٥٠ والشوكتاني:٣/٧٠ والرازي:٥/٢٧١ والمستدرك:٣/١٢٩ والدر المتنور للسيوطى:٤/٤٥ ... إلخ .

(٤) على سبيل المثال: المناقب للخوارزمي/٧/٢٣٦ ، ومنتخب الكتز:٥/٣٣ من مسند الإمام أحمد ، وترجمة علي من تاريخ ابن عساكر:٢/٨٨ ح ١٠٠٨ و ١٠٠٩ .

(٥) على سبيل المثال: ترجمة علي من تاريخ دمشق/٣/٢٧٣ ومسند أحمد:٥/٩٤ و Mizan al-Zehbi:٤/١٢٨ .

(٦) وتفنا ذلك أكثر من مرة فحتى معاوية روى حدیث: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)!

للخطر ، وقد يتعرض الولي للموت والذرية المباركة للإيادة ، فقدم الولي الأهم على المهم ، وشق طريق المواعدة بنفسه . لا يدخل بنصح ولا بيان للدين . وكأن الأمة كانت في حلم فاستفاق مذعورة بعد موت النبي ﷺ لتجد أمامها:

- ١ - سلطة قائمة وحكماً حقيقةً يقوده ويرشد شيوخ كانوا من أبرز وزراء النبي ويعلنون أنهم على حق .
- ٢ - معارضة محدودة ، يقودها ويرشدتها الولي من بعد النبي ولا يقف معه إلا عترة النبي وبني هاشم الذين وافقوا العرب ٢٣ عاماً كاملة ، فأقاموا لهم الدين وأنشأوا منهم أمة ، فجازاهم العرب بأن أخذوا منهم دولتهم وعزلهم بالقهر والغلبة !

#### ٤- انقسام الناس

وانقسم الناس ، ففريق آثر السلامة ، وأدرك عدم جدواً المعارضة ، فوادع السلطة (أهل السنة) ووالاها لأنها ولية النعمة ، وبيدها الحول والقوة ، وهي رمز وحدة الأمة ، وعند ما انتصر معاوية على علي وهزمت الشرعية أمام القوة ، سمي هذا العام بعام الجماعة ، وسمى الذين والوا معاوية ومن غالب بأهل السنة !

وهذا الفريق شيع وأحزاب ، يتفاوتون بولائهم للسلطة وبريرهم لأفعالها ، ويتفاوتون بدرجة تعاطفهم مع المعارضة ، وتفهمهم لموقفها ، وقد استقرت غالبيتهم على أن الجميع صحابة ومن أهل الجنة وكلهم مجتهدون ، والمجتهدون مأجورون أصابوا أم أخطأوا ، وارتاحت هذه الجموع لهذا الحل ، وارتبط مصيرهم بمصير الحكماء فدفعوا اللوم عن الحكماء ، لا حجاً بالحكام ولكن حتى يسلمو بأنفسهم من اللوم ، لأنه إذا ثبت اللوم على الحكماء فيثبت على من

والاهم بالضرورة . كما استقر هذا الفريق على رأي: أنهم مع من غالب ، فهم يوالون الغالب كائناً من كان ، وحجتهم في ذلك مقوله الصحابي عبد الله بن عمر الذي قال يوم الحرة: نحن مع من غالب ، فصارت مقولته تلك قاعدة شرعية . وكان الفريق الثاني الشيعة ، الذين والوا ولبي بعد النبي ﷺ، وآمنوا أن الحق معه يدور حيث دار ، وأنه مع القرآن والقرآن معه ، فوالوه والوا عترة النبي وأهل بيته ، وصدقوا وصية النبي بالقرآن والعترة ، وأن الهدى لا يدرك إلا بالثلمين معاً، وأن عميد أهل بيت النبوة في كل زمان هو إمامهم الشرعي ووليهم ، يوالون من يوالى ويعادون من يعادى ، وهؤلاء العمداء اثنا عشر عميداً وإماماً ربانياً بالنص .

وقد التزمت الشيعة بالشرعية الكاملة لا تحيد عنها ولا تخرج من دائرتها أبداً مهما كانت التكاليف ومهما غلت التضحيات . وهدفهم الأعظم توحيد الأمة الإسلامية تحت راية إمام أهل بيت النبوة ليتولى بيان أحكام العقيدة الإلهية وتطبيقها وحمل رسالة الإسلام الندية إلى العالم لانتشاله من الظلمات إلى النور .

إن الطريق التي اختارت بها الشيعة طوال التاريخ هي طريق الآلام والمصائب ، وهي الضريبة التي يتوجب أن تدفعها الشيعة حتى تنازل رضوان الله والمقام الرفيع الذي خلعه النبي عليهم . عندما نزل قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِنَّكُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ . قال النبي ﷺ « يا علي هم أنت وشيعتك »<sup>(١)</sup> .

ولأن الشيعة حزب معارضة ، فهي تشكيك بشرعية السلطة القائمة في كل

(١) سورة البينة آية ٧ ، والصوات المحرقة ٩٦ والدر المثور: ٣٧٩/٦ ، وتفسير الطبراني: ١٤٦٣ وفتح القدير: ٤٧٧/٥ ، وروح المعانى: ٢٠٧/٣٠ ، وفرائد السعطين: ١٥٦/١ ، ومناقب الخوارزمي: ٦٢ والفصل المهمة . ١٠٧/

زمان إن لم يكن إمامها ورئيسها من أهل بيت النبوة . فلذلك حدثت حالة من سوء الظن بين الشيعة والسلطة ، وتعمقت هذه الحالة حتى تحولت إلى خصومة فعداوة ، تم خضت عن الحقد المتبادل بين السلطة - أي سلطة - والشيعة طوال التاريخ ، فحاولت الشيعة كأفراد وجماعة أن تثبت أن السلطة قوة غاشمة وغالبة ، اغتصبت الأمر من أهله وفرضت نفسها على الأمة بحكم القوة والغلبة ، وأنها حرمت المسلمين والإنسانية من الاستفادة من الحكم الإلهي بسبب حبها للجهاد والسيطرة وإيثارها للعاجلة على الآجلة .

ووسائل الشيعة بإثبات وجهة نظرها هذه فردية وسرية ، لأن السلطة القابضة بأيديها على زمام كل شئ في المجتمع ، صادرت حرية الشيعة بطرح وجهة نظرها طوال التاريخ ، ولاحقتهم وطاردتهم وضيقوا عليهم الخناق ، واتهمتهم بأنهم خارجون على الجماعة شاقون لعصا الطاعة ، وأحياناً اتهمتهم بالمرroc والرفض والزندة والكفر... الخ.

كانت وجهة نظر السلطة بالشيعة ماتحة للجميع ، وتنقلها كافة وسائل إعلام السلطة بحرية ، ويروج لها العلماء المتعاونون مع السلطة ، فصورت السلطة الشيعة بأبغض الصور ، وعمقت الهوة بينهم وبين بقية الأمة ، وماتت أجيال وجاءت أجيال فتصورت الأجيال اللاحقة أن التهم التي ألصقتها السلطة بالشيعة صحيحة ، فأخذت ترددتها وتعزف على ذات الوتر بحكم التقليد ، والشيعة محتسبة صابرة ومثابرة ، وواثقة أن اليوم الذي تكشف فيه الحقائق ليس بعيد .



## فهرس كتاب عدالة الصحابة

### مقدمة

### الباب الأول: مفهوم الصحابة والصحابة

#### الفصل الأول: معنى الصحابة والصحابة ١٨ - ١٠

أ - في قواميس اللغة: ب - في القرآن الكريم . ج - استقراء الآيات لصالح المعنى اللغوي . د - وجوه أو صور الصحابة . ٢- معنى الصحابة اصطلاحاً . أ- توضيح ابن حجر لهذا التعريف . ب - تقييم ابن حجر لهذا التعريف . ج - وسائل معرفة الصحابة . د - كل الشعب صحابة .

#### الفصل الثاني: نظرية عدالة الصحابة عند أهل السنة ١٩ - ٣٢

ما هو دليل أهل السنة على ذلك ؟ مضمون عدالة الصحابة عند أهل السنة . ما هو جزاء من لا يعتقد بهذا الرأي ؟ ما هو سر هذا التشدد والصرامة عند أهل السنة؟ محاولة للتخفيف من هذا الغلو . استكثار المحاولة ودفعها . الآثار المترتبة على هذا التعريم . تساؤل واستنتاج . نقد رأي أهل السنة . الإنلاف والاختلاف . محاولة للتوفيق . ما هي الفائدة من هذا التقسيم ؟ التفاضل سنة إلهية . الدليل الشرعي للتفاضل . طبقات الصحابة . طبقات الصحابة كما ذكرهم الحاكم في مستدركه . نظام التفاضل في الإسلام . أركان التفاضل أو مسارب العدالة . الحكم على هذه الموازين . تساؤلات .

#### الفصل الثالث: ١- نقض النظرية ٣٣ - ٥٨

الوجه الأول: حول الشهادة والشهود . ٢- قراءة أولية . أولاً: الخلط . ثانياً: كلمات للتلقين . ثالثاً: الحماية والتستر . الله وحده يعلم كم هو موجب للتعصب ومثير للقرف . نقض نظرية كل الصحابة عدول من حيث الموضوع . العجب العجاب . وجوه النقض .

تفصيل وإثبات وجوه النقض . أ- ظاهرة التفاق . ب- الحكم الإلهي القاطع . أمثله على تعارض نظرية عدالة كل الصحابة مع القرآن الكريم . ١ - حكم الله في الثلاث . ٢ - حكم أهل السنة في

- الثلاث . ٢ - نظريّة عدالة كل الصحابة تعارض مع السنة النبوية . تحليل هذه النماذج من النصوص .  
 ٣ - نظريّة عدالة كل الصحابة ينقضها واقع الحال . تحليل هذه الأمثلة . تهافت نظريّة عدالة كل الصحابة . عرض . دور الصحابة في التشريع .

#### **الفصل الرابع: نظريّة عدالة الصحابة عند الشيعة ٥٩ - ٦٢**

- ١ - موالة الشيعة للصحابيّة . ٢ - من هم الصحابة عند الشيعة . ٣ - نقطة الخلاف الجوهرية .  
 ٤ - دعاء الشيعة لأصحاب محمد . ٥ - من أدعيّة الشيعة للصحابيّة .

#### **الفصل الخامس: بذور للتفكير في نظريّة عدالة الصحابة ٦٣ - ٦٨**

ابن عباس يصف الصحابة لمعاوية . شهادة ووصيّة الصحافي حذيفة بن اليمان . الزبير وحسن الخاتمة . طلحة وحسن الخاتمة . نهاية الصحافي عمار بن ياسر . حجة معاوية . معاوية لم يعاقب قتلة عثمان . رأي الحسن البصري في معاوية .

**الفصل السادس: طريق الصواب في معرفة العدول من الأصحاب ٦٩ - ٧٦**  
 استذكار وتلخيص لوجهتي نظر السنة والشيعة . خلط الأوراق . واقعة للإستكشاف الشرعي .  
 عدالة كل الصحابة . التكيفات المنطقية . الموالة كمفتاح للعدالة . الصحابة العدول . نماذج من غفلة أهل الشام والعراق . هؤلاء الذين أطاعوا معاوية .

### **الباب الثاني: الجذور التاريخية لنظريّة عدالة كل الصحابة**

#### **الفصل الأول: الجذور التاريخية لنظريّة عدالة كل الصحابة ٧٩ - ٩٤**

الجذر القبلي - عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة . ب - الصيغة السياسيّة . ج - محاولات لزعزعة الصيغة . د - إشاعة النبوة . ه - إعلان النبوة . و - احتضان الهاشميّن للنبي . ز - حفاظاً على الصيغة السياسيّة وحسداً لا حباً بالأصنام . ح - حروب من أجل الصيغة السياسيّة وحسداً لا حباً بالأصنام . ط - النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه . ي - أكثر البطون اندفاعاً لوقف ما يسمى بالزحف الهاشمي . ك - التيار الغلاب . ل - القرابة الطاهرة الأساس الشرعي للخلافة الراشدة . م - الإنقلاب وإنفلات التيار الغلاب . ن - قصة ذات دالة تأسيسيّة . س - التكيف الشرعي لمقوله لا ينبغي أن

يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة . ع - نتائج تكريس مبدأ عدم جواز جمع الهاشمين النبوة والخلافة . النتيجة الثانية - زرع بذرة الخلاف ونموها . النتيجة الثالثة - رئاسة الدولة حق للجميع إلا لهاشمي . النتيجة الرابعة - اختلاط الأوراق .

## **الفصل الثاني: الجذور السياسية لنظرية عدالة كل الصحابة ٩٥-١٠٤**

أ - اختلاف الواقع عن المثال . ب - النظام السياسي الإسلامي . ج - أركان النظام السياسي الإسلامي . الركن الأول - القيادة السياسية . ما هي الغاية من الترشيح الإلهي للقيادة السياسية ؟ الركن الثاني - الصلة العضوية بين العقيدة الإلهية وقيادتها . الركن الثالث - المنظومة الحقوقية الإلهية . الركن الرابع: موافقة المحكومين ورضاهم . بساطة النظام السياسي الإسلامي . المناخ السياسي الذي نشأت فيه نظرية عدالة كل الصحابة . تجاهل الهدف المعلن للخروج على الشرعية . الصحوة من الغفلة .

## **الفصل الثالث: ما هي الغاية من ابتداع نظرية عدالة كل الصحابة عدول ١٠٥-١١٢**

١ - تبرير غصب السلطة . ٢ - تبرير أفعال معاوية وشيعته . ٣ - التحصن ضد النقد والتب والثتم والإنتقام . ٤ - مقارعة خصوم معاوية وشيعته . ٥- التفريق بين المسلمين . نشوء نظرية عدالة كل الصحابة . رواة الأحاديث . فضائل معاوية . رأي الشافعي في معاوية . قول الحسن البصري . نظرية عدالة كل الصحابة تحمل الطابع الأموي .

## **الفصل الرابع: الجذور الفقهية لنظرية عدالة كل الصحابة ١١٣-١٣٦**

المرجعية الفقهية . ١ - كل الصحابة مرتبطة لأهل السنة . ما هو السندي الشرعي لأهل السنة بمرجعيتهم للصحابة ؟ أئمة أهل البيت وثقات الصحابة هم مرجعية أهل الشيعة . دور المرجعيين . اختلاف المنطلقين يؤدي لاختلاف النتائج . ١ - انطلق أهل السنة . ٢- أما أهل الشيعة . تعدد المرجعيات . حكم الشرع في تعدد المرجعيات . إلغاء المرجعية الشرعية يستبع بالضرورة لإيجاد مرجعية بديلة . نظرية عدالة كل الصحابة هي الطريق الفرد لإيجاد المرجعية البديلة . لو جاءت النظرية عن طريق غير الحاكمين لفشلـت . المرجعية البديلة أصبحت شرعية . الحل . في غياب المرجعية الشرعية . ج- الإنقسام الفقهي . جذور مطاردة أهل البيت . خصوصية القرابة الطاهرة . ما هي الغاية من هذه الخصوصية ؟ وظائف القرابة الطاهرة . لماذا أعطيت القرابة الطاهرة هذه

الخصوصية؟ تعليقات . تحولت هذه الخصوصية إلى حجة سياسية طوال التاريخ . معاملة الحكماء للقرابة الظاهرة من الناحية السياسية . نوع القرابة . عزل العترة الطاهرة وتأويل الخصوصية .

### **الفصل الخامس: الآمال التي علقت على نظرية عدالة الصحابة ١٣٧-١٤٦**

التقابل بالصفات . مثال من الواقع . مثال آخر من الواقع . تساؤل واستغراب . أدت الرسالة . التقابل بالحماية . في مجال البيان . أمثلة ما تعطيه النظرية لكل الصحابة . نصوص للتدبر . تساؤلات . تلقين الحجة بالواسطة . التوسيعة في التفقة . ووضعوا قيداً على الرواية من حيث المبدأ .

#### **الباب الثالث: المرجعية**

##### **الفصل الأول: المرجعية ١٤٩-١٥٤**

ما معنى المرجعية . تلازم المرجعية مع العقيدة . المرجعية اختصاص وعمل فني . تعددية المراجع الفارق بين العقيدة والمرجعية . تجذير الحكمة من وجود المرجعية . المرجعية أكبر من أن تنكر .

##### **الفصل الثاني: العقيدة ١٥٥-١٥٨**

نوعاً العقائد ، وصناعة العقائد . ملامح عقيدة الإسلام . ١- على الصعيد العملي . ٢- على الصعيد النظري . التصور اليقيني . المنظومة الحقوقية الإلهية .

##### **الفصل الثالث: من هو المختص بتعيين المرجعية؟ ١٥٩-١٦٤**

ما هي المهام والوظائف المناطة بالمرجع الذي عينه الله؟ ١- البيان . ٢- تحديد دائرة الشرعية والمشروعية . ٣- الولاية على الأتباع . ٤- منع حدوث الضلال . ٥- سفينة نجاة . ٦- النبي المرجع باب للمغفرة . ٧- النبي المرجع يقود أتباعه للهدي . ٨- النبي المرجع أمان للأمة المؤمنة ومانع للخلاف . ٩- مضافاً إلى أن المرجع . المرجعية خلال حياة النبي ﷺ . المرجعية بعد وفاة النبي . قراءة أولية للواقع . الحاجة لمرجعية بعد وفاة النبي . تساؤلات تحتاج إلى أجوبة .

##### **الفصل الرابع: مواقف المسلمين من المرجعية بعد وفاة النبي ﷺ ١٦٥-١٧٦**

١- التاريخيون . ٢- الشرعيون . زعم ترك النبي الأمة بدون خلف ولا مرجعية . تلاشي عملية ترك الأمة بدون مرجع . المرجع بعد وفاة النبي ﷺ عند أهل السنة . الحاكم القائم هو المرجع عند

أهل السنة . من الذي يقوم مقام الحاكم في المرجعية . المرجعية الجماعية عند أهل السنة . كيف تعمل المراجع عند أهل السنة .

### **الفصل الخامس: المرجعية البديلة ١٩٠-١٧٧**

الشروع بوضع معالم المرجعية البديلة . المواجهة الصادحة . تحليل المواجهة . التائج الأولية للمواجهة . ١- الإنقسام . ٢- بروز قوة هائلة جديدة . ٣- بروز فكرة التغلب وترجيح النابع على المتبع . حادثان مشابهتان . ٤- ظفر الغالب ونجاحه . ٥- عزل العترة الطاهرة . طاقم المرجعية الجديدة . أثر المعارضة .

### **الفصل السادس: من هو المرجع بعد وفاة النبي ﷺ؟ ١٩٨-١٩١**

أ- ضرورة المرجعية . ب- البيان الإلهي للمرجعية . ج- من هو الولي والمرجع الذي عينه الله ؟ د- ما هو سبب عداء أهل السنة للشيعة ؟ هـ- الدليل الشرعي على تعين الله للمرجعية . و- نموذج من إعلان يوم الغدير . ز- التأكيد الشرعي على ولاءه علي .

## **الباب الرابع: القيادة والسياسة**

### **الفصل الأول: ضوابط حركة المجتمع ٢٠٦-٢٠١**

١- ضوابط حركة المجتمع . ٢- الترابط والتكميل بين العقيدة الإلهية والقيادة السياسية . ٣- مؤهلات القيادة السياسية الإسلامية الشرعية . ٤- القبول بالتكيف الإلهي . ٥- رفض التكيف الإلهي . أشكال رفض التكيف الإلهي .

### **الفصل الثاني: القيادة السياسية ٢٠٧-٢١٤**

١- الإعداد الإلهي لخلافة النبي قبل أن يلد آدم . قبيل الدعوة . ٢- بعد النبوة . ٣- إعلان الخلافة بعد النبوة . ٤- الإعلان عن ولادة المهد والتوطيد للولي . ١- المنزلة . ٢- الأخوة . ٣- الولاية . ٥- تتابع الإعلان عن الولاية والتوطيد كان يجري بأمر الله .

### **الفصل الثالث: الولي هو السيد والإمام والقائد ٢١٥-٢٢٠**

١- أبرز المؤهلات العلمية للولي بعد النبي ﷺ . ٢- ولی الله وخليفة رسوله هو فارس الإسلام .

#### **الفصل الرابع: تزويج الله فاطمة لولي و الخليفة نبيه ﷺ - ٢٢٦ - ٢٢١**

١- الذرية المباركة . ٢- سكن النبي و خليفته من بعده . ٣- علي وصي النبي . إنكار الوصية . اختصاص الولي و الخليفة النبي بمزايا خاصة . تحصين الولي و الخليفة من بعد النبي ﷺ .

#### **الفصل الخامس: توبيع الولي خليفة للنبي - ٢٢٧ - ٢٣٤**

١- المناسبة حجة الوداع . ٢- مكان التوبيع . ٢- نص قرار تنصيب الولي و الخليفة من بعد النبي . ٣- نص قرار التنصيب برواية زيد بن أرقم . ٤- نص قرار التنصيب برواية البراء بن عازب . ٥- نص قرار التنصيب برواية سعد بن أبي وقاص . ٦- قرار التنصيب برواية ثانية لسعد . ٧- فهم مضمون القرار وتقبل التهاني . ٨- نصوص مبتسرة لقرار التنصيب الخالد . ٩- حديث الغدير وواقعة التنصيب يقين . ١٠- عيد يوم الغدير . ١١- صوم يوم الغدير شكرأ الله .

#### **الفصل السادس: بتنصيب الإمام كمل الدين وتمت النعمة - ٢٣٥ - ٢٤٤**

الترتيب الإلهي لانتقال منصب الإمام بعد وفاة الولي . من هو صاحب الاختصاص بتعيين النبي للإمام؟ من هو هذا الإمام؟ من هو المختص بتعيين الخليفة الذي يلي خليفة النبي . الحكمة من حصر الإمامة بأولاد محمد ﷺ . دور الأمة بتعيين الإمام . الإنفكاك بين الواقع والشرعية . الأئمة الشرعيون . استكشاف المستقبل أمام الولي و الخليفة النبي . نصف الصيغة السياسية الجاهلية .

#### **الفصل السابع: الإنقلاب و تقويض الشرعية - ٢٤٥ - ٢٥٨**

المتاخ التاريخي الذي ساعد على نجاح الإنقلاب . أ- تكون بطون قريش . ب- وصلت بطون قريش إلى صيغة سياسية . ت- محاولات لزعزعة الصيغة . ث- توقع ظهور النبي . ج- إعلان النبوة . ح- احتضن الهاشمين النبي . خ- حفاظاً على الصيغة السياسية وحداً لا حجاً بالأصنام . د- حروب من أجل الصيغة السياسية وحداً لا حجاً بالأصنام . ذ- النبوة الهاشمية قدر لا مفر منه . ر- التيار الغلاب . ز- التكيف الشرعي لمقوله: لا ينبغي أن يجمع الهاشميون الخلافة مع النبوة . س- اقتطاع الفاروق بالمقوله وتطويرها على يديه . ش- كيف تبني الفاروق هذه المقوله ونظر لها . ص- التائج التي ترتب على تكريس مبدأ عدم جواز الجمع بين النبوة والخلافة . ١- التتجة الأولى: زوال الفوارق نهائياً . التتجة الثانية: زرع بذرة الخلاف ونموها . التتجة الثالثة: رئاسة الدولة حق للجميع إلا

لهاشمي . النتيجة الرابعة: اختلاط الأوراق .

### الفصل الثامن: الإستيلاء على السلطة وعزلبني هاشم ٢٥٩ - ٢٧٢

١- استذكار وربط الأحداث . ٢- المواجهة الصادبة . ٣- تحليل المواجهة . ٤- التائج الأولية للمواجهة . ٥- انقسام الأمة . ٦- بروز قوة هائلة جديدة . ٧- بروز فكرة التغلب وترجيح التابع على المتبع . ٨- حادثان مشابهتان . ٩- عزل العترة الطاهرة .

### الفصل التاسع: قريش تخطيط والهاشميون يرزحون في مصابهم ٢٧٣ - ٢٩٦

٢- التخطيط المحكم . ٣- الشمرة الأولى للتخطيط . ٤- التخطيط لهزيمة الهاشمين . ٥- الخطبة المثلثي والقوة المرجحة التي ستهزم الولي . ٦- اجتماع السقفة . ٧- أسلحة بدون أجوبة . ٨- من الذي أتى بالخبر . ٩- تحليل موضوعي ونفي الصدفة . ١٠- القرشيون الثلاثة في السقفة . ١١- الحجج الشرعية لأطراف السقفة . ١٢- ذهول الصحابة من انقلاب السقفة . ١٣- التفريط بأعظم ثروة على الإطلاق . ١٤- إذلال الولي وتهديده بالقتل إن لم يبايع . ١٥- المواجهة الغير متكافئة بين الولي والسلطة الجديدة . ١٦- محاولة لاسترضاء الزهراء . ١٧- أبو بكر يهم بالتنازل عن الخلافة . ١٨- موقف النهائي للولي . ١٩- بطون قريش تصرف كفريق واحد .

### الفصل العاشر: تجريد الهاشمين من كافة الحقوق السياسية ٢٩٧ - ٣٠٩

١- برح الخفاء وباحت الأسرار . ٢- تصريح الفاروق بأسباب المنع . ٣- رأي الفاروق بشعار تحريم الخلافة علىبني هاشم . ٤- فرط الوفاء لهذا الشعار . ٥- هل أمر الله بهذا الشعار ؟ ٦- لماذا يتمسك الفاروق بهذا الشعار ويتشدد به ؟ ٧- الحكم والمعارضة . ٨- خياران أمام المعارضة . ٩- انقسام الناس .

تم كتاب نظرية عدالة الصحابة

والحمد لله رب العالمين .

